

رواية
حُب وخطيئة
بدر رمضان

رواية

حب وخطيئة

بقلم .. بدر رمضان

تصميم الغلاف .. مروه صلاح

تصميم داخلي .. بدر رمضان

جروب سحر الروايات

المقدمة ...

يقال أن القمر جرم سماوي مظلم لا يشع بذاته بل يستمد ضياءه من الشمس ، لذلك إن قرر القمر أن يقترب من الشمس فسيحدث بينهم مالم يكن متوقع وهو " الإلتقاء " فأسماه العلماء :

" بالاقتران السطحي " ويستمر هذا الاقتران لوقت قصير ينفصل بعدها النجمان ويبقى كل منهما في مجاله يحلمان بلحظة لقاء أخرى ، ولكنها لا تأتي إلا بعد أن يمر كل منهما بأطوار ومنازل ودرجات مختلفة !!

فيعود كلا منهم لفلكه يسبح على أمل اللقاء.. فهل يستطيعان إعادتها ؟!

"درجات الحب الأربعة عشر"

يجب أن يمر عليها كل من أبتلى بداء الحب حتى يصل للقمة... فإما سعادة أبدية وإما شقاء مُضني!!!

وأولى هذه الدرجات تسمى ...

"الهوى" : وتعني "ميل النفس إلى الشهوة"

يقولون عنها أنها ...

"ترى أعمق"

وقفت أمام المرآة أتأكد من مظهري لعله يراني ويشعر بي هذه المرة .. لقد سئمت تجاهله لي الذي

يزداد يوما بعد يوم ، زفرت بضيق وأنا أنظر لوجهي الذي أراه هبة من الله وأتسأل لماذا لا ينظر حتى لوجهي الهذه الدرجة أنا قبيحة في عينيه ؟!

ترقرقت الدموع في مقلتي وانا أردد حروف اسمه التي أعشقها

" مصطفى " ثم أتبعت بضيق ... " حائط السد متبلد المشاعر " توقفت عما أفعله وقمت بضبط ملامحي المتهجمة حين دخلت أمي الغرفة تسألني:

- ها جهزتِ ؟!

أشرت برأسي إيجابا فوجدتها تنظر لي بانبهار وتقترب مني تحضنني من الخلف قائلة :

- ما شاء الله لا قوة إلا بالله

ثم ضمتني بقوة ، ابتسمت رغما عني من طريقتها الطفولية والعفوية ورفعت زاوية فمي مرددة :

- القرد في عين أمه غزال ..

مصمصت شفتيها باشمئزاز وهي تبتعد عن احضاني ثم أمسكت ووجهي بتذمر :

- فاااشر دا أنتِ شمس منوره في عز النهار ،

ثم أتبعت وهي تشير لحواسي :

- فيه في العيلة كلها حد عين زرقه وجميله كدا ، ولا أبيض زي الشهد كدا ، ولا شعره ! شعره طويل وحرير كدا ، ولا شفايفه نونو بلون الرمان زيك !

ضحكت بشدة على وصفها لي ثم قررت مشاكستها قائلة ..

- دا روج يا ماما على فكره ،

ابتعدت عني بغيظ تنهرني ..

-انا مش عارفه انتِ ازاي مش مقدره جمالك .. يا بنتي أنا وأبوكِ لو نطول نداريكِ من عيون الناس هنعمل كدا أنا كل أما اخرج معاكي يجيلنا عريس تاني يوم ..

انتهت من أسطوانتها المتكررة كلما خرجنا سويا وأخذت تجر يدي للخارج وأنا أفكر.. هل أنا كما تصفني أمي بهذا الجمال !

وإن كنت كذلك فلماذا لا يراني مصطفى كما يراني الجميع ؟! مؤكد ذوقه مختلف ولا يحب الشقراوات ؟؟

شعرت بغصة في حلقي .. وضاق صدري بالإختناق ثم تذكرت لوسي شهقت بشدة وتركت يد أمي عائدة لأتى بها ..

وحين عدت أحملها بين يدي سمعت زمجرة أمي كعادتها :

- خلاص مش قادرة تتحركي من غير قطتك أخوكِ عمال يزمر بقاله ساعه ،

أجبتها وأنا أشعر بألم من أجل صديقتي البريئة وهي تتلوى بيدي :

- يا ماما دي من الصبح تعبانة وبتعرج وما نمتش من امبارح عاوزه أوديها لأي دكتور بيطري ،

تأففت أمي بضيق وهي تصعد بجوار أخي :

- أه لو اعرف مين حدفها علينا بس ؟!

حدثت نفسي بأنني أتمنى أن أعرف صاحبها الحقيقي !

دلفت أجلس في المقعد الخلفي أنا وقطتي وأنطلق أخي نحو بيت خالتي ..

ابتسمت رغما عني وأنا أتمنى وأدعوا الله أن أراه اليوم،

لقد اشتقت لملامحه الجدية وصوته الجهوري الذي يجعل جسدي يتهاوى من الرعب حالي كحال كل افراد العائلة فهو الرجل الوحيد الذي يهابه الكبير والصغير ،

رعب يجعلني أعشقه بقدر ما أهابه فهو مزيج من الرجولة والجمال ليس له مثيل،

لم أتذكر يوما منذ سنوات أني رأيت ابتسامته أو أنه انضم إلي جلستنا العائلية ! .. دوما منعزلً غريب الطباع ..وجدت عقلي يدور بأسئلة لا إجابة لها عما حدث له جعله ينزوي هكذا عن الجميع ؟!

تنهدت وأنا أردد في عقلي :

- يا إلهي كم احب هذا الشرس البغيض رغم كل شيء ..

أصدرت قطتي مواءً متألما فملست على شعرها الرمادي الجميل وقبلتها برقة وأنا أحاول مواساتها عما تشعر به من ألمٍ في قدمها اليُسرى ..

ذُكر أسمه من قِبل أخي فخرجت على الفور من شرودي دون إجابة شافية بقلب يزداد لهفة وشوق ..

- شوفتي مصطفى يا ماما عمل إيه ؟

تغيرت ملامحها للغضب فأنا أعرف أنها لا تحبه لشدته المبالغ فيها ..

ولكني تعجبت من شعوري برجفتها خوفا !! ..
تركت تحليلي الجسدي لأمي ولأخي على السواء وانتبهت لقوله :

- حرم خالتي أو مروه ينزلوا ينضفوا شقته ويجيب واحده ست كبيره تنضفهاله ..

نظرت أمي لاتجاه أخر ورفعت حاجبها بامتعاض قائلة :

- انا طول عمري شاكه ان الولد دا بيعمل حاجه مش مظبوطه وخالتك يا ما اشتكتلي من طريقته معاهم واسلوبه الناشف انا عارفه طالع لمين براوي كدا ؟! -

تنهدت بوجع لأجل عاشقي الفظ الغليظ القلب ..
إلى متى سيظل يأسرني ؟! فكل ما يُقال عنه يجعلني أعشقه أكثر ،

فكم تمنيت أن أكون مثله حرة طليقة لا أخاف أحد ولا أتبع القطيع مثل كل فردا في عائلتي المبجلة ،

وصلنا لبيت خالتي وصعدنا لشقتها بالأعلى
تلكأت قليلا حتى صعدت أمي ومن خلفها أخي
ألتفت أنظرُ نحو باب شقته بشوق ولساني يردد
برجاء وتوسل ،

أخرج مصطفى أريدُ أن أراك اليوم ثم بإصرار حدثت
نفسي

- يجب علي أن أراه بأي طريقة ! -

نادتني أمي فركضت صعودا على أمل أن أجده
بالأعلى ولكن تبدد أملي سريعا حين صافحت
الجميع إلا هو! ..

جلسنا وتركت قطتي تموء بألم وكأنها تشعر بي ،
واندمجت في الحديث مع
- مروه- لعدة دقائق لم أشعر فيها باختفاء هرتي من
أمامي!

بحثت بعيني عنها فلم أجدها !

انتفضت بذعر فطمئنت مروه قائلة :

- ما تخافيش هتلاقي سيف ابني بيلعب معاها زي كل مره ،

توجهت ناحية امي بقلق واستأذنت منها أن أذهب لدكتور بيطري قريب من هنا أفحص هرتي المتألمة ،

وافقت على مضض بشرط أن أخذ أخي معي وكعادتها في إصدار الأوامر والتعليمات المتكررة ،

"لا تذهبي لمكان بمفردك"

ولكن ولله الحمد زوج خالتي وخالتي كانوا يريدون أخي في مسائلة قانونية فأضطر للجلوس معهم وامرني بالرحيل بمفردي تحت نظرات أمي الحانقة ..

انتهزت هذه الفرصة الذهبية وخرجت انادي سيف وابحث عن القطة .. نزلت الدرج سريعا متلهفة للقائه ولكنني شهقت بصدمة حين وجدت بابها

مفتوح وقطتي تموء بصراخ يقطع نياط القلب
ركضت نحو باب الشقة ولكنني توقفت برعب
حين وجدته يقف أمامي وعيناه حمراء من الغضب
!

يا إلهي لماذا هو غاضب هكذا ؟!

خرج سيف من الشقة فأمره بالصعود ولم يعريني أي
اهتمام ثم ختمها بغلق الباب في وجهي ،

انتفض جسدي من صوت صك الباب وتصاعدت
الدماء في رأسي غضبا ولكنني انتبهت لصراخ هرتي
الضعيفة فتوقف قلبي من الرعب وأنا اردد :

- هيقتل قطتي !

تذكرت على الفور ونحن اطفالا منذ زمن غير
بعيد ، حين رأيته هو وأخي يمسكون بقطتي
المسكينة التي ماتت بحقنة هواء غرزها مصطفى
في جسدها بمنتهى القسوة ،

لن أنسى أبدا بُكائي هذا اليوم وحالتي النفسية السيئة التي لازمتني لسنوات .. ومن يومها وأنا اكرهه على فعلته ولم يعد قلبي ينبض بإسمه إلا حين وجدت لوسي ،

أرتعش جسدي وشلت حركتي وضاق صدري وأنا أتخيل أنه سيحرمني منها كما فعل بالسابقة ،

اقتربت من الباب بغضب وألم وقررت أن اطرقه وافرغ غضب سنوات في وجهه ولكن خوفي منه سيطر علي وعدت للخلف ظللت هكذا والدقائق تمر وأنا حائرة وللحظة شعرت أني لا أستحق هذا الكائن اللطيف ، قطتي الجميلة وصديقتي الوحيدة تعاني وأنا أقف هنا مذعورة ،

قلة حيلتي جعلتني أبكي ألما وبعد لحظات قررت أخيرا أن اطرق الباب ..

وبعد عدة طرقات فتح لي بوجهه البارد وملامحه الحادة ينظر لي بعينان صقر متوحش كاسرا! ..

انتفض قلبي داخل صدري برعب ودقاته بدأت في التسارع ولكني امسكت بكم قليل من الشجاعة

وهدرت به ودموعي تغرق وجهي بشهقات حاولت قدر استطاعتي تهدئتها :

- فين قطتي يا حيوان انت ؟ عملت فيها إيه ؟

صك اسنانه بعنف جعل جسدي يقشعر وأغمضت عيني وأنا احضر نفسي لصفعته التي مؤكد ستقتلني ،

ولكن عوضا على ذلك شعرت بفرو قطتي بين يدي جحظت عيني بعدم تصديق وأنا أراها تداعب رأسها في يدي وتموء برقة دليل على سعادتها وكأنها تخبرني أنها افضل الأن !

ثم قفزت من بين يدي تركض بقدم سليمة وكأن لم يكن بها شيء ركضت خلفها وناديتها باندهاش وتعجب فعادت لي راكضة ، وحينها سمعت صك الباب من خلفي ..

لعنت نفسي على تهوري وحملت القطة وبخطوات مترددة طرقت الباب مرة اخرى وأنا أعض شفتي بحرج ،

فتح لي الباب وأنا أنظر نحو قدمي ولا استطيع النظر لعينيه ، ثم بعد عدة محاولات أخرجت صوتي بعُسرٍ :

- اا أنا اسفه جدا على اللي قولته ..

شعرت أنه لا يسمعني فرفعت رأسي إليه ووجهي يزداد حُمرة ، وشعوري بأنني أقف أمامه الأن جعل ساقي مثل الهلام ،

نظرت لعمق عينيه الزرقاء التي تخطف انفاسي فلون عيني ورثته عنه .. فهذا أجمل شعور على الاطلاق أن لون عيني اخذتها من مَن عشقته وكان جزء من ملامحه تزينني .. انحرفت افكاري كثيرا فتنحنحت قائلة :

- مكنتش اقصد بجد اقولك يا سلطان سلطان سلطان

لم اكمل جملتي وشهقت من المفاجأة حين وجدته يجرني من معصمي داخل الشقة ويغلقها خلفي وبسرعة لم ألاحظها أمسك بقطتي من يدي ووضعها

على الارض وعاد ينظر لي ولكن هذه المرة غرقت
بعيناه ..

توقفت نبضات قلبي وحبست انفاسي وفي لحظة لم
ادركها كان يمتلكني بقبلة تهاوى لها جسدي،
لحظات مرت علي وهو يقبلني وكان الكون توقف
عن الدوران ..

انتهى من قبلته الدامية ولم ينتهي مني .. ساقي لم
تعد تحملني وهويت بين ذراعيه فحملني ووضعني
على الفراش وبدأ في خلع ملابسه وأنا مغيبة
وكأنني أعيش في حلم جميل لا أريد انتهائه ..
دقائق معدودة وكنت امتلك حلمي بين يدي وفي
المقابل اعطيه صك ملكيتي كامل بدون نقص ..!

توقف وبدأ يوزع قبلاته على رقبتي وهو يقول :
- بعشقك ،

يا إلهي مؤكد سيتوقف قلبي .. نظرت لعمق عينيه الدافئة والرائعة وأنا أردد بتيه :

- وانا بموت فيك ،

رفع حاجبه وهو يستند على كفه يبتسم قائلاً :

- ما أنا عارف

لكزته في كتفه بغيظ :

- مغرور،

اجابني بضحكة دوما تأسرني :

- بس بعشقك ،

ثم تبدلت ملامحه للعتاب قائلاً :

- يا مهملة ،

ضممت حاجبي بتعجب اتسأل ،

- انا مهملة ليه ؟

اجابني بحنق وهو يقرص وجنتي بخفة ،

- تاني قطة اجيبهالك و تهملي في صحتها

اعتدلت ومعالمي وجهي كلها تحولت للدهشة وأنا أكاد لا أصدق ما أسمعه فهز رأسه إيجابا فتسألت :

- انت اللي جيبتلي القطة دي !

- واللي قبلها على فكره

قالها وهو ينظر لعيني بعشق لم أجد له مثيل ،

تسارعت انفاسي وأنا استفيض بالأمر ،

- بس اللي قبلها أنت قتل..

وضع سبابته على شفتي وقبلني برقة قائلا :

- كان عندها مرض خطير وأنا رحمتها ،

مفاجآت عدة لا يتحملها قلبي .. فلم يكن يوما فظا ولا غليظ القلب كما لقبته !

- عمرك ما قولتلي كدا ؟!

همس لي برقة بالغة لم اعهدها من قبل :

- لأن أنا ما بعرفش أتكلم ،

رفعت زاوية فمي وكلماتي تتمزق وتتفتت إلى شظايا أمام هذا الرجل الذي امتك كل ذرة في قلبي وجسدي على السواء فوجدتني دون إرادة مني أقول :

- ليه ما انت تجنن اهوه ؟!

ابتسم وهو يغمز لي بعينه :

- دا مصطفى التاني

رفعت حاجبي بغيظ :

- ياريت تموت الاولاني !

هز رأسه نافيا ثم اقترب من أذني يهمس لي مرة اخرى :

- التاني دا ليكي لوحدك ..

بدأت نبضاتي تتوقف وانفاسي تحاول الخروج بصعوبة بالغة وايقنت وقتها انني مؤكد في حلم !!

تنهدت بألم وأنا انظر لجسدي المغطى بالشراشف وكأنني ادركت مؤخرا فعلتي الشنيعة ثم تساءلت بضيق :

- اللي احنا عملناه دا ؟!

ضم حاجبية وتسأل بقلق :

- ندمانه ؟!

نفيت الأمر سريعًا وأنا أتلكأ في الحديث فأنا بالفعل لا أشعر بذرة ندم ولكني لا اريد ان اظهر ذلك له :

- لاء بس مستغربه

اجابني بمنطقية بدت لي وكأنها حقيقة الامر :

- من إيه ؟ انا بعشقك وانتي كمان ودا الطبيعي يحصل ثم أني صابر عليكي من زمان ومقدرتش بصراحه أقاوم أكتر من كدا ، أردف كلمته الاخيرة بقبلة رقيقة طبعها على جانب فمي ،

شعرت أن هذه اللحظات كثيرة جدا علي .. ابتسامتي لم تفارق وجهي ، وقلبي يتراقص مع دقاته على نغمات صوته الرنان وكأنني استمع للحن ساحر يدور بي سريعا فلا أشعر بشيء سوى السعادة والعشق حد الانفجار،

ولكن السعادة دائما لا تدوم رنين هاتفه جعلني انتفض فأجابه وهو يرفع كفه أمامي أن لا أخاف ،

وبصوته الجهوري الجامد المعتاد تبدل مصطفى الرقيق اللطيف في لحظات وهو يجيب على والدته :

- ايوه يا ماما .. البقاء لله .. لاء مش جاي .. هبقى اروح بكره ،

ثم أغلق الهاتف واقترب مني وأمسك بكفي يقبل باطنه برقة فحاولت السيطرة على مشاعري الهائجة وسألته ..

- كانت عاوزه إيه خالتو

اجابني بعدم اهتمام ،

- حما مروه توفى دلوقتي

شهقت بفزع فاحتضنني قائلا :

- في إيه يا قلبي اتخضيتي كدا ليه البقاء لله

ابتعدت عنه ابحث عن ملابسي ووجهي سينفجر من الخجل ..

ورغم ذلك الح علي سؤال مهم جدا :

- هو انت بتعامل خالتو كدا ليه؟!

أجاب بدون تردد :

- بعاملها عادي .. بس ما بيعجبنيش تعاملها مع مروه ،

سالته بدلال :

- عشان بتدلعها ؟!

رفع زاوية فمه بتبرم :

- دلع بايخ ..

تذمرت كالأطفال وزممت شفتاي :

- عشان هي بنوته ..

اقترب مني يقبلني بحنان قائلا :

- طب ما أنا هدلعك ..

ابتسامته الرائعة جعلتني رغما عني اتوقف عن البحث واقترب منه اقبله على وجنته بجراءة ..

فوجدته يقترب لي هامسا :

- عجبتك لدرجة دي ؟!

لكزته بغيظ وابتعدت عنه بغضبٍ وأنا أسبه :

- سخيف ..

أجاب على الفور :

- قليلة الادب ..

ألتفت شاهقة بصدمة :

- أنا قليلة الادب ؟!

أماء برأسه وهو يجيب ،

- ايوه ..

ثم اقترب اكثر وبصوت منخفض

- أول ما لمست شفايفك سلمتيلي نفسك

ابتلعت ريقي بصعوبة وزادت حدة تنفسي واجابته :

- عشان بحبك !!

كتم ضحكته بشق الأنفس وهو يقول :

- طب ما أنا عارف

ثم اقترب من اذني وبحروف متقطعة ..

- وانا ب ع ش ق ك

تملك مني الغيظ وانتفضت الكمه في صدره العالي وهو يضحك بشدة وانا اردد :

- سخيف وعمري ما هكلمك تاني ...

امسك كفي يقبل باطنه وهو مازال يضحك علي :

- خلاص انا اسف بهزر معاكي ..

تماديت بغضبي وازحت يده سريعا فامسك رسغي بقوة وقرب وجهه مني واعاد ملامحه الجادة ..

- خلاص كنت بهزر معاكي ثم اقترب يقبلني ويدخلني عالمه مرة اخرى وسعادة قلبي لا تتوقف وجسدي يستجيب لكل حركة منه وكأنه يمتلك كل جزء فيه بالفعل ،

ابتعدنا سريعا حين سمعنا طرقات على باب شقته ..

قام من الفراش بهدوء بالغ يرتدي سرواله وأنا انتفض رعبا..

انتهزت فرصة خروجه من الغرفة وارتديت ملابسي بأسرع وقت ممكن ،

تقلصت معدتي بألم حين سمعت صوت اخي من خلف الباب :

- افتح يا مصطفى ..

عاد يغلق باب الغرفة ولم يهتز حتى من صوت اخي .. تعجبت من هذا الجبل الذي امامي .. كيف يبدل ملامحه وشخصيته هكذا كما يبدل ثيابه واسرع ؟!!

ودار حوارهم كالأتي :

- اذيك يا شادي

= فينك ياعم

- موجود .. إيه اخبارك ؟!

= احنا هنتكلم على الباب

- وقت تاني يا شادي عندي ضيوف

لم يعترض أخي ولم ينطق بحرف أخر وعاد ادراجه .. سمعت صوته من النافذة الداخلية يخبر أمي أنه سيذهب للبحث عني ..

شكرت الله انه لم يرى قطتي وأنها كانت معي بالغرفة المغلقة ..

انتفضت حين سمعت صوت البوابة الخارجية وحملت قطتي وركضت نحو الباب وحين فتحته وجدت مصطفى يقف بهيبته امامي :

- راحه فين ! خليكي معايا ..

ثم احتضنني بقوة وظل يقبل وجهي بلطف وضعف شديد لم أعهده به من قبل وهو يقول :

- بحبك ..

حاولت اخراج صوتي فخرج مرتعشا..

- مصطفى سبني بقى اطلع قبل شادي ما يرجع

تنهد بألم فقررت أن اسأله سؤالا خطر على ذهني :

- أنت ازاي بتقدر تعمل كدا ؟!

أجابني بتعجب :

- أعمل إيه ؟

- يعني تحولت مع شادي كدا ازاي ؟

رفع كتفيه :

- ولا حاجه رجعت مصطفى الاولاني ..

شعرت لوهلة بخوف شديد من تناقضه ، فتارة اشعر وهو معي أنه طفل صغير متعلقا بي وكأنني امئه ، وتارة أره في لحظات شخص باردا وكلماته كالرصاص ولا يبالي بمشاعر أحد على الاطلاق ، والاكثر حيرة هي شخصية العاشق المتيم الرقيق حد الهوس الذي اختبرتها منذ قليل ،

توقفت عن التفكير لأن سعادتي طغت على كل أحساس أخر،

فاقترب مني ولف يده حول خصري بتملك ومحى كل ما يعترني من قلق ثم همس بجانب اذني وكأنه قرأ ما يدور في عقلي :

- مصطفى التاني أول مره يطلع انهارده .. ثم نظر لعيني نظرة غريبة وجامده وأكمل بهمسه الشديد وكأنه عاد لوعيه ..

- وأخر مره !

أما عنه فيقولون أنه :

" يرى أبعد "

أعلنت دقات الساعة عن وصولها للتاسعة صباحا ،
فتحت عيني على ضوء الشمس الساطع الذي أنار الغرفة فنهضت على الفور بخفة كعادتي ،

ثم توجهت لأجهزتي الرياضية لأمارس نشاطي اليومي ، فأنا حريص دئما على جسدي الرياضي وعلى صحتي البدنية أكثر من حرصي على الاختلاط بعائلتي الذين لا يهتمون بشيء سوى كيف يرونا الناس !

أنهيت تدريباتي الرياضية في غضون ساعة ثم توجهت نحو دورة المياه وانا أحمل منشفتي والتقط أنفاسي اللاهثة بسرعة من أثر العدو على جهاز الركض ،

وقفت تحت صنبور المياه واغمضت عيني استشعر
شلال المياه الدافئة وهي تنعش جسدي وتريحه ،

توقفت انفاسي حين لاحت صورتها على خيالي
بوجهها البض وعينياها التي تشبه السماء الصافية ،
تبتسم نحوي بخجل يجعل عالمي يتوقف عن
الدوران ،

- ألما - الصغيرة التي امتلكت قلبي منذ كانت في
السابعة من عمرها عندما رأيتها تركض نحو هرة
تموء بألم في ركن من أركان الشارع العمومي ،

تركت أصدقائي الذين كنت اجالسهم ، ولحقت
بها فوجدت عيناها تتلألأ بدموع اطلقتها فور رؤيتي
وهي تمد لي يدها بالهرة الصغيرة وتترجاني أن
اخفف آلامها ، جف حلقي فلم أستطع إلا أن أمسك
بكفيها وأخذ منها الهرة وأعود ادراجي ،

فتحت عيني وأنا ابتسم بتهكم واستهزاء على
مشاعر مرت علي منذ سنوات عديدة وكلما

تذكرتها أشتعل داخلي بشوق غريب ، فأنا في
حياتي لم يمتلك قلبي سواها ،
ولكن ما حدث في الماضي لم و لن أستطيع تجاوزه
يوما !

اغلقت صنبور المياه وجففت جسدي ثم قصدت
المطبخ لأجهز بعضا من حبوب الافطار وكوبا من
العصير قبل أن أغادر،

صوت والدتي وصلني من النافذة الداخلية للشقة
وهي تتحدث مع مروه شقيقتي قائلة :

- خالتك وشادي وألما جايين انهارده

أوقعت كوب العصير من يدي حين ذُكر أسمها ،
فزفرت بغيظ شديد من ردة فعلي ،
فأنا اكره ضعفي أمامها كره شديد ، لهذا اتجنب
دوما الالتقاء بها، أو أن اجتمع معهم في مكان واحد
، وتوقفت منذ سنوات عن زيارتهم على الاطلاق ،

فقدت شهيتي فوضعت صحني على المنضدة
وأكملت ارتداء ملابسي وخرجت عازما على عدم
العودة إلا في وقت متأخر حين يعودون لبيتهم ،

قدت سيارتي نحو صالة الألعاب الرياضية التي
أمتلكها واجهدت نفسي قدر ما استطعت محاولا
أن أخرج صورتها من عقلي اليوم ،

قلبي يكاد يتمزق من الشوق إليها وشغفي يزداد
كل دقيقة ومحاولاتي للإلهاء لم تعد تجدي نفعا
!

زفرت بضيق وأنا اتطلع على الوقت في الساعة
المعلقة على الحائط أمامي ،

تمر الدقائق بسرعة البرق وكأنها تتحداني ، انضم
إلي صديقي الوحيد وقد لاحظ توتري طوال النهار ،

لقد عاملت الوافدين بخشونة وفظاظة كبيرة
اليوم ، سألني سؤاله المعتاد وهو يعلم جيدا انني لن
أجيبه ، ولكنه حاول باستماته ،

- برده مش ناوي تقولي مالك ؟

اجبته كعادتي كل زيارة لهم ،

- تعالى نسهر الليلة في اي مكان

وافق على الفور بدون استفسار اخر لن يجني منه سوى " مفيش "

عدت لشقتي كالمحموم أخذت حماما سريعا وارتديت ملابسي على عجالة وخرجت أقابل صديقي ،

انتظرته ما يقرب من نصف ساعة في موقع لقائنا في أحد الكافيات التي تعرض مباريات لكرة القدم ،

احتسيت ثلاثة فناجين من القهوة المركزة وحاولت الاندماج مع المباراة الحالية ولكن صورتها وهو يُقبلها وهي تتململ بين يديه جعلت الدماء تتصاعد لتنفجر في راسي فتقتلني ببطيء بلا هوادة ،

الطفلة التي طالما نظرت لها ببراءة وكنت أرتعب من
أن أعبر لها عن حبي حتى لا أخدش حيائها التي دوما
كانت تتحلى به ،

وأما عن رقتها وقلبها العطوف فحدث ولا حرج ، فلن
أنسى تعابير وجهها حين أمسكت هرتها التي
أهديتها لها بعدما رأيت نظرتها الشغوفة نحو
القطة امام المدرسة التي حقنتها بحقنة هواء
لأخلصها من آلامها ،

فقد اصيبت بمرض كاد ان يفتك بها ولكن ما
كنت اخشاه ان تنقله ل ألما فهي لا تفارقها حتى في
نومها ،

بعدما رأيت حزنها الكبير وقد رمقتني بنظرة
كره لن انسها ، أبتعت لها قطة اخرى وأهديتها
اياها دون أن تعرفني بعدما تأكدت من سلامة
جسدها ،

شعرت بالضجر الشديد بعدما هاتفني صديقي
ليخبرني انه اضطر للسفر على عجلة لعائلته لأمر

هام ولم يستطع الاعتذار لي سوى الأن بعدما اعاد شحن هاتفه ،

قمت أجرُ قدمي بتثاقل وأنا أعود لشقتي عازما على أن أنام فور عودتي لكي لا أسمع صوتها أو حتى أرى وجهها ،

فعلت ما نويته ولكن لسوء حظي جاءني سيف ابن أختي ، رغم اختلافي مع والدتي وحنقي الشديد من أختي المدللة إلا إن ولدها يمثل نقطة ضعفي الوحيدة في هذه العائلة ،

فتى يشبهني كثيرا بعيناه الزرقاء الصافية ، عنيد بعقل كبير وجسد قوي ، اتاني يحمل هرتي التي اهديتها لها ،

مزق قلبي مواءها ووقفت عاجزا من دمعة أسقطتها من الألم ،

خبرتي التي اكتسبتها من دراستي في مجال التربية الرياضية بالإضافة لبعض الكورسات في مجال طب العظام حتى استطيع التميز وسط مجال عملي

جعلتني انتبهت على الفور لصراخها عندما
امسكت بقدمها اليسرى أن عظمتها ملتويه ،

كدت أن اصاب بصدمة عندما وجدت ألما تقف
امامي !

فتاتي التي لم أعشق غيرها ولم أكره أحد مثلها في
حياتي ، تناقض يقسمني نصفين ، وشعور بالتشتت
يجعلني أكثر من غاضب ،

امرت سيف بالصعود وأغلقت الباب في وجهها وأنا
أسب وألعن بكل ألفاظ السباب النابية ،

كلما رأيت وجهها اتذكر دناستها فأريد أن أحطم
هذا الوجه الذي يتسم بالبراءة الزائفة ،

لقد جعلتني أكره قلبي لدرجة أني أريد أن أطعنه
بنصلٍ حادٍ عندما يدفعني دفعا نحوها لأضمها إلي
صدري وكان حياتي تتوقف على احتضانها ،

شتت افكاري وبعثرتها وحاولت التركيز على
تخفيف ألم هذه المسكينة ، ولحسن حظي
استطعت أن أعالج التوائها ،

ولكن الطرق الشديد على باب الشقة جعلني
أخطو خطوات واسعة وسريعة حتى فتحت الباب
فوجدتها مرة أخرى تقف امامي ،

توقف قلبي عن النبض وكأنها تقبض عليه بين
راحة يدها ، لم استمع منها سوي كلمة سب أو
هكذا تخيلت !

طنت اذني وسقطت في هوة سحيقة تسمى ألما ،
اتجنب رؤيتها منذ سنوات حتى لا اسقط في بئر
عينيها الذي لا قرارة به ،

ولكن هويت به وانتهى الامر !

تبينت من حديثها الذي لم يصل لأذني أنها غاضبة
بسبب هرتها ، فألقيتها بين يديها بألية تامة
وأغلقت الباب قبل أن أفقد نفسي ،

استندت على الباب خلفي ووقفت التقط انفاسي
اللاهثة وكأنني كنت في سباق عدو وخرجت منه
خاسرا لأنجو بنفسي ،

لحظات ووجدتها تطرق بابي مرة اخرى ، صراع
كدت به أن أطعن قلبي لكي يتوقف عن
الركض بهذه السرعة ،

قررت ان لا اجيب ولكن تحت إصرارها أصبحت عاجزا ، فتحت الباب اجاهد نفسي بقوة اكتسبتها بأعجوبة ،

وجدتها تطرق برأسها ارضا وهي تعتذر بكلمات شبه مخدرة لأعصابي ،

حليت قيدي وامسكت بيدها اجرها نحوي حتى ادخلتها شقتي واغلقت الباب خلفها وتركت العنان لشفتي تنهل من رحيقها المحرم ،

بينما اطلقت يدي تعبث بجسدها كما اشتهت دوما ، جردتها من ملابسها وهي تواقة لي وكأنها كانت تنتظرني لانتهكها بهذا الشكل ،

سلمتني نفسها بشكل استفز كل خلية في جسدي لدرجة انني تذوقت شفاه هذا اللعين التي ختمت فمها الصغير ولولا أنني تأكدت من عذريتها لقتلتها في الحال ،

ولكن ليست كل عذراء عفيفة !

يكفي بأن أعرف جيدا انني لست أول رجل يطأ جسدها وهذا واضحا جليا من تقبلها لي بكل اريحية وبساطة وكأنها اعتادت الامر !

وبرغم صراعي الداخلي إلا انني فضلت عيش
لحظاتي معها باستمتاع كما كنت أحلم دوما ،

اعترفت بعشقي لها وأمضيت معها وقتا سأعيش
عليه الباقي من عمري ،

سألتني عما فعلناه فسعدت للحظة عندما شعرت
أنها نادمة ولكني صعقت حين وجدتها تجيب
بالنفي !

وجدتني اتحدث بكلمات لا أعنيها ولكنها كانت
غطاء كافيا لما أشعر به ، تماديت بالأمر حين رأيتها
صيدا سهل المنال ولكن أمي انتشلتني من أحضانها
حين هاتفتني لتخبرني أن والد زوج مروه توفى
ويجب علي الذهاب معهم ،

اعتذرت منها فانا في حالة يرثى لها الأن ،

عدت ل ألما وأنا أفكر ،

لقد أمتلكتها كما تمنيت والأن جعلتها أسيرة لي
كما كنت أنا أسيرها طوال السنوات الماضية ،

وجدتها تنهال علي بأسئلة عن علاقتي بأختي المدللة
وأمي التي تدللها ، وكانت اجابتي موجزة و بدون
تفكير حتى عبرت عما بداخلي بكلمة واحدة
وهي ،

- قليلة الادب ..

ألتفت لي شاهقة بصدمة وسألتني وكأنها تكره الاعتراف بالأمر ..

- انا قليلة الادب ؟!

هززت رأسي إيجابا وانا أجيبها بإقرار،

- ايوه ..

ثم تراجعت وأنا أقترب منها أكثر وبصوت منخفض واجهتها

- اول ما لمست شفايفك سلمتيلي نفسك

توتر جسدها وارتعش وزادت حدة تنفسها وهي تبرر ..

- عشان بحبك !!

كتمت ضحكة مستهزئة بشق الانفس

- طب ما انا عارف

ثم اقتربت من اذنها وبحروف متقطعة اعترفت لها ثانية ..

- وانا ب ع ش ق ك

تملك الغيظ منها وانتفضت تلكمني في صدري وأنا أضحك بشدة على هذا. التمثيل المتقن وهي تردد :

- سخيف وعمري ما هكلمك تاني ..

امسكت بكفها اقبل باطنه معتذرا لأكمل هذه التمثيلة السخيفة :

- خلاص انا اسف بهزر معاكي ..

- تمادت بغضبها وازحت يدي سريعا فأمسكت رسغها بقوة لأنهي هذه المهزلة لقد فاض كيلي :

- خلاص كنت بهزر معاكي

ثم اجتذبتني كالمغناطيس لأقبلها واستلذ بمذاقها الذي لا مثيل له وهي تستجيب لي مرة اخرى بإغواء فتاة ليل مدربة ،

ابتعدنا سريعا حين طرق باب شقتي فوجدته أخيها يريد صحبتي ، بمشاعر باهتة اجبته وكأنني احمله ذنب اخته الملطخة بالرزيلة حتى انفها ..

عدت اليها وأنا أفكر مليا فيما حدث فوجدتها ارتدت ثيابها وقررت الرحيل ،

انتفض قلبي ووجدتني أترجها أن تبقى وأعترف لها مرارا وتكرارا بحبي الذي يملأ قلبي وكل ذرة في جسدي ،

لقد حكمت عليها وعلى نفسي بالإعدام حين تركت العنان لقلبي ولجسدي معا يغرقان في الخطيئة حتى أصبحت بجسدٍ وروحا باردة كالجليد ،

كبلتنا شهوتنا في أصفاد لا مفتاح له سوى الموت فوجدت نفسي أعود لبؤرة سوداء صنعتها للتو وأنا أخبرها ،

- مصطفى التاني اول مره يطلع انهارده ..

ثم نظرت لبحر عينيها نظرة جعلتني أفق من وهمي الذي عايشته لثلاثون دقيقة وكأنني عدت الأن من رحلة ذهبت اليها بإرادتي وعدت منها رغما عني وحشا لن يهدا الا وهذه الفتاة جثة هامدة جراء ما فعلته بنفسها وبي ،

اخبرتها بهمسات وصلت لدرجة الغليان :

- واخر مره !!

لقد نلت منها ما يكفيني لأخر عمري وجاء الوقت لندفع كلانا الثمن !!

الدرجة الثانية...

الصّبوة :

" وتعني اللهو في الحب وجهلة الفتوة "

يقولون أن :

- التملك بالنسبة لها ...البداية -

مرت ثلاثة أسابيع منذ لقائنا وأنا أعيش في جحيم على الأرض ، فهو لا يجيبني على الهاتف ولا على اي موقع من مواقع التواصل الاجتماعي ، لقد قام بحظري منها جميعا ،

قررت أن أذهب إليه وأوجهه مهما كلفني الأمر، ولكني عدت خائبة حين اخبرتني خالتي أنه سافر لأحد المدن السياحية في رحلة ستدوم لعدة أسابيع ، وقتها أدركت حجم الجُرم الذي ارتكبته ،

لقد سلمته نفسي بكل غباء وبدون شرط أو قيد
جعلته يمتلكني ظنا مني أني بذلك أجعل بيننا
رباط قوي وسببا لكي يظل معي ، لقد وثقت به
وكأنه لا ينتمي لصنف الرجال ، فانا لم اتعلم من
الماضي ويجب علي معاقبة نفسي على ما اقترفته
من ذنبٍ لا يغتفر !!

توقفت عن محاولة التواصل معه بعد مرور شهر
أخر وقررت أن أتحمل جانبي من الوزر ،

توقفت عن الأكل إلا من لقيمات تجعلني أقف على
قدمي ولازمت غرفتي ولم أخرج منها سوى لدورة
للمياه ، انقلب البيت رأسا على عقب وأخذتني أمي
لتفحصني عند جميع الاطباء ،

اجريت جميع التحاليل وأنتهى الأمر بنصيحة
الطبيب الباطني بعرضي على طبيب نفسي ،

فحالتي الصحية المتدهورة أصلها نفسي هكذا قال
!

لم تتردد أمي وهي تبكي على جسدي الهزيل
وعيناي الغائرة التي يحاوطها السواد بالإضافة

لبشرتي الشاحبة ختاما بصمتي المطبق فانا لم أتحدث مع أحد منذ خمسة عشر يوما،

مرت الجلسة الاولى ولم يستطيع الطبيب أن يجعلني اشكو له علتي لهذا صرفني بعد عشرين دقيقة على أمل أن أكسر الحاجز الزجاجي الذي صنعته حولي وأخبره علتي في جلسات قادمة ،

لا يدرون أن الحديث يذبحني وأن صمتي يقتلني وأنني لا اريد سوى الموت في سلام لعل ألم قلبي يزول ويتوقف فما عدت احتمل أكثر من ذلك ،

جاء ميعاد الجلسة الثانية والنتيجة مثل الأولى ، لا أريد أن أستمع لعدة نصائح في حب الذات والمضي قدما وأن اصبح أفضل لأنني قوية وبلا بلا بلا ،

يصرخ داخلي بكلمات تحرقني بنار كهشيم محتظر،

أنا لست قوية ، انا فتاة مدنسة وأثمة وعقابي
الامثل هو الموت ، فما هي قيمة حياتي وأنا اعيش
ذليلة لا كرامة لي ولا عفة لدي ،

مؤكد مصطفى عرف حقيقتي فانا مسخ بشع لم
يحتمل الاستمرار مع فتاة سلمته نفسها بدافع الحب
فهو مثل كل الرجال يحملني الخطأ كاملا دون
نقصان ،

حتى جاء اليوم المشؤم ، فانا منذ تركني مصطفى
لحيرتي دون حتى وداع وانا على يقين انه لا يوجد
في الحياة اسوء مما اعيشه الأن!

ولكن اليوم أثبت لي ان هناك الأسوء ، طالب جديد
ينضم للائحة العرسان ، رفضت امي مقابلته بينما
والدي واخي وجدوا فيه المنقذ الهُمام الذي
سيخرجني من صندوقي الاسود ،

برغم حزني الشديد على ما آلت إليه احوالي إلا انني
قد فقدت القدرة على البكاء ، لقد جفت دموعي

تماما ، مشاعري صارت باهتة اكثر من كون قلبي محطم فانا لم أعد أشعر بشيء على الإطلاق ،

انتهت الزيارة بمقابلتي لهذا الشاب الذي يبتسم لي برقة شديدة ، هذا المغفل يظنني فتاة عادية ،

تركني والدي على أمل أن أتحدث معه حتى لا يشعر بالحرج ، لا يدري انني أريد الأن ان أحطم كل قلوب الرجال في هذا العالم لعل هذا الانتقام يريح قلبي قليلا ،

قام من مكانه واقترب يجلس على المقعد المقابل لي ، بدأ حديث مرتب ومُتقن عن عمله ومكان سكنه ومؤهله الدراسي وحالته الاجتماعية و ، و، و

أنظر نحوه باهتمام ظاهري واهز راسي وكأنني ابالي لما يقوله حتى توقف هو عن الحديث وجاء دوري ، رسمت ابتسامة بلهاء على وجهي وقررت أن اؤلم الجميع بما فيهم والدي وأخي ولهذا اجابته بكلمة واحدة ،

- انا موافقة أني اتجوزك لو كان دا سؤالك

وجدته يبتسم بمليء فيه وكأنه فاز بجائزة ظن لوهلة انها لن يصل إليها ، استدعى والدي وأخي وهلل كالمعتوه وهو يتعجل قراءة الفاتحة ، ابتسمت نحوهم وتخيلت وجوههم جميعا يوم الزفاف حين يجدني هذا المغفل لست عذراء ويقوم بفضيحتي كما يفعل الرجال ،

شعرت براحة تتخلل صدري لأني وقتها سأنال انتقامي منه ومن مصطفى ومن أبي وأخي وكل رجال العائلة حين يشعرون بالعار وسأنال ما استحقه في النهاية وهو الموت !

وحين رفع الجميع كفوفهم للقراءة الفاتحة ووجوههم فرحة وهادئة وكأنني هما سيزاح من على قلوبهم ،

رنين جرس الباب المبالغ فيه جعل الجميع يتوقف بينما ركض اخي وابي خلفه ليكتشفوا ماذا يحدث ، ومن يصنع هذه الجلبة!

وللمفاجأة كان هو ، نعم مصطفى ،

وجهه أسود كالليل وعيناه حمراء من الغضب ، اندفع للداخل مثل قنبلة موقوته ونظر نحوي وكانه يرسل شعاع من لهب أصابني في قلبي مباشرة ، عيناه تخبراني انني آثمة وفاجرة ويجب عليه أن يصلح خطائه ،

وللعجب انني لم ابالي له ولا لنظراته التي تجرمني وكأني الشيطانة التي اغويته وهو الملاك الذي استجاب ولم يستطيع المقاومة ،

تسأل أبي وأخي وخرجت أمي من غرفتها تركض نحوه والكل في حالة ذعر أن يكون أصاب أحد مكروه ،

اشار برأسه نحو الشاب الذي ما زال يجلس في غرفة الصالون ينظر نحوي بوله وكأنني حب عمره ،

شعر والدي بالحرج واستأذن منه ان نؤجل الاتفاق عند حضور والديه سيكون افضل ،

تقبل الفكرة بصدر رحب وشعر أن هذا القادم يحمل أخبار عائلية ولا يجوز له التواجد الان ،

أخذ موعد في الأسبوع المقبل وخرج بعد أن صافحني بحب وحنان ووعد مُبطن بالعشق الدائم والسعادة الأبدية ،

وقتها شممت رائحة قلب يحترق بجواري وبالطبع لم يكن الا مصطفى الذي وصلني صوت صك أسنانه واضح جلي مما جعل السعادة تدغدغ كل ذرة في جسدي ، فهذا الحقير لا يستحق سوى الألم لما فعله معي ،

خرج الضيف من باب الشقة الخارجي ورفض مصطفى الجلوس وقرر تفجير القنبلة وهو على وقفته ،

- ألما مش هتتجوز حد غيري

ثم حول وجهه تجاهي وعيناه تغوران بالتوعد حتى
وصلتني الرسالة واضحة كالشمس ،

"ما حدش هيعذب ألما غيري"

رفعت زاوية فمي بابتسامة مستهزئة ومباشرة ،

"لن يستطيع احد تعذيبي بعد الان ، فالألم لا يؤثر
في فتاة ماتت وأنتهى امرها"

نظر والدي لوالدتي التي بدورها نظرت لأخي وكأن
على رؤوسهم الطير ،

أرتبك والدي وتاهت نظرات اخي بينما حاولت امي
إخراج صوتها قائلة ،

- إيه اللي بتقولوا دا يا أبني

تململ في وقفته وأصدر الفرمان التالي ،

- أنا هاجي بكره انا وماما وبابا نتفق على
التفاصيل ،

ثم اقترب من والدي وبرجاء شديد قال ،

- أرجوك يا عمي فكر كويس ، انا هبذل كل جهدي اني اسعدها

وعند هذه الجملة لم استطيع تمالك نفسي وانفجرت في ضحك هستيري

نظر الجميع نحوي بدهشة بينما نظر معذبي بتحذير ، رفعت كفي متمتمه باعتذار وهمي وانسحبت بهدوء عائدة لغرفتي ،

توقفت عن التفكير وعن الاندهاش وعن الإحساس وحتى الألم ، كل شيء توقف بداخلي وأصبحت خاوية كصحراء قفرا لا به زرع ولا ماء ،

بدلت ملابسي واندثرت في فراشي وقررت الهروب إلى النوم ، وسيكون ربي رحيما بي إن قبضني ولم استيقظ في الصباح ،

ولكن دخول أمي المفاجئ جعلني افتح عيني ولكني لم أتحرك قيد أنملة ،

جلست على حافة الفراش وقد شعرت بحيرتها وكأنها تائهة وهي تبحث عني ، شعرت بغصة في حلقي على هذه المسكينة ،

حاولت لم شتات نفسها وبدأت الحديث ،

- انتِ عارفة اني ما بحبش في الدنيا دي حد قدك ، ومايهمنيش في الحياة الا اني اشوفك سعيدة ومرتاحه ومش مهم اموت بعدها ،

رأيت الدموع ترقرق في مقلتيها ولكنت ابت ان تستسلم لحزنها الشديد علي واكملت ،

- انا مش عارفه إيه اللي حصلك ومين السبب في وجعك ، بس أنا عارفة انك قوية وهتخرجي من التجربة اللي عيشتيها أيا كانت مؤلمه أقوى ،

قاومت دموعي بأقصى ما استطعت ، فأمي تتحدث عن فتاة ماتت منذ عدة اسابيع ولا تعلم ان دموعي طوال هذه الايام كانت على فراقها ،

أمسكت امي بيدي تقبلها بدموعها ، مما جعلني أعتدل جالسة و احتضانها بثبات وانا اقول ،

- أنا أسفه يا امي

اعتقدت انني اعتذر على انطوائي ، او ربما على انني جعلتها تشعر بهذا الحزن ، ولكني كنت أعتذر على اني خذلتها وخذلت نفسي بدعوة الحب ، تعجبت أمي لعدم بكائي ولكنها مررت الامر وهي تخبرني ،

- انتي سمعتي أبن خالتك وقعدتي مع العريس فكري كويس وقرري ،

امسكت بزجاجة المياه التي بجواري اتجرع منها بآلية تامه ثم وضعتها وأنا اعتدل لأعود للنوم ثم اجبتها ،

- اللي تشوفوا يا ماما

خرجت وهي تبتسم براحة وكأنها فكت طلاسم
لم يستطع أحد فكها سواها ،

كدت انا اغفل حتى سمعت صوت رسالة نصيه ،

قبل ذلك كنت سأطير فرحا وانا أقفز على فراشي
مثل الأطفال ، اما الان فانا لا أشعر سوى بالبغض
الشديد ،

فتحت الرسالة وشعورا بالغضب بدأ يتسرب الي من
محتواها ، ولهذا قررت قرارا لا رجعة فيه ، لن اكون
ملكه مهما حييت !!

"أما عنه فكانت .. النهاية"

كانت ترتدي فستانا أحمر اللون عاري الكتفين
يضيق على خصرها ثم يهبط فضفاض مثل
الأميرات ليصل حد ركبتيها ، بينما تركت
شعرها للرياح تعبث به كما تشاء ، ولكن الرياح
لا تعبث بخصلات شعرها البني فقط بل تعبث
بمشاعري كطفل صغير يُمسك بلعبته المفضلة
فيطيح بها يمينا ويسارا ،

ابتلعت ريقي بصعوبة بالغة وانا أرى بشرتها
الناصعة تدغدغ حواسي ، ووقفتها المتوترة تدعوني
لأقترب منها ، ألتفت لي سريعا وكأنها سمعت
صوت أنفاسي المضطربة ،

وجدتها تبتسم وكأن الشمس تركت مدارها
وتجسدت أمامي ، ارتعبت من فكرة الاقتراب منها
فلو أتبعت غريزتي سأحترق للأبد !

وفي خضم معاركي الداخلية اقتربت هي مني
بوجه متورد وشفاه ترتعد خجلا ، توقفت نبضات
قلبي وبدأت يدي بالتعرق كما هي عادتها حين
أتوتر بشدة ،

صراع أبدي بين الرغبة القاتلة والمقاومة حد
التمزق !

جحظت عيناي حين توقفت أمامي وعيناها تتحول
للأسود القاتم وتنظر نحو بغضب وهي تمسك شفرة
حادة بيدها ،

لم أستطيع الرجوع للخلف ولا خطوة واحدة، لقد
شل جسدي بالكامل وما عدت أتحكم به ،

ظلت تقترب حتى رفعت يدها وهي تصك أسنانها
بغيظ شديد وتغرز الشفرة بقلبي !

استيقظت ألهث بشدة على يد عمر صديقي وهو
يهزني وقد تملك الذعر منه ، أنفاسي بدأت تعود

لطبيعتها ولكن النصل ما زال يتوسط قلبي فجعلني
لم أستطع حتى التأوه ،

سقاني بعضا من الماء وتركني وقد مَل من سؤالي
كل ليلة عما يحدث معي ،
جلست أتفكر بأمري وأنا احاول الحد من لهاثي
الذي مازال مرتفعا بشكل مبالغ ، منذ شهر كامل
وهذه الرؤية لا تفارقني ، نعم أشعر انها تريد قتلي
على تجاهلي وبُعدي عنها ولكن لست خائفا مما
سيحدث ألما قتلتني مسبقا ومنذ سنوات عندما
رأيتها...

تأففت بصوتٍ مرتفع وأنا أنتفض واقفا أركل
فراشي الخشبي بقدمي حتى كاد كاحلي أن
ينكسر من العنف ،

فتح عمر باب غرفتي بعنفٍ شديد وصرخ بي ولأول
مرة قائلا ،

- لو ناوي تفضل كدا لحد ما تموت نفسك برحتك بس مش وانا معاك ، أنا حجزتلك عند دكتور نفسي بكره الضهر ولو هربت زي عادتك اعتبرني مت يا مصطفى ،

ثم صك الباب خلفه ولم أراه ثانية حتى ظهيرة اليوم التالي ، لم أستطع الهروب وخصوصا بعدما اتجهت لتناول المخدرات علها تنسيني ما فعلته بها وما فعلته هي بي!!

ارتديت ملابسي بآلية ونظرت لانعكاسي في المرآة بحزناٍ شديد وكأنني انظر لشخص أخر يشبهني ، خسرت بضعة كلغ من وزني بالإضافة لشحوب وجهي واحمرار حدقتي الزائد بسبب تعاطي للمواد المخدرة ،

سبقني عمر وتبعته للسيارة وانطلقنا نحو الطبيب النفسي ،

عيادته تبعث على الاختناق ، ولكني تحملت الأمر حتى أعود كما كنت فلقد بدأت أصل لحد الإدمان وهذا لا يريحني أبدا ،

جلسنا قليلا حتى جاء موعدنا في خلال نص الساعة ،

وطوال هذه الدقائق الثلاثون لم ينظر عمر لي ولم يحدثني بكلمة واحدة بل ظل على جلسته يمسك بهاتفة يتجاهلني تماما ، ابتسمت بخفة فصديقي يعاقبني هو الأخر وكأن عقابي لنفسي لا يكفيني ،

دلفت للداخل حين استدعتني المساعدة فوجدت رجلا ناهز الخمسين يرتدي حلة بيضاء غريبة الشكل ويضع عوينات عصرية لا تليق بسنه ولا مكانته ، وقف يحييني بيده وبابتسامة حمقاء ترتسم على شفتيه دعاني للجلوس ،

جلست على مقعد أمامه ولم انطق بحرف حتى باغتني بالقول ،

- بقالك قد أيه بتتعاطى مخدرات

تعجبت لسؤاله للحظة وظننت أن صديقي أخبره ولكنه اكمل سريعا ،

- ما تستغربش شكلك واضح

تنحنحت بحرج واجابته ،

- بقالي شهر تقريبا

قام من مقعده يقف خلفي فالتفت انظر إليه لأرى ماذا يفعل فوجدته يضع يده على كتفي قائلا ،

- خليك مرتاح انا هعملنا حاجه نشربها واحنا بندردش كدا

مددت شفتاي ورفعت حاجبي بتعجب وانا التفت لأراه يقف قرب مكينة من القهوة ليصنع كويين كبيرين منها وهو يقول ،

- معلش بقى ما بحبش القهوة إلا من إيدي

ثم التفت نحوي بضحكة محببة قائلا ،

- هتعجبك صدقني كل اللي بيشربوها من إيدي ما بيفوتوش ولا جلسة

حمل الفنجانين بيده وقدم لي إحداهما وهو يسألني بثقة تامة ،

- قولتلي بقى إيه اللي حصلك خلاك تمشي في السكة دي ؟!

وضعت الفنجان امامي على المكتب وانا اجيبه بمراوغة ،

- مين قال ان في حاجه حصلتلي ؟! هو كل اللي بيشرب مخدرات بيشرب عشان في حاجه حصلتله!

ابتسم لي وهو يضع عويناته امامه ،

- المخدرات يا ابني ديما بتبقى هروب ، سكة الانسان الجبان اللي مش قادر يواجه مشاكله

لقد استفزني أعترف بذلك ، فأنا حقا لا استطيع مواجهة ما فعلته ، ارتشفت من فنجاني بنهم فقد دغدغت رائحة القهوة حواسي ، وللمفاجأة مذاقها اكثر من رائع ،

ظهرت ابتسامة رضا على وجهي فضحك الطبيب بتفاخر قائلا ،

- مش قولتلك مش هتدوق ابدا زي قهوتي

لقد تمكن مني هذا الرجل الخمسيني ، فوجدت نفسي استسلم له وكانه يمثل أبي ، قصصت عليه كل ما حدث ، توقعت في البداية أن الجلسة له وقت وستنتهي ولكنه تركتني أتكلم بكل إسهاب وراحة ، لم يقاطعني ولا مرة وهذا ما جعلني اقدره بشدة ،

أنهيت قصتي ووصفت له عذابي وتمزقي وكل ما يجول بخاطري ، اخبرته عن كوابيسي وقتلها لي

بغضب وكأنها بريئة وانا الذئب الذي أعتدى عليها

،

تحدثت عن آلمي وصدمتي وكسر رجولتي على يد
فتاة كانت تمتلك قلبي وهي الأن سجانتي التي لا
استطيع الهروب منها!!

انتهيت وانا ألحق أنفاسي التي تركض بداخل
صدري ، قام الطبيب واتاني بفنجان قهوة أخر
وكأنه سمع ندائي ،

انتظرته للحظات فوجدته يطوي ورقة بيضاء ثم
امسك بقلمه وظل يخططها بتأني خطوطا طولية
وعرضية بشكل مستقيم ومرتب ،
ثم فجأة بدأ يصنع دوائر عشوائية بسرعة بالغة
حتى تلطخت الورقة وضاعت معالمها ،

وهنا رفعها فجأة ومزقها لنصفين متوازيين ، وضع
الأجزاء الممزقة بجوار بعضهما البعض ثم نظر نحوي
قائلا ،

- هو دا اللي انت عملته في نفسك وفي بنت خالتك

لم افهم مقصده في البداية ولكنه أصر أن انظر نحو الورقة بعمق ولعدة دقائق ،

مع تركيزي التام تبينت الوضع ووضحت الرؤية ، أنا من حطمت كل شيء

في لحظة لم استطع إلى الأن أن اصفها بوصف صحيح ،

نصحني الطبيب أن أستعين بمن حولي ممن احبهم حتى أستطيع المضي قدما ، يجب ان اعترف بذنوبي جميعها من بدايتها لنهايتها وحين أصل للحظة الحقيقة سيكون طريقي واضحا مثل الشمس الساطعة ،

خرجت وأنا على طريق البداية ، وحين أتحدث عن البداية فعلى أن اتوجه لعائلتي ،

عدت لبيتي بعدما شكرت صديقي على محاولاته لمساعدتي في خلال الشهر المنصرم ، وحضنته بامتنان لأنه لم يمل مني بل ظل يحاول محاولات مستميتة رغم صد له وانغلاقي عنه طول هذه الأيام ،

شهقت والدتي حين رأتني بهذا الشكل المذري ، طمأنتها قدر ما استطعت وتركتها متوجها لغرفتي التي لم يغيرها احدهم منذ قررت العيش في شقة بمفردي ،

وجدت شقيقتي تقف على باب غرفتها ترمقني بهذه النظرة القاتلة ، خوفا نابع من عينيها يخالطه شعور غريب بالغضب وما لفت نظري صعود صدرها وهبوطه بأنفاس عالية ومتتالية ،

فتحت باب الغرفة لأدلف للداخل تاركا إياها تقف خلفي ، كدت أن أغلق الباب ولكني وجدتها تقف حائلا بيني وبين الباب ،

دخلت خطوة واحدة حتى وقفت أمامي وأغلقت الباب خلفها ،

حاولت التماسك وأنا اسالها عما تريد فوجدتها تقاوم دموع ظهر البعض منها رغما عنها واضحا جليا ،

وفي لحظة وجدتها تزيح دموعها بحدة بالغة وتسحبني لأحضانها ، لم تنطق بحرف واحد واتضح ان هذا بالضبط ما احتجته خلال أيامي العصيبة ،

لا أدري تحديدا كم مكثنا هكذا ، ابتعدت عني برفق ثم قبلتني في وجنتي وهي تهمس لي ،

- انا في أوضتي لو احتجت اي حاجه ناديني

ثم خرجت واغلق الباب خلفها ، وقتها فقط شعرت أنني أكثر رجلا محظوظا في هذا العالم ، رغم جفائي معها طوال السنوات الماضية ونعتها دائما بالمدللة ومقاطعتي لوالدي بسبب تدليلهم لها المتزايد وكأنها بهذا الدلال ستصبح أملا الثانية ،

حملتها ذنب لا يعنيها حتى بعدما تزوجت مثل اي فتاة عفيفيه تنتمي لعائلة محترمة لم أستطع العودة عن دور الاخ الصارم ذو المشاعر الجافة ،

لم أقاوم أصرار قلبي الشديد لمجالستها ، خرجت من غرفتي وطرقت باب غرفتها فسمعت ركضها السريع لتفتح لي ،

ابتسمت على هذه الفتاة التي مهما كبرت فهي طفلة بعيني ولكن ما فعلته معي الأن لن يصف شعوري وندمي عن ابتعادي عنها طوال سنوات وحرماني من هذا الحنان الذي يغذي كل خلية بداخلي ،

جلست على فراشها وجلست هي تتربع أمامي بابتسامتها الطفولية ، قررت أن أواجه قذارتي أمام شقيقتي التي تعتبرني طوال حياتها قداوتها ،

قصصت لها كل ما حدث وأنا اراقب ردة فعلها التي تتغير كل لحظة ، حتى وصلت لنهاية القصة فشهقت وهي تضع يدها على فمها ودموعها بدأت في التساقط بألم وهي تتسأل ،

- قدرت تعمل كدا فيها أزاي دي دمك يا مصطفى

أحنيت رأسي بخجل ولكني تمسكت بعذري الواهي قائلا ،

- ما تزعليش عليها كدا بنت خالتك متعوده

كادت أن تصفعني لقد شعرت بذلك ولكنها قبضت على كفها وصكت أسنانها بغيظ ،

- أزاي تقول كدا أنت أتجننت!!

تأففت بغضب وقررت أن احكي لها عن ما سجنته بداخل صدري طوال أعوام لم احدث به نفسي خشية من أن اندفع في لحظة غضب وأقتلها ،

- من حوالي خمس سنين قررت أصارح ألما بحبي ليها وأطلب منها تستناني أخلص أخر سنة في الجامعة وهقول لماما وبابا ونتجوز،

توقفت وأنا أخرج الحروف بقوة شديدة ، فشجعتني لأكمل ،

- كنت سعيد جدا بقراري وخصوصا أني سمعت من ماما ان العرسان بدأت تطلبها كتير خصوصا بعد ما كبرت وأحلوت بالشكل دا ،

قررت أعملها مفاجأة وأستناها عند باب جامعتها ، بس بعد ما سألت قالوا أن في لسه محاضرة شغالة قدمها نص ساعة ،

قولت أدخل ألف كدا وأقعد على أي كافتيريا لحد ما تنتهي ، وأنا في طريقي لقيت واحد حيوان ،

وقفت بغضب احاول السيطرة على أعصابي التي تنفلت مني كلما تذكرت ما حدث ،

أمسكت مروه بكفي وجعلتني أجلس مرة أخرى وتوترها يتزايد بشكل لا أستطيع تفسيره ولكنني توقعت أن يكون بسبب ما أخفيه ،

أكملت بشق الأنفس ،

- لقيته ماسك إيدها وبيجرها وراه ، جريت وراهم لقيته واخدها في مكان فاضي بين زرع عند مشاتل كلية زرعة ،

فضلت وراهم وانا ماسك نفسي بالعافية لحد ما وصلوا لحتة فاضيه خالص وأتأكد القذر اللي معاها أن محدش شايفهم ، وقام واخدها في حضنه ونازل فيها....

لم أستطيع أن أكمل ما رأيته لعدة ثواني ، فسألتني مروه سؤال لم أحاول أن أسأله لنفسي لسنوات ،

- وليه ما روحتش في ساعتها وجهتها وعرفتها أنك شوفتها

أجابتها بغضب يتصاعد داخل قلبي بشكل لم أعد أتحكم به ،

- لو كنت روحت كنت قتلتهم الأتنين

وقفت مروه خلفي تضع يدها على كتفي وهي تقول ،

- أنا عارفه كل الحكاية مش جزء منها زي ما أنت شوفت يا مصطفى

ألتفت نحوها بصدمة كبيرة ولكنها ألجمتني بخبر حطم كل أسواري الباقية ،

- ألما جايلها عريس انهارده وزمانه هناك دلوقتي وأنا متأكدة أنها هتوافق عليه وصدقني وقتها مش هنعرف نداري على الفضيحه وأنت أكتر واحد هتضر،

روح ألحقها وأما ترجع هقولك الحقيقة اللي غايبه عنك وخلتك تعاقبها عقاب مشين على حاجه معملتهاش ،

لم أنتظر منها الأذن وركضت نحو منزلها بجنون ، لم تكن الفضيحة تعنيني ، ولم أفكر لحظة في كرهها الشديد لي ، حتى لو ما أخبرتني مروه به

صحيحا وأن هناك وجها أخر للقصة لن أسامحها
على ما فعلته معي أبدا وقبلها لن اسامح نفسي ،
وعليه لن تكون ألما ملكً لأحد غيري ، فهذا قدري
وعقابي الذي أستحقه أنا وهي!!

الدرجة الثالثة ..

" الشغف : وهو أن الحب لامس غشاء القلب ودخل من خلاله "

" غضبُها صراخ وانكسار "

" نظرة الكره اللي شوفتها في عنيكِ انهارده عمري ما كنت اتخيل اني اشوفها في حياتي ، ودي يخليني اتمسك بيكي اكتر وعاوزك كل ما تشوفيني تبصيلي بغضب وحقد زي ما عملتي لأني استاهل اكتر من كدا على اللي عملته معاكي ،

بالنسبة ليا انا ديما هبصلك باحتقار انك رخصتي نفسك وأهانتيها باللي عملتيه معايا ،

وبكدا يبقى دا احسن عقاب لينا احنا الاتنين ، اشوفك بكره على خير يا زوجتي العزيزة "

أغلقت الهاتف وغضبي ما زال يتصاعد حتى وصل لقمة رأسي وما زلت اتوعد بأنني لن أكون زوجة هذا الأحمق يوما وسيكون موتي أهون علي من معاشرة هذا المجنون ،

شعرت بالدوران من كثرة ذهابي وإيابي في هذه الغرفة الخانقة التي اصبحت كالسجن البارد ذو الرائحة العطبة التي تشعرني بالغثيان ، فخطيئتي تحاوطني كالموت ولا استطيع الفرار منها ،

هل مصطفى محق فيما قاله ؟!

هل يجب علي انا أعاقب على ذنب فعلته طوال حياتي ؟!

أليس الله غفور رحيم ؟!

الم اتوب من ذنبي هذا مرارا وتكرارا ؟! لماذا يلاحقني الأن ؟! هل هذا دليل عن أن الله لم يغفر لي ؟! هل استحق هذا العقاب ؟!

هل زواجي من مصطفى عقاب!! هذا ما حلمت به
يوما وتمنيته لسنوات عديدة ؟

يجب علي زيارة الطبيب غدا ، لابد أن أخرج من
صمتي هذا عله يساعدني قبل أن ألجأ للموت
كحل نهائي لما أعانيه ،

غفوت وأنا ما زلت أتحدث كالمجنونة حتى
أصبحت بصداع يقسم رأسي لنصفين ولم أستطع
فتح عيني من قوته ،

انتفضت خارج الغرفة كالممسوسة أبحث عن
مسكن سريع ، فاصطدمت بأمي التي ظهر القلق
على وجهها من رؤيتي هكذا ،
اخبرتها ما أعانيه فركضت تأتي لي بالدواء ومعه
فنجان قهوة حتى أشعر بتحسن سريع ،

بعد عدة دقائق بدأ صداعي يتقهقر شيء فشيء ،
حينها استطعت أن اتصل بالطبيب النفسي وأحجز

معه جلسة سريعة ، وبالفعل وافق على مقابلتي
بعد اقل من ساعة ،

ارتديت ملابسي وخرجت بعدما استأذنت من أمي
ورجوتها أن لا تأتي معي ، رضخت لرغبتي بش
الانفس وتركتني أذهب بمفردي ،
وصلت للطبيب وجلست عدة دقائق حتى جاء
موعدي ،

دلفت لداخل ونظرت نحو الطبيب المتعجب من طلبي
للجلسة واصراري للحديث معه اليوم ،
رفع زاوية فمه بابتسامة وكأنه يخبرني - كنت
أعرف أنك ستأتين -
جلست مترددة ولكنها شجعني على الحديث
فقصصت عليه حكايتي من البداية ،

ظل يستمع لي حتى انتهيت فسألني ،
- لسه بتحبيه !

وبرغم اجابتي على هذا السؤال لفترة قاربت على الشهر وأنا أردد ..

" لقد كرهته كما لم أكره شخصا في حياتي "

إلا أنه عندما سألني بهذا الشكل توقف عقلي ولم أسمع سوى نبضات قلبي تتسارع لهفة وهي تريد إجابته ،

" نعم أحبه بل ما زلت أعشقه حد الجنون "

ولكني أجبته ،

- بعد اللي عمله معايا ما بكرهش حد قده في حياتي

عدل عويناته ونظر للأسفل في ورقته وبدأ بالكتابة ، فأثريت الصمت حتى أنتهى وعندها رفع رأسه نحوي وهو يخلع نظارته بهدوء مميت ،

- لما توجهي نفسك بالحقيقة وتعترفي بيها وقتها تقدري تلجأي لمساعدتي ..

تملكني الغيظ ونظرت لها بغضب وانا أتسأل ،

- يعني إيه ؟ هو أنا بدفع فلوس عشان تكذبني !!

أبتسم مرة أخرى لاستفزازي ثم وقف يدور حول مكتبه سائرا نحو باب الغرفة يفتحها وهو ينظر نحوي قائلا ،

- تقدري تاخدي فلوسك وانتي خارجه ، لأني مش هعرف أساعدك وانتِ

مش عاوزه

وقفت بعنف أركل مقعدي وخرجت بدون كلمة أخرى وأنا أسب وألعن حظي الذي يوقعني دوما في فئة من الرجال الذين يستحقون الحرق أحياء ،

مشيت في الطرقات بلا هدى وأنا أفكر فى حالي وما وصلت إليه بسبب سذاجتي المفرطة ،

من بداية هذا الحقير الذي استدرجني كذبا لألحق به حتى أدرك صديقتي التي أغشي عليها في أحد مشاتل كلية زراعة ،

واكتشفت أنه فخا من هذا القذر حتى يعتدي
علي وهو يهددني بنصل وضعه في بطني ولولا
تدخل أحد المارة قبل أن يأخذني خارج الجامعة
كما هددني لكنت الأن في عداد الموتى ،

جلست أريح قدمي على أحد المقاعد الخشبية
العامة في الطرقات وأنا أذهب بفكري نحو اليوم
المشؤم الذي سلمت به جسدي وروحي لمن أحببت
دون ذرة ندم أو حتى اعتراض ،

كيف أصبحت بهذا الغباء وأنا أظن أنا مصطفى
يختلف عن باقي الرجال وأنه سيراعي حبي له
ويقدر مدى تضحيتي ويشعر بعشقي وسعادتي وأنا
في أحضانه ،

يجب أن أواجه نفسي كما قال الطبيب الوقح ،
لقد عاشرته بمليء أراداتي ، لم أشعر بالخوف أو
بالرهبة كما يقول الفتيات ،

بل كنت أشجعه على المضي قدما حتى النهاية ،
شعوري بالسعادة معه جعلني أوقف تحذيرات
عقلي المستمرة وأكذب حدسي الذي يخبرني بأن
أتوقف وأرفض وأعترض على هذه العلاقة المحرمة ،

ولكنني كنت مثل فتاة ليل تحت تأثير الخمر ،
وهذ الشعور يلحق بي كما يلحق الأسد بفريسته
ليلتهمها كاملة دون نقصان !

سرحت بأفكاري ولم أشعر بمرور الوقت ، أمسكت
هاتفي لأطلع الساعة فوجدته مغلق !
شهقت بصدمة يبدوا أني نسيت فتحه حين خرجت
من عند الطبيب ، فتحته بيد مرتعشة وهالني ما
رأيت عشرات من الاتصالات تعود لأمي ولأبي
ولأخي و له !!

جرت عيني على الساعة فوجدتها تعدت التاسعة
مساء ، لم أصدق عيني للحظات ! لقد مرت ثلاث
ساعات وأكثر وأنا أجوب الطرقات !

وقفت لأعود للبيت ركضا فوجدته أمامي ، توقفت قدمي وتسمر جسدي في مكانه وأنا أنظر لعينيه القاتمة ، التي تخالطت بها المشاعر ولكني توقفت عندما ارتجفت مقلتيه من أثر الخوف !! بل هو شيء أكثر من الخوف ،

شعرت بجسده المتوتر ونظرت ليداه المرتعشتان وهو يقاوم شيئا ما لا أعرف ماهيته ولا أريد أن أخمن ،

وقفنا ننظر لبعضنا البعض دون حديث وكأننا لا نجد ما نقوله ، كسرت حاجز الصمت بكلمات حاولت اخراجها مفهومة ،

- أنا نسيت تليفوني مقفول و و ما حسيتش بالوقت

سمعت صوت أسنانه المطبقة وهو يشير بيده للأمام ، سبقته وسار خلفي بخطوات سريعة فجعلني

أسرع من خطواتي حتى لا يلتصق بي وقدماي
تكاد تتهاوى وأسقط في الطريق ،

وصلنا لمنزلي ودلفت لشقتنا فوجدت الجميع
يقفون متأهبين وأمي تزرف الدموع في أحضان
خالتي ومروه تحاول تهدئتهم ،

حين رأوني انطلقوا جميعا يحتضونني بخوف
وكأني عدت من الموت ، اعتذرت للجميع عما
حدث ولكن أبي مازال غاضبا وظل ينهرني وتعدى
الأمر وهو يقترب مني ورفع يده عاليا ليصفعني ،

لم تسطع أمي ولا أخي تهدئته وحاول زوج خالتي
وخالتي ردعه ولكنه أصر على معاقبتي ،

أغمضت عيني لأتلقى الصفعة ولكني فتحتها على
صوته الرنان وهو يمسك يد أبي ويحذره تحذيرا
مبطنا ،

- أهدى يا عمي الموضوع مش مستاهل

ثم أشار إلي بعينيه فركضت نحو غرفتي أبدل ثيابي وأنا أسمع أصواتهم في الخارج بدت هادئة نوعا ما ،

وهذا المسمى مصطفى أستطاع أن يحتوي الأمر وحول دفة الحوار للمزاح مما جعل الجميع يتضاحكون ،

سيطرت علي شياطيني لأخرج وأقص عليهم ما فعله بي هذا الحقير ليقتلوه أمامي ،

خرجت أصارع أفكاري اللعينة بأن أهدم المعبد على رؤوس الجميع الذين يتسامرون ويتضاحكون على رفاتي ،ويعاملون هذا النذل بكل حب واحترام ،

وجدتهم يشيرون إلي وأمي تبتسم بفرحة عارمة بينما ابي مازال غاضبا قليلا ولكنه حاول أن يتجاوز الأمر بقوله ،

- تعالي يا ما عشان نقرأ فتحتك على أبن خالتك

يجب أن يعرف الجميع حقيقته ، هذا ما حدثت به نفسي بإصرار عجيب وقفت أمامهم وعيناي تطلقان شرارا نحوه فرفع عينيه نحوي بنظرة أعرفها جيدا ،

" عاوزك كل ما تشوفيني تبصيلي بغضب وحقد زي ما عملتي لأني استاهل اكتر من كدا على اللي عملته معاكي ،

بالنسبة ليا انا ديما هبصلك باحتقار انك رخصتي نفسك وأهانتيها باللي عملتيه معايا ،

استجمعت شجاعتي وانتصبت في وقفتي امام الجميع وأنا أقول ،

- كنت عاوزه اقولكم على حاجه مهمة جدا قبل ما تقروا الفاتحة !

"غضبة صراخ وتكسير"

وصلت لمنزل خالتي بأقصى سرعة ممكنة ولكني توقفت أمام الباب ألتقط أنفاسي وأجمع بعض الكلمات المنمقة بعقلي قبل أن أدخل بحلتي المزرية هذه ،

بعدما استغرقت عدة دقائق على وقفتي أخرجت أخر أنفاسي المضطربة ولكني سمعت صوت ضحكاتهم بالداخل وكلمات مباركات وصلت أذني مثل البارود الحارق ،

وضعت إصبعي على جرس المنزل ولم أرفعه حتى سمعت صوت أقدامهم الراكضة نحوي ، عيناي بدأت تخرج نيران ساخنه بينما جسدي يهتز غضبا وخوفا شديدين ،

توقفت للحظة عند شعوري بالخوف!! بالطبع أنا مرتعب من فكرة أن تضيع ألما من يدي ..

نحيت شعوري جانب ونظرت نحو زوج خالتي وأبنه اللذان تخبران عينيهما بألف سؤال وسؤال ، ولكن من اللياقة دعوتي للداخل أولا .. وهذا ما حدث ،

دلفت وأنا أبحث بعيني عنها بلهفة تعجبت لها ، لقد اشتقت لفتاتي برغم كل شيء ،

ولكني رؤيتي لها تخرج من غرفة استقبال الضيوف تاركة رجل يبتسم نحوها بسماجة أنساني كل شيء سوى الغضب الشديد ،

وددت وقتها أن أتناول بضعا من الأنفاس المخدرة حتى أستطيع تجاوز الأمر بقتله دون ذرة ندم أو حتى شعور بالشفقة عليه !

وجدتها تنظر نحوي بكره ممزوج ببعض الحيرة ولكنها أشاحت عينيها عني عندما وجدت الغضب والاحتراق هو ما ينتظرها ،

انهالت على مسامعي التساؤلات القلقة عن مجيء المفاجئ بعد عدة أعوام لم تطأ قدمي هذا المنزل ، ووجدت خالتي تخرج من غرفتها بذعر فتعجبت لأنها لم تشاركهم الاحتفال وهذا نذير خيرا لما جئت لأجله ،

أشرت برأسي نحو هذا الثور الذي مازال يجلس في
غرفة الاستقبال ينظر لأملا وكأنه أصبح من
العائلة يريد تفسيرا منها لوجودي الأن ،

فهم الجميع مقصدي ودخل زوج خالتي إليه
يستأذنه بالذهاب وتأجيل قراءة الفاتحة حتى
حضور باقي عائلته المصونة ،

فطن أخيرا أن وجوده غير مرغوب فيه فتقبل الأمر
وسلم على الجميع بود جعلني أشعر بالاشمئزاز
ولكن عاد شعوري لقتلة وأنهاء حياته التي تشبه
عندي دورة حياة البعوضة يلح علي عندما مد
يده التي يجب عليا قطعها الأن نحو أملا وهو ينظر
نظرة هائمة يستحق عليها أن يفقد عينيه قبل
أنهاء حياته !

صككت أسناني فنظر نحوي بخوف حاول
مدارته واستئذان وأختفى من أمامي قبل أن أنقاد
لشياطيني وأعذبه قبل أن أقتله على تجرؤه
للاقتراب من ممتلكاتي ولكن عزائه الوحيد أنه
لا يعرف ماذا يواجه !

وقفت أمام الجميع بعدما استعدت جزء من توازني
وأنا أخبرهم أنني أريدُها ، نظروا لبعضهم البعض
بتعجب فأكملت بكلمات معتادة عند هذه
المواقف بوعد كبير لإسعادها فوجدتها أطلقت
ضحكة استهزائيه جعلتني أشعر بالارتباك
للحظات فرفعت كفها معتذرة وانطلقت نحو
غرفتها ،

وددت لو أنها انتظرت قليلا حتى أتأملها لوقت أطول ،
تعجبت من مشاعري المختلطة والغريبة ولكني
تركتها وأنهيت حديثي معهم على لقاء غدا مع
عائلتي لنتمم هذه الزيجة الإجبارية أو هكذا
أقنعت نفسي !

تركتهم متعجبين لما يحدث وعدت لمنزلي مشيا
على الأقدام أفكر وأفكر حتى أنهكني التفكير
وقررت أن أتخلص منه بما أعتدت عليه مؤخرا
" جرعة مخدرٍ بسيطة ستفي بالغرض "،

وجدت أخر قرص مخدر مخبأ في حافظتي وسط نقودي ، خطوت نحو كشك صغير وأبتعت زجاجة مياه وانطلقت نحو أحد المقاعد بجوار منزلي ،

رفعت يدي أدلك رأسي من الخلف وأنا أقاوم رغبتي الملحة في تناولها ، أخرجتها وظللت أنظر نحوها بغضب وضعف كما أفعل مع ألما ،

ابتسمت لهذا التشابه العجيب بينهما فهي مثل الإدمان أكره ضعفي أمامها وأكره شعوري بالذنب نحوها ولا أستطيع الابتعاد عنها أو بالأحرى لا أريد ،

قاومت وقاومت حتى وضعتها مكانها وقمت أصعد لمنزلي لأعرف من مروه ماهي حقيقة ما حدث في الماضي ،

لسوء حظي وجدت مروه غطت في النوم هي وولدها الذي من الواضح أنه يعاني ارتفاع درجة الحرارة ،

فهناك بجوارها على المنضدة صحنا كبير يحوي ماء وهناك خرقة مبللة تعتلي رأس الفتى ،

اقتربت منه بقلق شديد أفحصه فبدت حرارته طبيعية ، أعتقد أنها نجحت في تفادي الخطر ،

أظنها شعرت بي ففتحت عينيها بصعوبة وهي تقول ،

- أنت رجعت يا حبيبي ،

فأشرت نحو سيف قائلا ،

- ماله إيه اللي حصل ؟!

أجابتني وهي تفحصه وتحمد اللّه انه أصبح بخير ،

- شوية برد ما تقلقش المهم تعالى أحكيلي عملت إيه ،

أشفقت على مظهرها الناعس فقلت لها وأنا أخرج من الغرفة ،

- نامي أرتاحي دلوقتي ونبقى نتكلم الصبح

ثم عدت لغرفتي وأمسكت هاتفي وأنا أجلس على حافة الفراش وأكتب لها بدون تفكير ،

" نظرة الكره اللي شوفتها في عنيكِ انهاردة عمري
ما كنت اتخيل اني اشوفها في حياتي ، ودي يخليني
اتمسك بيكي اكتر وعاوزك كل ما تشوفيني
تبصيلي بغضب وحقد زي ما عملتي لأني استاهل
اكتر من كدا على اللي عملته معاكي ،

بالنسبة ليا انا ديما هبصلك باحتقار انك رخصتي
نفسك وأهانتيها باللي عملتيه معايا ،

وبكدا يبقى دا احسن عقاب لينا احنا الاتنين ،
اشوفك بكره على خير يا زوجتي العزيزة "

ثم ضغط زر الإرسال ونمت بنفس ملابسي حتى أنني
لم أخلع جواربي وكأنها استنزفت كل طاقتي
البدنية والعقلية والنفسية فلم أعد أريد شيء
سوى النوم على أرتاح قليلا ،

استيقظت بصداع يكاد يحطم رأسي وعيناي
ويطن في أذني صفير يأخذني لحافة الجنون ،

أخرجت حافظتي بسرعة البرق لأتناول هذا القرص
فأنا على يقين أنه علاجي ولكني أدخلته حين
سمعت طرق أمي على باب غرفتي لتخبرني أن عمر
صديقي يريد مقابلتي على وجه السرعة ،

تأففت بضيق وخرجت وأنا أريد الصراخ من الألم
الذي لا يُحتمل فوجدت عمر يجوب غرفة
الاستقبال بتوتر واضح مما أقلقني ،

فسألته ما به فلم يجيبني وأمسك بيدي يجرني
خلفه وطلب مني أن أفتح شقتي لنجلس بها ،
فعلت ما طلبه فأغلق خلفي الباب وهو يسألني بذعر
،

- أنت عامل إيه دلوقتي

تعجبت من سؤاله وأجبته ،

- في إيه يا أبني أنت أتجننت كل دا عشان
تسألني عامل إيه ؟!

أبتلع ريقه وأقترب مني يسألني بحذر،

- أوعى تكون أخدت من الحبوب تاني يا مصطفى

لكزته في صدره بغضب من قوة الألم الذي أشعر به يتزايد في رأسي ، فأرتد جسده للخلف وهو يبتسم ،

- يبقى ما أخدتش منها تاني الحمد لله

توجهت ناحية الباب قائلا ،

- روح شوف مصلحتك يا عمر أنا مش ناقصك

وقف أمامي بجسده الذي يماثلني في الطول ووضع يده على كتفي بعشق أخوي لم أحظ به يوما من أحد غيره ،

- مالك يا صحبي قولي حاسس بإيه

وجدتني أخبره وأنا أزفر بحنق ،

- صداع هيفجر دماغي وعمال يزيد ومش هقدر أستحمله

أمسك بيدي وهو يفتح باب الشقة قائلا ،

- ما هو دا اللي كنت عامل حسابه ، تعالى معايا

سرت خلفه ثم صعدنا لسيارته فلم أسأله حتى إلى أين يأخذني ، حتى وصلنا لأحد مصحات علاج الإدمان ، رغم تعجبي إلا أنني لم أقاوم فأنا أحتاج فعلا للمساعدة الفورية ،

أستقبلني الطبيب الذي من الواضح أنه صديق لعمر ويعلم بحالتي ، بعد التحية والسلام أخذني لغرفة منعزلة في أسفل المبنى وطلب مني أن أتمدد على الفراش ففعلت ،

لحظات وحقنني بمادة حمراء اللون جعلتني أغيب عن الوعي ، استيقظت لا أعلم كم من الوقت غفوت

ولكني وجدت عمر ما زال جالسا بجواري وأمامه حاسوبه النقال ،

سألته كم مضى من الوقت فأبتسم نحوي وهو يخبرني أنه قد مرت ساعتان ، وسألني عن ما أشعر به ؟

شعرت بتحسن كبير جدا فصداع رأسي ذهب جزئيا وأتمنى من كل قلبي ألا يعود فلولا اعتيادي على الشعور بالألم ما كنت تحملته لدقائق أخرى ،

ضغط عمر على زر خاص بالغرفة بينما قمت أنا أعدل ثيابي وأتفحص هاتفي فأخبرني صديقي أن أختي هاتفتني بقلق وهو طمئنها مؤقتا ،

جاء الطبيب بعد عدة دقائق وأخبرني إن شعرت بسوء مرة أخرى فهو ينتظرني ، مع التأكيد على أن أملك زمام نفسي ولا أضعف وأتناول أية مخدر حتى لو كأن شيئا بسيطا ،

شكرته على مساعدتي وخرجت لا أعرف كيف لي أن أسدد الدين لصديقي هذا ،

أوصلني للمنزل بعدما احتضنته بشكر خالص وركضت سريعا أخبر أمي وأبي عما حدث بالأمس فقد أقترب الموعد ويجب أن نتجهز لزيارتهم ،

بالطبع لم تخلو الجلسة من التعجب والأسئلة التي لم تنتهي إلا بإجابات مروه التي أنقذتني ،

دلفت للحمام وأنا أشعر بحال أفضل قليلا عن البارحة ، خرجت بعد دقائق أرتدي ثيابا أنيقة تليق بموعد للخطبة وحين انتهيت وجدت هاتفي يصدر اهتزازة على غير عادته ،

توقعت أن يكون عمر هو من جعله على وضعا صامت وأنا في المشفى ، قلقي تزايد حين وجدته رقم خالتي فأجبت على الفور فتصاعدت صدمتي حين وجدتها تصرخ بي ،

- ألحقني يا مصطفى يا أبني ألما خرجت من تلات ساعات ولسه ما رجعتش وخايفه أقول لأبوها يعمل حكاية أنت عارفه

شعرت بدوران الغرفة من حولي وقلبي توقف عن النبض من أثر الارتعاب عليها فحاولت طمأنتها بكلمات واهية وصوت مرتعش ثم أغلقت الهاتف وانطلقت للخارج بعدما أخبرتهم أن يسبقوني لبيت خالتي ،

جبت الشوارع مثل المجنون حتى وصلت لعيادة الطبيب الذي أخبرتني عنه خالتي ،

صعدت إلى هناك وسألت الفتاة المسؤولة عن الحجز فأجابتني أنها خرجت منذ أكثر من ساعة ونصف،

فقدت أخر قطرة دماء في جسدي وفكرة واحدة تسيطر على عقلي تجعل قدمي تهويان ولا أستطيع أن السير ،

- لقد تخلصت من حياتها بسببي !!-

تحجرت دموعي ولأول مرة في حياتي لا أعرف ما العمل !!

مضيت في طريقا لا أعرف ملامحه وأصبحت خطواتي تشبه الركض وبدأت أهذي بكلمات عجيبة عن الموت ،

توقفت لا أصدق عيني حين وجدتها تجلس على إحدى المقاعد أمام النهر تنظر في ساعة يدها بذعر شديد ،

ركضت نحوها وأنا أنطق حروف أسمها وكأني أتعلق بكل حرف فيه مثل غريق يريد النجاة ،

نظرت نحوي باضطراب فقاومت بأعجوبة كبيرة أن أجرها لأحضاني حتى أعود لرشدي بعدما فقدت عقلي تماما وأنا أبحث عنها ،

فقد الكلام معناه وأتاني صوتها من بعيد وهي
تبرر ما فعلته ، لم أسمع جيدا ما قالته وأشرت لها أن
تسير أمامي ،

فعلت ما أمرتها به ومشيت خلفها أشكر الله بكل
ذرة في جسدي أنها على ما يرام ولم يصيبها
مكروه وإلا كان اليوم هو أخر أيام حياتي ،

وصلنا لمنزلها وصعدت وأنا خلفها وجسدها يرتعش
أمامي بخوف ، رغبة أخرى راودتني لأحتضنها كي
تطمأن أن لا أحد سيؤذيها وأنا على قيد الحياة ،

دلفت للداخل فساد الهرج من العائلة وتساقط اللوم
عليها كحبات المطر وهي تحاول أن تعتذر عما
فعلته ،

نظرت نحو والدها الغاضب الذي قام بانفعال واضح
يخطو نحوها بخطوات واسعة جعلتني أقف أمامه
سريعا وأمسك كفه قبل أن يسقط على وجنتها ،

هدأته بكلمات من بين أسناني وأشرت للأخيرة من خلفي فانطلقت نحو غرفتها ،

جلست وجلس الجميع بعد هذا العرض المثير وحاولت تلطيف الجو ببعض المزاح والدعابات المحببة لديهم ،

هدأت العاصفة وتحدث أبي عن سبب مجيئنا واندمجت أمي وخالتي ومروة بحديث شيق بينما أنا في عالم أخر يسمى - أملا -

خرجت من غرفتها فأستقبلها الجميع بحفاوة ودعتها خالتي للانضمام لنا كي نقرأ الفاتحة ونتمم الأمر ،

عيناها لم تبشراني بخير وهي تنظر نحوي ، هززت رأسي وانا أصك أسناني أنا لا تفعل ولكن يجب أن

أتوقع أي شيء من فتاة أهم سماتها الطيش والحماقة

،

وقفت تحاول تجنب رؤيتي في مرمى بصرها فأسعفني عقلي بشيء فعلته سريعا وهي تقول ،

- كنت عاوزه اقولكم على حاجه مهمة جدا قبل ما تقروا الفاتحة !

الدرجة الرابعة ...

الوَجد :

"ويعني دوام التفكير في المحبوب، وانشغال النفس به، والحزن لفراقه"

"في الحب هي مدافعة"

نظرات مصطفى نحوي ازدادت حدة حين سألني أبي بقليل من الحنق ،

- عاوزه تقولي إيه ؟!

اهتزاز هاتفي في يدي جعلني أنظر إليه بتعجب ، يبدوا أنه من توتري لم أدرك أني أخذته من غرفتي ،

ظللت أدلك الهاتف باضطراب ونظراته تكاد تحرقني وهو يرفع إبهامه يحك به ذقنه ويلوح برأسه نحو الهاتف ،

عرفت وقتها أنها رسالة منه ورغم الحاح فضولي
الشديد أن أرى نصها ولكني تجاهلته وأخذت نفسا
عميقا وحين فتحت فمي بإسمه رن هاتف المنزل ،

تأففت بضيق حين قام والدي ليجيب وحين مر
بجواري قال لي ،

- هشوف مين على التليفون وأجي يكون ربنا
كرمك وقولتي اللي انتي عوزاه قبل ما أنفجر فيكي

نظرت نحو الجميع فوجدتهم ينظرون نحوي بقلق
طفيف بينما وسط هذه العيون أثنان تنظران بغضب
لا أعرف مصدره ،

وفجأة وجدت هذه الممتعضة قامت من مكانها
منتفضه وهي تتعرق ثم أمسكت يدي وهي
تستأذن الجميع بابتسامة مزيفة ،
أنها تريد محادثتي في أمر هام ،

تعجبت لموقفها وأردت أن أوقفها حتى أنتهي من حديثي ولكن إصرارها جعلني أنقاد خلفها ،

دلفنا لغرفتي وأنا أتسأل بغضب عما تريده ، فقد عانيت حتى أستطيع الوقوف أمامهم ،

تركت مروه يدي بعنف أدهشني وهي تقول ،

- أنتِ كنتِ عاوزه تقوليلهم اللي حصل بينك وبين مصطفى ؟!

غارت عيناي بذهول أفقدني النطق لعدة ثواني حتى عادت علي السؤال بفظاظة أكبر فتمالكت نفسي لأجيبها ،

- الحقير دا قالك على اللي عمله ،

ضيقت عينيها بشرسة قائلة ،

- قالي على اللي عملتوه أنتوا الأتنين يا ألما

ابتلعت ريقي وأنا أشدد قبضتي بعصبية ،

- طبعا هتدافعي عن أخوكِ عشان راجل يعمل اللي يعمله لكن الغلط كله لازم يبقى عليا أنا مش أنا البنت !!

صكت أسنانها بغيظ ممزوج بقليل من الحزن ، نعم شعرت بحزنها علي ..

كم تمنيت أن أرتمي في أحضانها وأقص لها ما حدث وأخبرها عن ندمي ومحاولة تكفير ذنبي لما فعلته ،

ولكني لم أستطع مكابرة مني أو لنقل عناد وتمسك بقليل من كرامتي وكبريائي المهدور ،

تلألأت عيونها بقطرات شفافة وحاولت التماسك قائلة ،

- لو كنتي ناوية تفضحي نفسك أفتكري ستر ربنا ليكي يا ألما وأن ربنا بيغفر الذنوب وبيعافي أصحبها إلا المجاهرين بالمعصية ،

ثم أكملت وهي تضع كفها على كتفي ،

- ربنا سترك مره وأحمدي ربنا أن مصطفى عرف غلطه وجاي يكمل ستر ربنا عليكِ ،

ثم تركتني وأنا على حافة الانهيار وخرجت من الغرفة ، توجهت بخطوات واسعة نحو نافذة غرفتي وفتحتها على أخرها ونظرت نحو السماء وكدت أن أصرخ بصوت يشق حنجرتي ،

- هو دا الستر اللي سترتهولي ولا الجحيم اللي مستنيني معاه ، دلني على الطريق قولي أعمل إيييييييه عشان تغفرلي

دارت بي الغرفة وتركت قدماي تهويان على الأرض ومعهم دموعي ، طرقات أمي على باب غرفتي جعلتني أجيبها وأنا أحاول كتم أنفاسي حتى لا تشعر ببكائي ،

- حاضر يا ماما جايه حالا

جففت دموعي وأنا أستند على حافة فراشي لأستطيع النهوض ، شيئا ما جعلني أمسك هاتفي لأرى رسالته ،

فتحتها بيد مرتعشة وأنا أقرأ محتواها ،

- أنا كسرت فرحتك وأنتِ كسرتي قلبي أرجوكِ ما تكسريش فرحتهم هما ما يستهلوش منا كدا

لأول مرة أتفق معه على شيء بعدما أنسقت معه لمضجعه ،

توجهت ناحية الحمام وغسلت وجهي ونظرت نحو انعكاسي في المرأة وحاولت رسم ابتسامة باهته لا معنى لها وخطوت نحوهم أجلس في المقعد الفارغ بجواره ،

سألني أبي عما كنت أريد قوله ، فنظرت نحو معذبي وأنا أقول ،

- كان ليا شرط ،

وهنا تدخلت خالتي قائلة ،

- أنتِ تؤمري وأحنا ننفذ يا ست البنات

فكرت جيدا في شرط يستطيع انقاذي فلم أجد خيرا مما ألهمني به ربي ، أعدت النظر نحوه وأنا أقول ،

- مصطفى يسيبني أشتغل بعد الجواز

تعجب أبي وكذلك أمي فلم أكن يوما من هذا النوع من البنات فأنا مدللة وكسولة لأبعد حد ، ولكني أصريت عندما وجدت وجهه الابيض أصبح باللون الأحمر القاتم ،

حاولت خالتي وزوجها يلطفون الأجواء ويتكلمون عن فوائد عمل المرأة في تحقيق ذاتها وهكذا كلام لم أسمع منه سوى القليل وأنا أفكر لما غضب هكذا من طلب قولته لأخرج من مأزق!!

خلل أصابعه بين خصلات شعره وهو يقول من بين أسنانه ،

- إن شاء اللّه نبقى نشوف الموضوع دا

رفعت زاوية فمي بابتسامة وأنا أفطن شيئا أسعدني رغم كل ما حدث ،

" مصطفى لسه بيغير عليا "

رفع الجميع كفوفهم يتلون آيات سورة الفاتحة ببهجة وسعادة جعلت عيني تترقرق بدموع حبيسة خلف قضبان الذنب الذي لن يترك كاهلي مهما حييت ،

انتهوا بينما وقف مصطفى يمد يده بعلبة حمراء مربعة وفتحها ببطيء وهو يخرج منها خاتم رائع الجمال ،

لمعت عيني بفرحة وجدت طريقها لقلبي رغم انفي وآنفه ، امسك بيدي فسرت قشعريرة في جسدي من لمسته الباردة ،

نعم باردة كا الجليد مثل نظراته وتحركاته الآلية وكأنه مكره او مُجبر! بالفعل هو كذالك!

بدأت التهاني والأحضان والتمنيات السعيدة لحياة تملؤها التفاؤل والامل ،

جلس الجميع مرة أخرى يشربون كؤوس الشربات ويمزحون على مواقف مضت وأشياء من الماضي السعيد الذي يجمعنا انا وهو ،

انتهت الجلسة بتحديد موعد الزفاف بعد أشهر قليلة لحين الانتهاء من التجهيزات اللازمة ،

لم أستطع النظر نحو مروه ولا موجهتها بعد حديثنا المخزي ، فأنا بالفعل اشعر بالخزي والحرج الشديد من نظراتها المهينة لي ، حتى وإن لم تقصد أو تعي ذلك ،

كنت انتظر اللحظة التي يأخذني فيها مصطفى
لغرفة أخرى ليوجهني ويخبرني لماذا تخلى عني
بعدما حدث بيننا ،

ولكنه خذلني لمرة ثانية واستئذان معهم وغادر دون
ان يُحدثني ولا حتى بحديث عابر أو تقليدي ،

ابتلعت غُصتي ودلفت لغرفتي أجُر أذيالي بعدما
رحلوا ، بدلت ثيابي وجاءتني امي مهللة بفرحة
عارمة وسعادة ترتسم وجهها وهي تباركني للمرة
الثانية ،

جاريتها بسعادة مزيفة حتى خرجت ، تمددت
على فراشي وأنا أفكر في سيناريوا مختلف ،

هل هذه ستكون ردة فعل أمي لو كنت أخبرتهم
ما كنت أنوي ، وبرغم كل شيء يجب أن يأتي
يوما أشكر فيه مروه على ما فعلته معي ،

شعورا يجتاحني لأبعث له برسالة اسأله لما يتجنبني ،
ولكني نفضت الامر من رأسي وانا اجيب نفسي ،

- أكيد بيكرهني طبعا

عضضت شفتي السفلي بغضب شديد ، لم أفكر به الأن ؟!

لماذا لا اترك الامر كما هو وأتقن معه هذا الدور التمثيلي الرائع وننهي هذه المهزلة ؟!

راودني سؤال لم أفكر به من قبل ،

وماذا بعد ؟! نعم ماذا بعد أن نتزوج أنا وهو ؟! سنعيش ونتعايش وكأن شيء لم يحدث ؟! أم سيظل يعاقبني على ما فعلنا ؟؟

هل سأظل زوجته لأعوامٍ كثيرة أم سأتحرر منه بعد مدة من الزواج ؟!

وماذا سيحدث في علاقتنا سننجب أطفالا أم انه لا يريد أولادا مني ؟!

شعرت برأسي سينفجر من فرط التفكير في أمورا لا يعلمها إلا اللّه ،

وضعت رأسي على وسادتي وحاولت النوم ولكنه جفاني ،

جلست مرة أخرى وأنا أتنهد بألم وأمسك هاتفي أعبث به ، فوجدت أخي قد بعث لي صورا التقطها لنا فيما تسمى حفلة الخطبة ،

فتحت واحدة تلو الاخرى ولم أتمالك دموعي الحارقة وأنا أتخيل كما كانت وجوهنا حزينة تثقلها للهموم والآثام ،

ذهبت بعقلي لسؤال أخير ،

لو لم نفعل ما فعلنا لكنت الآن أسعد فتاة على وجه الأرض!

وصلت لفيديو قصير من صنع أخي ،

يظهر مصطفى في بدايته وهو يلبسني خاتمه ، تأملت ملامحه الحزينة مما جعلني أكبر الصورة خمسة أضعاف وأنا أنظر لعينيه التي تشبه السماء

المحملة بالغيوم فوجدتها تتلألأ بدمعة سقطت ولكنها تداركها سريعا بين إبهامه وهو يسعل ويداري وجهه !

لقد بكى مصطفى وهو يلمس يدي!! لماذا ؟!

أعدت المشهد خمس مرات وأنا في ذهول تام ولا استطيع التحكم في قلبي الهادر،

اخذت لقطة سريعة للشاشة وبعثت له الصورة على أحد مواقع التواصل وفوقها تعليق ،

- عاوزه أعرف ليه كنت بتبكي ؟!

انتظرت فترة ليست بقصيرة حتى جاءني جوابه ،

- عشان دي كانت أخر مره هلمسك فيها

انقطعت أنفاسي وأغلقت الهاتف وقذفت بها بعيدا عني وأنا أنعي مشاعري وقلبي الذي مات للتو....

- أما هو فيلجأ دائما للهجوم -

وقفت تحاول تجنب رؤيتي في مرمى بصرها فأسعفني عقلي بشيء فعلته سريعا وهي تقول ،

- كنت عاوزه اقولكم على حاجه مهمة جدا قبل ما تقروا الفاتحة !

أشرت لها برأسي لتتفقد هاتفها الذي من حسن حظي خرجت به من الغرفة ، ولكنها وبكل سذاجتها لم تبالي ،

أغمضت عيني وزادت حدة تنفسي وأنا أناجي ربي وأنتظر الضربة القاضية من هذه المختلة التي ستقصم ظهر الجميع ،

رن هاتف المنزل وهي تنطق بإسمي فتوقفت هي وتنهدت أنا براحة مؤقته ، عنفها والدها وهو ذاهب

ليتلقى الاتصال الذي من الواضح من صوته واعتذاره كان لعريس الغفلة الذي أتى بالأمس ،

سريعا بعثت برسالة أخرى لمروه لتنقذ الوضع وهي نظرت لمحتواها أحمر وجهها غضبا يبدوا أنها لم تنتبه لهذه الحمقاء وما تريد قوله ،

انتفضت واخذتها لغرفتها علها تعود عن قرارها الأرعن الغير مسؤول بالمرة ، عاد والدها يخبرنا كما توقعت أن الاتصال كان من عريس الأمس وانه أعتذر له عن قبول طلبه ولكنه شعر بالقلق من ردة فعل هذا الرجل ،

تعجبت وأنا أتسال بابتسامة ،

- عمل إيه يعني ؟!

أجابني وهو يفكر ،

- قالي انتوا اللي هتندموا وقفل السكه

أطلقت عدة ضحكات وحولت الأمر لمزحة خفيفة الظل حتى جعلت الجميع يضحكون عليه ،

تسأل والدها عنها فأجابته خالتي انها مع مروه في الغرفة يتحدثون قليلا ، فأكمل ،

- قالتلكم يعني كانت عاوزه إيه

هزت خالتي رأسها نفيا فشعرت بأنفاسه الحارة مما زاد قلقي ، أنا أعرف والدها جيدا هو قاسي الطباع فيما يخص ألما فتاته الوحيدة التي تتمتع بجمال باهر يخطف أنفاس الرجال ،

لهذا لا تغادر المنزل بمفردها يوما إلا عندما ذهبت للجامعة وكان وقتها يعين أخيها حارسا عليها ،

ذهب عقلي لليوم المشؤوم فحاولت ألهاء نفسي بالحديث في الرياضة ، فزوج خالتي العزيز يشجع نفس فريقي بينما والدي وأبنه يشجعون فريقا منافسا لهذا كان الحديث مادة ألهاء اكثر من جيدة ،

كنت أبتسم زيفا على حنق أبي الشديد مني
وتوقفت حين خرجت مروه من الغرفة بوجه
ممتعض وعينان غائرتان بدموع حبيسة ،
أشارت برأسها انها فعلت ما بوسعها ،

توجع قلبي على ألما للحظات فإن كانت هذه حالة
أختي التي لا علاقة لها بالأمر فكيف حالها هي ؟!

هذه الحمقاء لا تعرف أنني مرتعب عليها هي إن
صرحت بالأمر ، فإنا كنا نتقاسم الذنب أمام الله
فأمام المجتمع لن يقع اللوم سوى عليها ، سيغضب
عائلتي مني غضبا شديدا ،

ولكن هي ! تأففت بألم وانا أتوقع القادم ،
إن لم يقتلها والدها سيلحقها العار حتى وإن
تزوجتها ،

لن أتمنى الأن سوى أن يصيبها العقل مرة واحدة
وتتدارك أمرها قبل فوات الآوان ،

سمعت صوت صراخها من خلف النافذة التي خلفي ،
نظرت للجميع بذعر فلم أجد أحدا منتبها ، وددت لو
رفعت صوتي ليسكت الجميع حتى أسمع ما
تقوله ولكنني عجزت عن ذلك ،

ضممت كفوفي بعضهما البعض أعصرهما بوجع
ليس له مثيل ، ما الذي فعلته بنفسي وبها ، عاد
صداع رأسي يقاتلني بضراوة ،

استسلمت للقليل منه عندما غادرت خالتي الجلسة
لتتفقد ألما ، استأذنت منهم كي أذهب للشرفة
أتنفس قليلا من الهواء ، فقد كدت اختنق بالفعل
،

عدت بعد قليل فوجدتها تأتي من بعيد ، جلست
على مقعدي وانتظرت ،
خطت نحوي فأغمضت عيني أستنشق عبيرها المميز
،

دار عقلي وأنا أتذكرها في احضاني وتوالت لحظاتنا الحميمية كأنها تحدث مجددا ، شعرت ببرودة يدي من تدفق الأدرينالين في عروقي بشكل مبالغ فيه ،

صوتها انتشلني من أعماق ذكرياتي الأسعد طوال حياتي ،

- مصطفى يسيبني أشتغل بعد الجواز

لحظات حتى استوعبت ما تقوله فانتفض قلبي بغيرة حارقة وأنا أتخيلها تخرج بمفردها كل يوما تمارس عمل ما !

مؤكد جنت هذه الفتاة ،

خللت أصابعي في خصلات شعري باستياء واضح شعرت هي به فابتسمت ، وهكذا وضحت نيتها هي تريد استفزازي ،

أجبت بدبلوماسية حانقة لأنهي هذا العبث
وخصوصا بعدما تدخلت أمي في الحديث وظلوا
يعددون فوائد العمل التي لا أبالي لها على الإطلاق ،

أنتهى الحديث ولله الحمد ورفعنا أيدينا لتلاوة
الفاتحة لنبني اللبنة الأولى لعلاقة شرعية للجميع
هزلية لي ولها ،

أخرجت خاتم الخطبة من جيب سروالي وأمسكت
يدها فداعبت رائحة عطرها المميزة انفي مرة أخرى
،

يديها دافئتان كقلبها النابض بينما يداي باردتان
كصقيع ذكريات ذهبت ولن تعود ،
ألبسته إيها سريعا وانا أرى الفرحة تتراقص خلف
دموعها ، ورغم عني اجتاحني شعورا بالبهجة
يصاحبه أحساس النشوة التي انتهت لذتها حين
تركت يدها بسرعة فائقة ،

وأنا الحق بدمعة فارقت عيني رغما عني ، ازحتها سريعا وأنا أتناول كوبا من الماء لأعود لرشدي قبل أن يفتضح امري ،

فألما أصبحت لعنتي ، اقترابي منها لعنة ! وبُعدي عنها لعنة اسوء ! داعب عقلي قرار فادحا بتحريمها علي حتى لا تصبح إدماني الجديد بعد سيجارة التبغ التي بالكاد أحاول التخلص منها ،

أنهينا هذه الجلسة العائلية واستئذانا الجميع للذهاب فوجدت أبي يميل علي أن أجلس مع خطيبتي قليلا ،

رفعت زاوية فمي بابتسامة عبثيه ، انهم بالفعل يصدقون هذه المسرحية ، اشفقت عليه وتعللت بأسباب تافهة للذهاب معهم رغم أنف امي التي رمقتني بعدة نظرات حانقة ،

عدنا للمنزل وأسرعت لتبديل ثيابي وذهبت لغرفة مروه لأسمع ما كانت تريد قوله ولم يسعفنا الوقت لذلك ،

وجدتها تحاول مع ولدها ليخلد للنوم ولكنه يأبى ، طلبت منها ان تحضر لنا فنجانين من القهوة حتى نكمل حديثنا وتتركني مع سيف وأنا سأجد حالا معه ،

ذهبت مروه كما أمرتها وجلست بجوار الفتى أحاول معه محاولات واهية لينام ، لم يطيعني إلا حين وعدته بنزهة لنا سويا في عطلة نهاية الأسبوع القادم ،

جاءت مروه تلوح بيدها حتى لا توقظه مرة أخرى ، خرجت من الغرفة بهدوء وجلسنا سويا في غرفة المعيشة ،

بعدما تحدثنا قليلا وأخبرتني عما قالته لها ألما
وكيف أحزنها وضعها وهي تحاول العناد حتى
تحفظ ماء وجهها ،

سعدت لأن مروه فهمت الأمر على هذا النحو ، فهذه
الفتاة مثل الطير المذبوح الذي يقاوم ليظل على قيد
الحياة حتى وأن جرح اليد التي تحاول مساعدته ،

تعجبت مروه لتحليلي هذا فشتت انتباهها لتغيير
الموضوع فهي لا تعلم أنني أشعر بنفس هذا الإحساس
القاتل بل أكثر قليلا فأنا اجرح نفسي بإدماني
للمخدرات !!

سألتها عن حقيقة الماضي الذي عايشته لسنوات
طويلة ، أخذت عدة أنفاسا متوترة وتركت
فنجانها من يدها وبدأت تقص علي الأمر !!

- الشاب دا كان معجب مهووس بألما من ساعة ما دخلت الجامعة ، حاول يتقرب لها اكتر من مره وكانت بتصده بطريقة مهذبه ،

ابتلعت ريقها وهي تحاول تجنب النظر لعيني واكملت ،

- أنت عارف ألما بتخاف قد إيه وخافت لو أشتكت لحد من تعرضه الدائم ليها ممكن الشاب دا يضرها..

طبعا خافت تقولك او تقول لبابها أو حتى لأخوها ، وفي يوم لقيتها جيالي منهاره وبلوزتها شبه متقطعه ،

أزداد اشتعال جسدي غضبا وشعرت بعيناي تحترقان سخطا ، فتوقفت مروه لأحتها بزئير لتكمل ،

- حاولت اهديها وبعد ما عدت ساعة حكاتلي اللي حصل ، الشاب دا ضحك عليها راح لها المدرج

قبل ما تبدأ محاضرتها وهو عارف انها معدتش
بتروح الكافتيريا بسببه ،

قعد جنبها وقال لها ان صاحبتها مغمي عليها في
الحديقة اللي ورا الجامعه بسبب واحد صاحبه
ضربها ، فقامت جري مذعوره تشوف صاحبتها ،

أوقفتها سريعا بصوت مرتفع لعدم منطقية ما
تقوله ،

- مش فاهم وهي صدقته بسهوله كدا ؟!

اهتز صوتها خوفا من غضبي واكملت سريعا ،

- ماهو صاحبه دا كان مرتبط بصحبتها يا
مصطفى مش هتصدقه ليه وخصوصا أن البنت
مكنتش في المدرج فعلا ،

صرخت بها لتكمل فاختض جسدها وهي تقول ،

- لما راحت معاه ملقتهاش وعرفت أنه كذب عليها هزقته وجت عشان تمشي خرج مطوه من جيبه ومسك إيدها وهددها بيها ،

عند هذا الحد شعرت بقلبي يهدر لدرجة أنه كاد ان يتوقف من الغضب ، لم تكمل مروه وتخيلت انا ما حدث ،

كلما رأيته كان تحت تهديد السلاح ، وانا أقف في الزاوية متفرجا عليها ثم أذهب بعدما توغر صدري وأشتعل قلبي غضبا ليأتي شابا أخر لينقذها من يديه ،

قمت أجر أذيل الخيبة والخزي وأعود لغرفتي مطبقا فمي للأبد ، لقد تخليت عنها وخذلتها مرات ومرات ، ارتكبت هي خطأ واحدا فادحا بينما أنا ارتكبت في حقها أخطاء لا تغتفر!

أدركت أنه يجب علي نسيان ما سمعته الأن حتى يرقد ضميري قبل أن أنهي حياتي ليتوقف هذا العذاب ،

أخرجت الحبة الملعونة من جيب حافظتي و ابتلعتها
على الفور بلا تردد ودون حتى قطرة ماء ،

رن هاتفي بوصول رسالة على احد مواقع التواصل
الاجتماعي ، قررت تجاهلها فأنا لست في مزاج
لتفقد أي رسائل من أحد ،

شيئا ما بداخلي حثني أن افتحها ، دون إبطاء
تفحصتها فوجدتها صورتي ودمعتي تقف على
حافة عيني تأبى السقوط ،

تأملتها لوقت طويل هي وحروف الرسالة المصاحبة
لها ،

- عاوزه أعرف ليه كنت بتبكي ؟!

بماذا أجيبها !

هل أخبرها أنني كنت أبكي من ذنب فعلته في
لحظة ضعف سيجعلني أعيش عمري احاول
التكفير عنه ؟!

أم أخبرها أنني ابكي اشتياقي لها ولرائحتها التي
تسكرني ؟!

هل أخبرها أنني بكيت لبُعدها عني طول شهر
كامل ؟!

أم أخبرها أني أصبحت أتعاطي المخدرات حتى
أخرجها من عقلي قليل قبل ان أفقد صوابي من
عشقي لها ؟!

لا لن أخبرها سوى الحقيقة ، فأنا لا أستحقها لن
أخذلها مرة أخرى ولن أجعلها تعاني مع رجل
أحمق مثلي ،

سنتزوج لأصلح جزء من خطئي ولكني لن أربط
سعادتها بشخص جبان تركها لأحد الكلاب
يعبث بجسدها وذهب يلعنها ويحتقرها لسنوات ،

لعنت قرص المخدر الذي لم يُجدي نفعا ولم يشعرني
حتى بقليل من التحسن ،
تذوقت ملوحة دمعتي التي تركتها تسقط علها
تطفئ قليلا من نار قلبي المشتعلة وأرسلت لها ،

- عشان دي كانت أخر مره هلمسك فيها !!

الدرجة الخامسة..

الكَلَف :

" ويعني شدة الولع بالمحبوب، وانشغال القلب به وتعبه ومشقته في التفكير "

" هي تصنع سعادتها "

لم أنم ليلتها وبت أتقلب على جمرات من نارٍ حامية تقد مضجعي ،لم ينفك عقلي من التفكير في كل ما مربي وما سيأتي بعد ،

ألن أنتهي من هذا العذاب ؟ أما آن الآوان أن أمضي قدما في حياتي وأمزق هذه الصفحة السوداء من تاريخي وأخط بيدي سطورا أخرى أكثر وضوحا ونقاء ،

أنار عقلي باقتراح العمل الذي أطلقته في " خطبتي "
فأصابتني نوبة ضحك على هذا الوصف الهزلي
وانتهت بنوبة بكاء هستري ولم تتوقف إلا عند
سماع صوت الأذان يصدح في الأرجاء ،

قمت أجر قدمي إلى دورة المياه واغتسلت اغتسال
المرتد وتوضأت وصليت فردي الذي أهملته منذ وقت
طويل ،

سجدت أول سجدتي ووجدتني أشهق ببكاء مرير
لم أستشعره من قبل ، اختلطت دموعي بملامح
وجهي الملتصقة باستواء على أرضية الغرفة وأنا
فاقدة للنطق أبكي فقط !!

بحثت عن كلمات تعبر عما بداخلي فلم أجد
حرفا ينقذني ، لم أستسيغ جمل الندم أو كلمات
للاستغفار أو حتي وصف يستطيع إخراج ما بداخلي
،
بحثت في عقلي عن دعاء يحفظ ماء وجهي فلم أجد
أو بالأحرى لم أتذكر !

أخذت نفسا عميقا ليملئ صدري ثم أخرجت جزء
من أنفاس صدري التي ضاقت ذرعا بي مع صوت
مرتعش أنبثق من حنجرتي بثلاثة حروف

- يااااااااااارب

هذا النداء كان كفيلا أن أرتمي بجوار سجادتي
متكورة على نفسي أحاوطها بكلتي يدي ،
أغمضت عيني فسقط الباقي من دموعي علي وجنتي
مرورا بأنفي حتى وصلت أخر قطرة منها على
سجادة الصلاة ،

نمت على وضعي هذا وأخر صوت دخل أذني هو
صوت تغريد الطيور أمام نافذة غرفتي ،
يوم جديد وأمل جديد قد تحطم بالأمس ولكن
يبقى رجائي وأمنيتي لأستيقظ صباحا بيوم قد
محيت به كل ذنوبي ما زال دوما قائما ،

قمت بنشاط مزيف تثقلني همومي وقد قررت أن أتوقف تماما عن التفكير في القادم ، سأعيش يومي كما هو وسأرضى بقدري الذي أخترته أنا ، وسوف أبدأ من الأن بتقبل أخطائي والاعتراف بها وأنا على يقين أن هذه الخيارات هي بداية الطريق ..

بعد أن أنهيت فطوري جلست على فراشي أضع فوق قدمي حاسوبي الذي لم أفتحه منذ أن توقفت عن مراسلته ،

صوت الطبيب بدأ يتردد في عقلي وهو يقول جملته التي أعادها علي مرارا وتكرارا طوال جلسته ،

- الإلهاء أفضل وسيلة للهروب من مشاكلك لحد ما تلاقيها حل ، ما تفكريش في مشكلة وانتي يائسة ومنفعلة وحزينة ، نسي نفسك بأي شيء مفيد وأرجعي بعد ما ذهنك يصفى ،

قررت أن أعمل بنصيحته وخاصة أن الأمر خرج من يدي فالألم وخيبة الأمل تحاوطني من كل مكان ولا سبيل للهروب ،

تصفحت كل موقع في الشبكة العنكبوتية يخص مجال دراستي

" التسويق وإدارة الأعمال "

وجدت مواقع لا حصر لها أمدتني بإفادة غاية في الأهمية ومنها موقع عثرت عليها صدفة يقدم منحة خاصة ومجانية مقدمة من أحد الشركات الكُبرى مقابل مقترح مكون من عشر صفحات يفيد التسويق التجاري لسلعة ما ،

تحمست للفكرة ووجدت منفذا لتفريغ طاقتي السلبية التي أطفئت كل خلايا عقلي وقلبي على السواء !

دخلت أمي غرفتي تتأفف بضيق على مكوثي بها كل هذه المدة ، استشعرت خوفها أن أكون عدت لانعزالي ،

نظرت لها بابتسامة أخرجتها من عمق قلبي الذي أصبح حطما ثم قلت لها،

- صباح الخير يا أحلى أم

أجابتني وهي تنظر لحاسوبي وتمصص شفتيها ،

- قولي مساء الخير يا ست ألما المغرب قرب يأذن

مددت يدي نحوها أشير أليها أن تقترب مني ، اقتربت على مضض تجلس بجواري فقبلت وجنتها بدلال وأنا أعرف أن هناك أمر أخر يضايقها فسألتها ،

- إيه اللي مضايق ست الكل ؟

نظرت نحوي تضيق عينيها قائلة ،

- هو مصطفى كلمك في التليفون ؟!

تجهم وجهي تلقائيا تمنيت لو عاتبتها ..

" لماذا تذكريني يا أمي فأنا أحاول أن أتخطي ألمي قليلا "

وقفت بعنف لأني لم أمنحها أجابه كانت تنتظرها فبدأت تتمتم بغضب ،.

- أنا كنت عارفه أنه جلنف وقليل الذوق امبارح يمشي من غير سلام ولا كلام وامه تقوله اقعد مع عروستك ولا يعبرها قولت يمكن محرج وهيجي بكره يخرجك ولا يحسسك انك عروسة كانت خطوبتها امبارح انما لا حس ولا خبر كدا ،

حاولت أن أتكلم سريعا ولكنها لم تعطني فرصتي وأكملت وكأنها بلون انفجر للتو ،

- ليه إن شاء الله بايره ولا بايره ، لاء انا مش هسكت أنا أصلا ما بحبش الواد البراوي دا لكن ماردتش ازعل أختي مني ولقيتك انتي كمان راضيه ما رديتش أقف قصادك أنما يبدأها قلة ذوق وقلة أدب ويستهين بيكي تغور القرابة وأختي لو رضت بكدا يبقى تغور هي كمان ،

ثم انطلقت مثل البارود نحو هاتف المنزل الداخلي ترفع سماعته بحدة ففطنت على الفور أنها تهاتف خالتي ،

ركضت نحوها سريعا ووضعت أصبعي على زر قطع الاتصال وأنا أحاول اختلاق كذبة سريعة لأتدارك هذا الموقف العصيب ،

- أستني بس يا ماما ، مصطفى كلمني من الصبح واعتذر لي عن إمبارح لأنه كان رايح مع مروه تكشف على سيف انتي شوفتيه امبارح كان تعبان خالص ،
- انهارده عنده شغل ضروري ووعدني هيعوضني ،

ثم أمسكت كفيها أترجها ،

- أرجوكي يا أمي ما تعمليش مشكلة وتزعلي خالتو من غير سبب

أخرجت نفسا ساخنا من أنفها وهي تتفحصني
لتتأكد من صدق روايتي الغير منطقية ولكنها
مررتها طواعية ،

حين ضاقت حدقتي ببراءة طفل يتوسل أمه أن
تطيعه في أمر ما ،

تركت سماعة الهاتف من يدها فاحتضنتها
شاكرة وأنا أتذمر جوعا ، ابتسمت نحوي برضا
ففرحت أني استطعت أرضائها أخيرا ،

أمضيت معها بعض الوقت تناولنا خلاله الطعام
وتحدثنا وتسامرنا فشعرت أن روحي الممزقة يعود
بعضا من شتاتها ويضم بعضه بعضا فعاد إلي جزء
من راحة وسكينة لم ألفه منذ وقت طويل ،

غلب أمي النعاس فتركتها وعدت لغرفتي مبتسمة
ابتسامة طفيفة أشرقت على وجهي الضني المنهك
تنير شطرا منه ،

جلست على فراشي مرة أخرى وقررت أن سهرتي الليلة ستكون على هذا البحث لأضمن الفوز بالمنحة المقدمة ، برغم أن شكوك تراودني فمؤكد هناك مئات المتقدمين ولكني تشبثت بقليل من الأمل أن أقدم شيء مختلف يؤهلني للفوز ،

سمعت صوت إشعارٍ من هاتفي يفيد أنه أقترب من انتهاء شحنه ، أمسكته لأرى كم متبقى من البطارية فوجدت ثلاث مكالمات لم يجاب عليها وحين فتحتها وجدته رقما غير مسجل !

تعجبت وترددت أن أعيد الاتصال ولكن هاتفي لم يمنحني الفرصة وقرران يلفظ أخر أنفاسه ،

وضعته ليعيد شحنه وعدت لحاسوبي بعدما نفضت رأسي من التفكير في هذا الرقم ،

واستغرقت بتركيز تام في كتابة بحثي مستعينة بكل موقع يخص الأمر حتى أنهيته مع سطوع أول شعاع للشمس ،

أرسلته للبريد المذكور في تعليمات المسابقة وأنا
أتثائب بإرهاق شديد ، تأكدت من تسليمه
وأغلقت حاسوبي وارتميت على فراشي ولم أشعر
بعدها بشيء ،

أتاني صوت أمي من مكان سحيق توقظني لقد
أنتصف النهار وأنا نائمة ،

قمت أتحسس هاتفي لأرى الساعة كم أصبحت فلم
أجده ، لحظات حتى تذكرت أني تركته موصولا
بشاحنه ،

نهضت بتكاسل فلم أنال ما أحتاجه من الراحة
بعد ، أمسكت هاتفي أعيد تشغيله فاختض
جسدي من اهتزازه المبالغ فيه جراء استقبال رسائل
نصيه ،

جلست على المقعد خلفي اتفحص هذه الرسائل
فوجدتها تعدت العشرة بعدة أرقام ،

فتحت الأولى ،

- أنا عمر صديق مصطفي ودا رقمي وعاوز أتكلم معاكي في موضوع مهم

نظرت للرقم فوجدته صاحب أتصال البارحة ،

أغلقتها وقمت بفتح التي تاليها فوجدتها ايضا منه ،

- أرجوكي يا أنسه ألما كلميني ضروري

الثالثة والرابعة والخامسة بنفس المعنى فأنقبض قلبي بوجع لا أعرف مصدره فبدأت ألتهم باقي الرسائل من بعد الخامسة كلها تخص مروه !!

- انتي فين يا ألما ؟؟

- يابنت كلميني ضروري مش عارفه ارن على تليفون البيت

- الحقيني يا ألما بالله عليك ردي بسرعه

وصلت للأخيرة وقلبي يكاد يتوقف ويدي ترتعش رعبا ،

- مصطفى هيضيع يا ألما

وقفت أنفاسي وسط حلقى وأنا أعيد الاتصال بمروه
،
سمعت حشرجت صوتها بعد لحظات وهي تنتحب قائلة بكلمات حاولت تفسيرها ولم أستطع ،

- أرجوكي أبوس ايدك يا أما الحقي مصطفى !!

"أما هو فما زال يتمنى"

بعدما مرت ثلاث ساعات وأن أضع رأسي على وسادتي دون حراك وقد توقف عقلي عن التفكير، شعرت أنني أعيش في ثقب أسود لا نهاية له وكأنني قفزت من حافة الهاوية وما زلت أفرد ذراعي في الهواء،

أنتفض جسدي تلقائيا حين سقط على أرضٍ صلبة وبارده، أنا مصطفى إسماعيل عابد الذي يرجف كل جبان من سماع اسمه، أنا من أوقفت كل ذكر حقير في منطقتي عن التعرض لأي فتاة حتى بالقول، تركت كلب حقير يلمس جسد فتاتي تحت تهديد السلاح !!

الأمر تخطى مرحلة الإحساس الشديد بالذنب، لن أستطيع أن أعيش حياتي بعد الأن دون أن أقتله !

جلست وداخلي يغلي مثل قدرا موضوع على نارا حامية ، كعادة ملاكي الحارث ظل يتصل بي بإلحاح مبالغ فيه حتى أجبته ،

- أيوه يا عمر ؟!

صوته السعيد والمبهج وهو يهنئني بخطبتي جعلني أفرغ بعضا من غضبي في وجهه ،

سألني بقلق عما أعانيه ، ففضلت الصراخ بكلمات لم يفهمها قط حتى وصل لسؤاله المعتاد عما إذا عدت لتناول المخدرات فأجبته بنعم وأنا أعيد عليه بغلاظة أن يتركني وشأني ،

أغلقت الاتصال بوجهه و ألتقط مفاتيحي وانطلقت نحو سيارتي أجوب شوارع المدينة بقيادة سريعة وغير متزنة ،

لم ييأس عمر من محاولات الاتصال بي مرة أخرى مما جعلني أغلق الهاتف نهائيا وقذفت به على " التابلو "،

تأففت حين وجدت أمامي سيارة شرطة تقف في منتصف الطريق العام - للتفتيش - ولسوء حظي أن القانون الجديد ينص على إجراء تحليل للمخدرات للسائقين في هذا الوقت المتأخر ،

شعرت بالتوتر ولكني تلكأت في القيادة مما جعل سيارة نقل تتخطاني ، وما حدث بعدها أمام عيني جعلني أنطلق بأقصى سرعة وأقف بسيارتي أمامه وأترجل منها قبل أن يصطدم بي على بُعد عدة أمتار من لجنة التفتيش ،

كدت أن أتلقى حتفي ولكن سائق الناقلة توقف بعدما أصطدم بسيارتي تصادم طفيف ،

ركض جميع العساكر وضباط الحملة بسيارات الشرطة ليقبضوا على السائق الذي لولاي كانوا سيكونون في عداد الأموات الأن بعدما قرر هذا المخمور أن يدهسهم جميعا حتى لا يسجن بسبب تعاطيه المخدرات أثناء القيادة ،

قبضوا عليه وأتاني الضابطين المسؤولين عن حملة التفتيش ليطمئنوا علي ، ولحسن حظي مرة أخرى أن أحدهم صديق لي فهو يتردد على صالة الألعاب خاصتي منذ وقت طويل ،

نظر لي بدهشة وهو يردد ،

- مصطفى عابد !!

ثم أمسك بيدي يجلسني على أحدى المقاعد وهو يتفحصني بقلق ،

- أنت كويس ؟! حصلك حاجه

حاولت الوقوف لأطمئنه ولكني ما زلت تحت تأثير المخدر فترنحت قليلا فظن أنني تأثرت بالحادثة ، طلب من زميله أن يتصل بسيارة اسعاف على الفور ، أوقفته سريعا حتى لا يكشف أمري ،

- انا كويس والله يا ظافر بيه ، ما فيش داعي للإسعاف

نظر لي بشك متسائلا ،

- متأكد ؟!

إيماءة من رأسي كانت جواب كافيا ،

جلس على مقعد بجواري وتناولنا أطراف الحديث حتى طلعت الشمس ، تركته على وعد بلقاء أخر بعدما أعاد كلمات شكره وامتنانه على ما فعلته ،

دلفت لسيارتي فأوقفني ليؤكد علي أن أقابله في الغد حتى يصلح ما حدث في السيارة من أضرار على حسابه الخاص ،

وعدته بالعودة إليه وانطلقت نحو الجامعة بعدما أخذت قرارا لا رجعة فيه أن أبحث عن هذا الوغد الحقير وأجعله يدفع ثمن ما فعله في الماضي ،

هاتفت مروه وللعجب أجابت سريعا بصوت مرتعب وهي تبكي وتحاول أن تطمئن علي ،

تعجبت من طريقتها وهي تتحدث بهلع وخوف ، فحاولت أن أستفسر عن الأمر فأخبرتني أن عمر زارني ولحسن حظه أن والدي كانا نائمين فحاولت أن تستدرجه حتى أخبرها أنني حدثته بغضب أقلقه ،

طمأنتها بقدر ما استطعت وأخبرتها سبب أتصالي وهو أن تحاول أن تتذكر أسم هذا الحقير قبل أن أصل للجامعة ،

أرتعش صوتها برعب فصرخت بها حتى قالت لي ،

- مش فاكره يا مصطفى

أزداد غضبي وأنا أخبرها ،

- أفتكري يا مروه بأي طريقة إن شالله تتصلي بيها تسأليها أكيد مش هتنسى أسمه ،

حاولت إثنائي ببكائها عما أنوي وهي تعلمه جيدا ،

- أرجوك يا مصطفى أنسي الموضوع دا وأرجع ،

أغلقت الهاتف وأنا أتأفف فالأمر أصبح كمن يبحث عن إبرة في كومة من القش ،

ارتديت نظارتي الشمسية ودخلت لمكتب شئون الطلبة بابتسامة محببة واخترت أكثر موظفة ما زالت تتمتع بالشباب وانطلقت نحوها ،

ذابت عينها إعجابا بي مثلها كمثل باقي الفتيات التي يفتتهن المظهر كما توقعت ،

خلعت نظارتي فلمعت عينيها وأطلقت ابتسامة مثيرة على شفتيها وهي تقول بصوت هادئ وتشير للمقعد أمامها ،

- أتفضل يا أفندم أنا تحت أمرك

تنحنحت وأنا أبحث عن سؤال مناسب يستطيع مساعدتي فخطر على عقلي ،

- كنت عاوز أسأل عن حد في دفعة السنة اللي فاتت في كلية تجارة إنجليزي ،

قامت على الفور بسرعة البرق وأتت بملف من مكتبتها الخلفية ، أعترض أحد الموظفين الموجودين قائلا ،

- بتعملي إيه يا أنسه ما ينفعش تدي لأي حد معلومات عن الطلبة كدا مخالف للقانون ،

ألتفت برأسي أنظر إليه بحنق وأنا أصك أسناني فعاد خطوة للخلف بخوف ولكنه أصر على موقفه بتحدي واضح ،

أمسكت هاتفي وفعلت ما كان سيفعله أي مواطن في هذا البلد بعدما أنطلق نحو الفتاة التي وقفت تزفر بضيق وأمسك الملف من يدها وعاد لمكتبه ،

لحظات وأجابني المقدم ظافر نجم الدين ، حدثني الرجل بكل لطف ، فأخبرته أنني في الجامعة

وأريد معرفة معلومات عن أحد الأشخاص ولكن هناك موظفا يرفض مساعدتي ،

طلب مني أن أنتظر بضع دقائق وبالفعل كان أحد ضباط الحرس في الغرفة مما جعل الرجل ينتفض مقدما لي الملف بأكمله لأطالعه ،

استغليت وجود ضابط الحرس وأخذت الملف وخرجنا نجلس في مكتبه بعدما أكد الرجل للموظفة أن الملف بحوزته وعندما ننتهى منه سيرسله إليها مع أحد العساكر،

لوحت لي الفتاة وأنا أخرج من الغرفة فشكرتها وانطلقت نحو مكتب رئيس الحرس ،

جلسنا سويا وطلب لي فنجان من القهوة وسألني بعدها وهو يطالع الأسماء ،

- عاوز مين بقى في الدفعة دي يا باشا ؟!

تنهدت بتوتر وبحثت عن قصة مناسبة ولكني لم أجد فقررت مصارحته ،

- بصراحة يا باشا أنا ما أعرفش أسمه

نظر لي بتعجب فأوضحت الأمر ،

- أنا اللي أعرفه أنه كان من الدفعة دي وأكيد لو حضرتك كنت هنا من سنتين هتعرفه ..

ترك الملف من يده وأعتدل في مجلسه وهو ينظر نحوي بتأمل قائلا ،

- أنا لولا ظافر باشا قالي أنك زيه أخوه كنت شكيت في أمرك ،

ثم أبتسم بمكر شرطي محنك وهو يحك ذقنه ،

- هاتلي م الأخر وقولي عمل فيك إيه ؟!

جاء الساعي بالقهوة فانتظرت حتى خرج من الغرفة واقتربت نحوه وأنا أوضح الأمر قائلا ،

- كان هنعمل

- مش فاهم !

قالها وهو يتناول فنجانه ،

اعتدلت في مجلسي وأمسكت فنجاني بين أصبعي أستنشق رائحتها بمتعة وأنا أخبره بما حدث من سنتين ،

ضيق عينه وتأكدت وقتها أنه عرف هويته ، مؤكد حادثة مثل هذه لن تمر مرور الكرام على حرس الجامعة ، وخصوصا بعدما أكدت لي مروه أن الشاب الذي أنقذها بلغ بعدها الحرس وتم القبض عليه بحيازة سلاح داخل الحرم الجامعي ولم يذكر أحد قصة الاعتداء عليها حتى لا تصبح حديث الجامعة وتسوء سمعتها ،

وضع فنجانه من يده وتنحنح قائلا بحذر ،

- بص يا مصطفى باشا أعتقد أن أحنا أخدنا حقك وحقها أنت ما تعرفش أحنا عملنا فيه إيه

شعرت بالضيق من هذا الخوف الذي يحيط الجميع وهم يحاولون حماية كلب بائس يستحق القتل ،

أكمل بسرد قصة عن ضربه ضربا مشبعا حتى تكسرت عظامه ، وأشرف هو شخصيا على فصله من الجامعة وضياع مستقبله ،

لم أشعر بالارتياح فأنا أريد القصاص وبيدي ، لم أهدأ حتى أنفذ ما يجول بخاطري ، جاريته وأمنت على كلامه ودعوته لصالتي الرياضية مع وعد لبعض الجلسات المجانية حتى أرد معروفه ،

ذهبت بعدما اكتسبت صديقا أخر في هذه الليلة المثمرة ، وأنا عازما على معرفته ومجازته عما فعله ولو كان هذا أخر عمل أقوم به في حياتي ،

عدت للمنزل بعدما وصل بي التعب والإرهاق لدرجة جعلتني لم أعد أرى أمامي ،

لم أستطع الصعود لشقة والدي بسبب مروه التي لن تكف عن البكاء وهي تتوسل إلي أن أعرض عن هذا الأمر،

دلفت داخل شقتي وأنا أستنشق عبير ألما على فراشي فأنا لم أقربه منذ ان كنا سويا ، ابتلعت ريقي وجسدي يستجيب لهذه القشعريرة المحببة عندما تذكرت ما حدث بيننا بكل تفاصيله ،

ارتميت على الفراش ووضعت رأسي مكان رأسها واستغرقت في النوم وأنا أردد أسمها ،

لم أشعر كم مر علي من الوقت ولكني استيقظت من نومي العميق على طرقا خفيف على باب شقتي ،

استدرت في فراشي على جانب أخر وقررت العودة للنوم ، عدة طرقات أخرى تجاهلتها حتى أتاني صوتها المرتعش الباكي تُردد ،

- أفتح يا مصطفى أرجوك !

الدرجة السادسة..

العشق :

ويعني فرط الحب، وكثرته، وعجب المحب، وهو
حب مختلط بالشهوة ..

عندما تسمو عاطفتها تنسى كل شيء ...

- " أرجوكِ أبوس ايدك يا أما الحقي مصطفى !! "

بعدما قالتها مروه وهي تبكي بوجع جعل قلبي
يعتصره الألم لدرجة أنني لم أستطع إجابتها ، جل
ما فعلته أنني أغلقت الهاتف وركضت نحو خزنة
ملابسي ،

ارتديت أول شيء وقعت عليه عيني ثم عدوت خارج
المنزل دون أن أخبر أحد وجهتي كل ما أفكر به
حاليا ماذا يحدث معه ؟!

أوقفت سيارة أجره وأخبرت السائق وجهتي بكلمات مقتضبة وأنا في ملكوت آخر،

عقلي قد دمج كل السيناريوهات الأسوء في الوجود وقذفهم نحو جسدي دفعة واحدة !

شعرت بقدمي ترتعش وقلبي يعدوا في سباق للركض الحر بسرعة خمسمائة ميل في الدقيقة ، بينما تقلصت معدتي والتفت أمعائي حول بعضها البعض بوجع لم أختبره من قبل ! أما عن شعوري بالغثيان من أثر الخوف المرضي عليه فحدث ولا حرج !

دقائق لم أعرف كيف مرت علي ولكني لن أنسها مهما حييت ، وصلت لبيت خالتي وصعدت الدرج وأنا أتجاهل رؤية شقته وكأنها شيء ملعون ،

طرقت الباب ففتحت لي خالتي بابتسامتها المعتادة واستقبلتني بحفاوة أكبر مما جعلني أتعجب ،

وقفت أمامها لا أدري ما أقوله ، أصابها الذهول لعدة ثواني من تجمدي ، ولكني لم أستطع تحمل قلقي أكثر من ذلك ،

وقبل أن أتساءل عنه خرجت مروه تحدجني بعينيها فابتلعت غصتي وتركتها ترحب بي وتمثل دورها بحرفية وكأنها لم تنتحب على الهاتف منذ دقائق ،

أخذتني من يدي نحو غرفتها ولكني أوقفتها قبل أن تغلق باب الغرفة وناديت خالتي اخبرها ،

- من فضلك يا خالتو قولي لماما أني هنا مع مروه لأني ما قولتلهاش

عاتبتني خالتي ودافعت مروه عني ثم أغلقت باب الغرفة وانفجرت في البكاء مرة أخرى مما جعلني اصاب بالجنون الكلي ،

حاولت أن أخفض صوتي بقدر ما أستطيع ،

- مروه ما تجننيش قوليلي مصطفى ماله أنا كنت هموت طول الطريق

جففت دموعها سريعا وبدأت تتكلم بسرعة غريبة وأضافت في حديثها كلمات اعتذارات كثيرة وسط شهقتها ،

لم ألتقط من هذه الاقوال سوى جملة واحدة " مصطفى بيتعاطي مخدرات ! "

احساسي وقتها أشبه بشعور امرأة تعيش في مجاهل أفريقيا ثم انتقلت حديثا للقطب الجنوبي وعايشت أول تساقط للجليد على رأسها !!

توقف عقلي عن التفكير وكل ما خرج من فمي وأنا أمسك بكتفيها أهزها وأردد ،

- ليييييه عمل كدا !!

أجابتني وهي تخفض رأسها ،

- ما أعرفش بدأها ليه لكن أعرف رجع ليها ليه !!

مفاجأة كثيرة لم يستوعبها عقلي بعد ، ارتميت أجلس على الفراش من خلفي ألتقط بضعا من أنفاسي للحظات ثم أمسكت بيد مروه وبإصرار شديد قررت أن أعرف كل ما تعلمه ،

- فهميني كل حاجه بسرعه ، ثم رفعت سبابتي بتأكيد
- ومن الأول يا مروه

جلست أمامي وبصوت متردد أخبرتني ،

- امبارح بالليل بعد مده لما رجعنا من عندكم لقيت حد بيخبط على الباب ، أستنيت مصطفى يفتح ما فتحش ، روحتله أوضته ما لقتوش أستغربت انه خرج من غير ما أحس وجريت أفتح الباب لقيته عمر صاحبه ،

أوقفتها لأخبرها أنني تلقيت أتصالا منه الليلة الماضية وترك لي رسالة لأتصل به ولكني نسيتها عندما تحدثت معها ،

تيقنت أنه كان يريد إخباري بما قالته مروه للتو، طلبت منها أن تكمل ما حدث استكملت حديثها ،

- كان وشه أصفر وشكله متوتر جدا وهو بيسألني عن مصطفى رجع ولا لاء ، قلقت من تصرفاته الغريبة وقولتله أنه مش موجود ،

حسيت انه عاوز يقولي حاجه بس متردد ، اترجيته يطمني على مصطفى فصدمني صدمة عمري ،

توقفت مروه عن الحديث بدموع لا تتوقف وقد عاد حزنها بضروه ولكن هذه المرة كانت دموع ندم على شيء ما !!

- كملي يا مروه أرجوكِ

هكذا شجعتها لتستمر،

ظلت تردد أنا السبب لوقت ليس بقليل حتى نهرتها فأكملت بشهقات متتاليه ،

- عمر قالي أنه بدأ يتعاطى مخدرات من شهر تقريبا حاول معاه كتير وعرضه على دكتور نفسي والدكتور دا نصح عمر يوديه لدكتور صديقه صاحب مصحة لعلاج الإدمان وطمنه إن الموضوع بسيط خصوصا انه مش بقاله مده كبيره ، لحد اول امبارح يوم ما كنا عندكم..

توقفت مروه تجفف دموعها سريعا حين دخلت خالتي الغرفة تخبرني أن أمي لا تريد مني التأخير ، ثم أرتسم على وجهها القلق حين رأت هيئتنا الحزينة ،

حاولنا طمأنتها ببعض الكلمات وطلبت منها مروه أن تحضر لنا شيئا من الطعام وبعض المشروبات الساخنة ،

خرجت خالتي وتركتنا فأكملت مروه عاجلا قبل عودتها ،

- يوم الخطوبة جاله عمر ووداه المصحة وفضل هناك من الصبح بدري لحد بعد العصر وعمر أكد لي أنه كان متجاوب جدا وعاوز يتعالج والدكتور قاله انه مش محتاج الا جلسه واحدة او اثنين لو هو عاوز وان الموضوع بسيط ،

لكن اللي حصل امبارح خلى عمر يجي يحكي لي ويحاول يتواصل معاكي انه كلمه في التليفون لقاه متترفز جدا وبيزعقله ولما سأله أنت أخدت مخدرات تاني قاله أه ،

توقفت مروه وظلت تردد مرة أخرى " أنا السبب ، أنا السبب "

مازال هناك الأسوء ! هكذا كان شعوري ،

تعجلتها قبل عودة خالتي ولكنها لم تتجاوب معي وكأنها خائفة مني !!

توسلت لتكمل فترددت كثيرا وبعد وقت من الإلحاح صارحتني بما جعل المعبد يسقط فوق رأسي ،

لقد فقدت أخر أمل لي أن أعود أنا وهو لجزء بسيط مما عايشناه سويا ، تحطمت ولم يعد في قلبي ذرة صغيرة حية !!

لقد أخبرتني و ليتني لم أترجاها وليتها لم تستمع إلي ، لقد ثبت لي بالتجربة القاسية أن الجهل بأمور خفية بفعل القدر أفضل من العلم بها وأن أتذوق هذا الوجع الذي لا يُحتمل ،

يا ألهي أكاد اجن وأنا أتخيل أن مصطفى رأى هذا القذر يلمس جسدي تحت تهديد السلاح وتركني وذهب ؟!

لقد كنت ضحية لأبنة خالتي وأخيها !!

فقدت أخر ذرة تعقل وأنا أصرخ بها ،

- مستقبلي كان هيضيع بسببك ، وأخوك شافه بيحاول يغتصبني وسابني ومشي ومش بس كدا دا

فضل سنين يعاملني معاملة الكلاب وفي الأخر
بكل غباء سلمتله نفسي وأنا فاكره أنه بيحبني
أتاريه فاكرني عاهره ،

انتشلت حقيبتي بغضبٍ يكاد يحرقني وأنا أبكي
مثل المجنونة التي فقدت عقلها ، حاولت مروه
إيقافي ولكني أبعدت يدها عني وانطلقت خارج
المنزل متجاهلة تساؤلات خالتي عما حدث ،

لم تستوعب شوارع المدينة حزني وضعفي
واحساسي بالظلم الشديد ، لقد دفعت ثمن أخطاء
فعلتها وحتى التي لم أفعلها دفعت ثمنها غاليا !

لم أعد أريد الصراخ ولا حتى البكاء ، فمرارة
حلقي لا يضاهيها ألم ، لا يوجد أجابه في هذا
العالم عن سبب ما يحدث لي ،

شعرت بالغضب يأكل جسدي بدون رحمة
وللعجب شعوري بالانتقام أختفى من كثرة

احساسي بوجع هذا الظلم الذي عايشته ، ولكني قررت أن أكشف جزء من الحقيقة التي أخفتها عنه أخته الغالية حتى تظل هي النقية الطاهرة وكل ما جرى لي بسببها !

عدت أدراجي نحو شقته وطرقتها بيد مرتعشة ، لقد ظننت أنني قوية لمواجهته ، ولكن خاب ظني الأن !!

ناديته وكسرة قلبي تخرج مع كل حرف من حروف أسمه التي كنت أعشقها يوما ،

لحظات وفقدت الأمل أن يجيبني ولكني حين قررت الرجوع فتح لي بابه ، نظرت بداخل الشقة فتسارعت نبضات قلبي الخائن لذكراها!،

وقف أمامي منشده ثم أمسك بيدي وهو ينظر للأعلى باضطراب ليدخلني وهو يغلق الباب خلفه بهدوء حتى لا يسمعنا أحد ،

سحبت يدي التي مازال يحتضنها بانفعال وأنا أحاول أن أنظم أنفاسي اللاهثة ، حسنا الأن الاحظ نظراته المتحسرة !

لقد ضَرّ بصَرَه ولم يستطع إطالة النظر لعيني ، هو يعلم جيدا أنه تخلى عني وخذلني ولكنه لا يعلم أنني أعرف ما حدث ،

لذلك يجب علي أن أتخلى عن لطفِ الزائد ومراعاتي لمشاعر أحد وأقص عليه ما حدث تفصيلا ،

شجعت نفسي بالقول...

- هيا بنا نجرح بعض الأشخاص الذين سببوا لنا المعاناة -

انتظرته لحظات ليسألني عن سبب مجيئي ولكني أعتقد الأن أنه مثلي لا يستطيع الحديث أو بالأحرى لا يجد شيئا يُقال !

انتزعت نفسا من أعماق قلبي المكسور وقلت له ،

ـ مروه قالتلي على كل حاجه

رفع وجهه بذهول وهو يواصل تأملي بحدقتين متسعتان من المفاجأة ، لقد جرحته أستطيع الشعور بذلك ، لم أبالي لجُرحه كما لم يكترث أحدا لي ،

أكملت دون مراوغة ،

ـ البني أدم القذر اللي سيبته يعيشني كابوس لحد الأن مش عارفه أفوق منه ، يبقى أبن عم جوز أختك العزيز ،

توقفت عن سرد باقي القصة عندما شعرت بحرارة جسده تعلو وكأني وقفت أمام نيران ستحرقني الأن !

أقترب مني وأمسك معصمي بقوة جعلت جسدي يرتجف ، انتفاخ عينيه من الغضب وارتعاشه جسده لا ينبأ بخير أبدا ،

لم يخرج من فمه سوى كلمة واحدة قالها وهو يصك أسنانه ،

- كملي

يا ألهي كيف أكمل هكذا ، نظرت لعينيه برجاء لإعفائي من سرد ما حدث ولكنه أعاد قولها وهو يصرخ في وجهي :

- كمللللي

تأوهت من ضغط كفه على معصمي ولكني لم أستطع غير أن اكمل بصوت يرتجف خوفا ،

- جوز أختك كان مرتبط بيها واحنا في الجامعة والحيوان ابن عمه كان يتعرض لي في كل مكان وكل اما اشتكيله يقولي هخليه يبعد عنك حاضر،

يوم والتاني الاقيه بيطاردني في كل مكان أروحه ، قولت لمروه أني أقولك رفضت واترجتني لأنك لو عرفت هتعمل مشكله كبيره وممكن ما توفقش على جوزها من حبيبها ،

ألمتني يدي ولم أستطع التحمل أكثر من ذلك فنظرت نحو كفه قائلة :

- سيب إيدي من فضلك

رعشه يده جعلت قلبي يأن بداخلي ، يا ألهي ماذا فعلت به ، كيف فكرت بإيلامه هكذا ؟!

لم يترك يدي بل خفف قبضته ثم قادني نحو الأريكة وأجلسني بجواره وببحة خرجت من فمه قتلتني قال لي ،

- كملي يا ألما أرجوكِ ، أنا محتاج أعرف كل حاجه

ترددت للحظات وتسلل الرعب داخل صدري وأنا أتساءل ، ماذا سيفعل عندما يعرف كل شيء ؟!

شجعني لأتم ما بدأته فحاولت تخفيف حدة حديثي
:

- في يوم كانوا متخانقين وهي قالتلي انها مش هتيجي الجامعة اليوم دا ، دخلت المدرج من أول اليوم ومخرجتش منه بسبب الزفت دا ، قبل المحاضرة الأخيرة لقيته جاي عليا وبيقولي أن مروه جت الجامعة تشوف وائل وانهم أتخنقوا سوا وهي أغمى عليها وأحنا مش عارفين نتصرف تعالي أرجوكِ ألحقيها ،

أنتفض جسده بجواري وأرتعد جسدي لهذه الذكرى اللعينة ولكني أغمضت عيني وأكملت ،

- روحت مالتقتش حد ألتفت عشان أشتمه أتخبطت في إيده فوقعت منها أزازه فيها سائل أبيض ، لقيته بيبصلي بغيظ ويقولي يا غبيه عملتي إيه أترعبت منه ولما قررت أجري مسكني من إيدي وقرب مني وريحته كانت غريبة وتخنق عرفت انه واخد قرف من اللي بياخدوه وانه مش في وعيه لقيته طلع مطوه من جيبه وقالي لو فتحتي بوقك هتموتي في ثواني ،

لم أستطع أنا اكمل أكثر من ذلك ، قمت من مجلسي وابتعدت وأنفاسي تكاد تخنقني من سرعتها ، رفعت كفي أرفف به على وجهي ليمنحني بعض الهواء قبل أن أهوى من الانهيار ،

وجدته خلفي وأنفاسه الحارة المتتالية تلفح رقبتي ، سمعت ازدراد ريقه وكأنه يجاهد ليتكلم وأخيرا أستطاع أن يسألني ،

- ما قولتليش ليه اللي حصل دا

ألتفت نحوه وأنا أزيل دموعي المنهمرة وأنظر لوجهه الشاحب شحوب الموتى ،

- مروه أترجتني ما أقولكش ، وأنا خفت عليك تقتله ومستقبلك يضيع بسيي يا مصطفى

تمنيت لو ارتميت في أحضانه ، ولكنه ألتفت نحو غرفته قائلا :

- هلبس وأجي أوصلك

أما عنه فيفضل قتل نفسه من أجل الحب.....

استدرت في فراشي على جانب أخر وقررت العودة للنوم ، عدة طرقات أخرى تجاهلتها حتى أتاني صوتها المرتعش الباكي تردد ،

- أفتح يا مصطفى أرجوك !

انقطعت أنفاسي وتقلصت معدتي بألم من صوتها الذي يملأه الحزن والآسي ،

انطلقت نحو الباب افتحه سريعا ، لهف قلبي عليها وعلى رؤيتها بهذه الهيئة المزرية ، شعرت بحركة في شقة أبي ، فأمسكت يدها وولجنا داخل الشقة بعدما نظرت للأعلى وتأكدت ان لا أحد سمع صوتها ،

جذبت كفها من يدي بحدة فخفضت بصري
معتذرا بصمت على لمسها ، شعرت بذبذبات توتر
تخرج من جسدها ، نظرت لعينيها كانت مثل
البحر الهائج بالأمواج العاتية ،

لم أستطيع إطالة النظر إليها فتأملها لي بهذا الغضب
جعلني أشعر بحقارتي أمامها ، مقابلتها في هذا
التوقيت بعدما تأكدت أني رجل خبيث ودنئ
جعلت قدمي ترتعشان بعجز لم اختبره يوما ،

لم أجرؤ حتى على سؤلها ما الذي جاء بها الأن ؟! أو
ماذا تريد ؟!

دار عقلي ببعض الأسباب ومن أهمها رسالتي التي
أرسلتها لها يوم الخطبة ، ولكني

لم أتوقع أبدا كرة النار التي قذفتها في وجهي عندما
قالت ،

- مروه قالتلي على كل حاجه

يا ألهي لقد اردتني اختي قتيلا وأنتهى الأمر ، لن استطيع النظر في وجه أملا إلى ان يأتيني الموت ليخلصني من ذلي وهواني ،

شعرت بألم يقطع أمعائي بنصل حاد ، رفعت وجهي انظر إليها فأمتد الألم لجميع أطرافي ،

وكأنها تستلذ بتعذيبي وتتفنن فيه وهي تخبرني أنني لا انتمى لجنس الرجال وتركتها يين يدي ذئب جعلها تعيش كابوسا لم تستيقظ منه بعد !

وفي خضم صراعي الداخلي وعذاب ضميري الذي يأن بداخلي ولا يترك لي مجالا حتى اتنفس وقعت الصاعقة فوق رأسي ،

لقد اخبرتني أن المجرم الوضيع الذي أستحل جسدها تحت مرأي مني ومسمع هو من عائلة زوج أختي!!

لقد اوقدت نارها في جسدي وتركتني أحترق وانا
اتذكر لقائي معه هو وعائلته الكريمة ، لم
أستطع تخيل كيف لهذا القذر مواجهتي
والابتسامة تعلو وجهه بعدما فعله بفتاتي ؟!

كل ما اريده الأن انا أشحذ طاقتي وكل ما أحمله
من نيران تشتعل داخل صدري لأحرقه بها واجعله
رمادا أقذفه في الهواء بعدما أجعله يترجاني
لأرحمه ولن افعل كل ذلك إلا أمامها ، هكذا
أستطيع مواصلة الحياة مرة اخرى!

أمسكت كفها بقوة بقدر ما أثقلني من الهوم
وكأنني أتشبث بها قبل أن أغرق في ظنوني واهدم
كل معتقداتي ومبادئ وأهوى صريع الانتقام ،
ووقتها لن انتقم من هذا النجس فقط بل لن اترك فردا
في هذه العائلة حي يرزق ،

ترددت ألما ان تكمل ما حدث بعدما شعرت
بارتعاشي من الغضب ، صرخت بها فاختض جسدها
ولكنها رضخت لي وأكملت ،

ما سمعته منها كثيرا جدا علي ، لم يعد بي قوة
على الاحتمال ، حتى أختي متورطة بالأمر!

طلبت مني ان اترك معصمها وكأنها شعرت بآلامي
ولم تتحملها ، حاولت أن اتركها ولكني لم استطع ،
نعم لم أتمكن من إفلات كفها من يدي فهكذا
اشعر انها معي تشاطرني احزاني ووجعي ،

ترجيتها لتكمل ولكني ندمت أنني أصريت
معرفة كل شيء ، اكبر صدمة تعرضت لها
بعدما علمت بأن ألما مظلومة هي صدمتي في
شقيقتي!

كانت تعرف كل شيء من البداية ولم تخبرني
خوفا على نفسها وعلى حبيبها ، شعرت بالدوار
الشديد ، وإحساسي بالغثيان لم يعد يحتمل ،
وقراري الوحيد يجب أن أقتص منهم جميعا واولهم
مروه !

توقفت الما عن الكلام وتوقف قلبي عن النبض يا
ألهي لا أستطيع التحمل أكثر من ذلك ، شكرت
الله أنها لم تستطع هي الاخرى المواصلة ،

وقفت وجسدها يرتجف من الوجع ، قمت من
مكاني اذهب خلفها وكل جسدي ينتفض يحثني
ان احتضنها وأشعرها بالأمان الذي لم تشعر به من
قبل ،

اضطربت انفاسي حين رايتها تحاول منع دموعها من
السقوط ، تمنيت لو جعلتها تبكي حتى تخرج ما
في جوفها ، رغبت في لمسها بتوق شديد يقتات علي
،

حاولت السيطرة على جسدي قدر ما استطعت
حتى تجيبني على سؤالي ،

- ما قولتليش ليه اللي حصل

ألتفتت نحوي فتلاقت أعيننا فشعرت بظمأ يقتلني ببطيء ، دموع عينيها التي أبعدتها عن وجهها جعلتي سقيما عليلا لا دواء لي !

ثم اجابتني برصاصة جعلتي ألفظ اخر انفاسي ،

- مروه أترجتني ما أقولكش ، وأنا خفت عليك تقتله ومستقبلك يضيع بسيي يا مصطفى

لقد تيقنت ان ما أشعر به الأن قليل على ما استحقه بالفعل ،

توقفت رعشات جسدي فأنا لا استحق ملامستها طوال حياتي ،

يجب أن احرم منها إلى أن أموت وأنا أتمنى أن تنظر لي بحب ، ويجب عليهم ان يشعروا جميعا بمعانتها ومعانتي الأن وإحساسي البشع بالعجز وقلة الحيلة ، أقسم أنني لن أمررها ببساطه!

تركتها وعدت لغرفتي خائبا بعدما أخبرتها أنني
سأوصلها للمنزل ، وجسدي ينتفض مني كأنه
يترجاني أن أقترب منها وأمحو من ذاكرتها كل ما
عايشته ولكني تجاهلته وقررت معاقبته وحرمانه
من مجرد القرب منها!

ارتديت ملابسي وعقلي يدور في دوائر أخرى ،
انتهيت ورافقتها للمنزل ، وجدتها تطلب مني
باستحياء ان اصعد معها لان خالتي غاضبة بشأني ،

بالفعل صعدت معاها وعندما رأينا وجه والديها
يتلون بالغضب وجدتها تندفع لتقف خلفي،
أرتعش جسدي من قربها وانتفض داخلي بألم فرغم
كل ما حدث ما زالت تحتمي بي!

" يا الهي ماذا تفعلين بي حبيبتي "

رددتها بداخلي وأنا أتنهد بتعجب مازالت تحبني بعد
كل ما عرفته كيف لها أن تفعل ذلك!

يجب أن تكرهني وتتبذني فأنا لا أستحق هذا الحب
!

خرجت من أفكاري السوداء على تساؤلات زوج خالتي وعتابه عن خروجنا بدون أذن ، ونظرت لي خالتي بغضب وهي تكمل باقي الشجار ،

وبرغم حالتي المزرية وعدم رغبتي لحديث اي شخص على وجه الارض ضغط على اعصابي وحاولت تلطيف الامور ببعض الفكاهة والمرح لأبيها وبعضا من الدلال على خالتي العزيزة بعدما انفردت بها لأجعلها تبتعد عن ألما فأنا أعرفها جيدا وبرغم موقفها السيء تجاهي فهي تحبني على أي حال جلسة سريعة أغازلها فيها كما كنت أفعل وأنا صغير قامت بالغرض وأنتهى الامر بسلام ،

خرجت من الغرفة وخالتي تدمع من الضحك نظرت نحو ألما أطمئنها ومددت لها يدي لأودعها كما يفعل كل خطيب ،

عقلي كان يحدجني بتحذير بينما قلبي الخائن كان يتراقص من الحماس للمستها، مددت يدي المرتعشة والباردة نحوها فترددت للحظة ثم رضخت للأمر الواقع ومدت يدها نحوي،

صافحتها بقلب يرتجف و خرجت من بيتهم ركضا وكأن أحد الوحوش البريه تركض خلفي ،

أمسكت هاتفي لاتصل بعمر ونيران غضبي تشتعل مرة أخرى، لحظات واجابني بقلق كعادته فطلبت منه مقابلتي في المقهى الخاص بنا واغلقت الاتصال دون كلمة زائدة ،

ركبت سيارتي وقدتها بأسرع ما يمكن نحو المقهى ، حين وصلت كان عمر في انتظاري ، جلست على المقعد بجواره ولم استطع الحديث ، اخذت بضعة انفاسا ووجدته طلب لي قهوتي ،

فتجرعتها دفعة واحدة ثم قلت له ،

- في واحد اذاني أكتر مما تتخيل ومش هنام من أنهارده لحد ما أنتقم منه هتساعدني ولا أشوف غيرك ؟!

الدرجة السابعة...

النجوى:

وهي الحُرقة أو شدة الحُزن من الحب...

- أكثر ما تخشاه هي .. صمته !

خرجنا من شقته والصمت مُطبق بيننا مما جعلني أشعر بالخوف الشديد منه ، ولكنني فضلت هذا الصمت لأنني بالفعل قد أنهكني الحديث وكما يبدوا أنهكه الاستماع ،

جلست بجواره في السيارة أنظر إليه من وقت لأخر متعجبة من تركيزه الشديد وهو ينظر أمامه وكأنه لا يشعر بوجودي معه ،

راودتني عدة تساؤلات أثارت فضولي ! في ماذا يفكر الأن بهذا التدقيق ؟ والاهم ماذا سيفعل بعد أن عرف الحقيقة كاملة ؟!

هل أخطأت حين أخبرته ؟! نظرت نحوه أتأمل ملامحه الحادة وعيناه التي لا تحيدان عم موضعهما وكأنه أصبح رجلا أليا ..

توقف أمام المنزل ثم نظر نحوي لثواني قبل أن يحيد بعينيه للأمام مرة أخرى وكأنه أخطأ حين تلاقت أعيننا ، تنحنح بخجل تعجبت له ،

مصطفي خجول رفعت حاجبي دهشة عندما قال ،

- أتفضلي يا ألما وسلميلي على خالتو

هذه النبرة الباردة أثبتت لي أن مصطفى تباعد عني أميال ولن أستطيع اللحاق به يوما ،

علمت وقتها أنها البداية فلم أدفع الثمن بعد !!

ولكني توقفت للحظة ما الذي يجب علي فعله بعد! ألم يكفي ما دفعته مقدما ؟!

تسلل بداخلي شعور مقيت باللامبالاة .. نعم لقد اكتفيت في الوقت الحالي من هذا الألم ، يجب أن يظل ظاهر ما بيننا على أكمل وجه ،

توسلت لنفسي ألا أبكي لقد أصبحت هشة لدرجة بدأت أكرهها بالفعل ، لم أحاول النظر تجاهه بل ضممت يداي بتوتر وأنا أتأملهما قائلة ،

- ياريت تطلع معايا لأني خرجت من غير أذنهم وخليت خالتو تقول لماما في التليفون أني عندكم ...

شعر بتوتري الزائد من حركت أصابعي وأنا أدلكهما باضطراب واضح فسألني هل والدتي تزعجني بسببه ؟!

كيف فهمها على هذا النحو الصحيح !

رفعت رأسي أنظر إليه بذهول فوجدته يبتسم قائلا..

- أنا عارف أن خالتي ما بتحبنيش

ثم فتح باب مقعده وألتف تجاهي ليفتح بابي ،

- هطلع معاكي وهظبطها عشان متضيقكيش تاني ،

صعدنا سويا وحين دلفنا للداخل وجدت أبي وأمي ينظرون نحوي بغضب شديد ، تلقائيا وقفت خلف مصطفى خائفة ،

شعرت برجفة جسده أمامي ولكني لم أفسر سببها ، وقبل أن يتكلم أبي أنطلق مصطفي تجاهه يسلم عليه بحرارة أحرجت أبي وجعلته يبتلع غضبه ويستقبله كما يجب ،

ظل يضحك مع أبي على عدة أخبار تخص الرياضة وما يحدث بها ،

بينما بدأت تزفر أمي بضيق جعل مصطفى يستأذن والدي بالأختلاء بها ، أمسك يدها بود شديد لم تعتاده أمي منه ثم قبل جبهتها معتذرا عن تأخيري وانطلقا الأثنان نحو غرفة استقبال الضيوف ،

جلست على أقرب مقعد أتجنب النظر نحو ابي الذي جلس أمام التلفاز متناسيا غضبه وكأن شيئا لم يكن ،

دقائق قليلة ووجدت والدتي تخرج من الغرفة بضحكة مجللة وهي تلكزه في كتفه قائله ،

- يخيبك يا مصطفى هلكتني ضحك كفاية يا ولد قلبي وجعني

لقد تعديت الدهشة بمراحل ، نظرت نحوه أتسأل من هذا ؟!

يا ألهي سأصاب بالجنون يوما بسبب هذا الشخص ، كيف يستطيع التبدل هكذا وكأن هناك زر يضغط عليه فيتحول لأخر،

إيماءة منه أخبرني بها أن كل شيئا على ما يرام ، لم أنتظر أشارته لقد رأيت بعيني ،

تقدم نحوي يمد يده ليصافحني قبل أن يرحل ،

للحظة تجمدت فرفع صوته وهو يحدجني بعينيه ،

- همشي أنا بقى مش عاوزه حاجه

تشابكت أيدينا للحظات كنت أتمنى أن تطول العمر بأكمله ، رعشة أيدينا وبرودتها وتعرقها تدل على أمر واحد وهو أن معانتنا بدأت للتو !

خرج مصطفى بعد أن ألقى السلام وتوجهت أنا لغرفتي ، لحقت بي أمي وما زالت ابتسامتها ترتسم على شفتيها بفرحة عارمة لا أعرف مصدرها حقيقة ،

وجدتها تسألني ،

- ها أحكيلي مبسوطه

ارتبكت لثواني فأنا لا أعرف ما أخبرها به مصطفى لتسعد هكذا ، أجابتها وأنا أعلق ملابسي في الخزانة ،

- مش مصطفى حكالك ؟!

ببهجة غير عادية قالت لي ،

- اه حكالي بس كنت عاوزه أسمع منك

تمنيت أعرف مالذي قاله لها لتسعد هكذا ،
ولكن والدي أنقذني عندما استدعاها لأمر ما ،

أغلقت غرفتي بعد أن خرجت أمي وجلست على
فراشي اراجع ما حدث اليوم معي ، وجدت أنني
سأنخرط في حزن عميق فقمت من مكاني وأتيت
بحاسوبي لأضيع بعض الوقت حتى يغلبني النعاس ،

وجدت رسالة اليكترونيه على موقعي ، فتحتها
لأرى محتواها فوجدتها من الشركة التي قدمت
على طلب الوظيفة بها ،

يخبروني أنني حصلت على المنحة المقدمة من
الشركة بالبحث الذي زودتهم به وانني على موعدا
معهم صباح غدا في التاسعة ،

ذهبت لغرفة أمي أخبرها عما حدث وعجبت حينما
أكدت علي أن أخبر مصطفى أولا،

قمت بمجاراتها وعدت لغرفتي أفكر هل يجب علي أن أخبره كما قالت أمي ؟!

أم أذهب للموعد وأخبره بعدما يتم قبولي ؟!

أم أن الحقيقة هي أنه لا يأبه لأمري ؟!

تمددت على فراشي وتذكرت اشتعال عينيه عندما أخبرته أمام الجميع أن موافقتي مشروطة بأن يتركني أعمل ، ابتسمت تلقائيا حين شعرت بغيرته وقتها ،

لاحت على وجهي نظرة خبيثة تحثني على اكمال الأمر فربما يأتي يوماً أجعله يعترف لي أنه مازال يحبني !

عدت بتفكيري أتسأل هل نسيت كل ما حدث وأبحث الأن عن وسيلة تجعله يعود إلي ؟! ما هذه البلاهة والسذاجة التي أحملها !

لقد تركني مع مجرم حاول اغتصابي وهرب بعدما
قادة تفكيره الأبله أنني كنت معه بإرادتي وفي
الجامعة !!

شعرت برأسي يفور بالغضب فصككت أسناني
وحاولت التخلي عن هذه الأفكار المميتة لأستطيع
أن أغفو ،

ضبط منبهي الخاص على الثامنة وقررت الخلود
للنوم لألحق بميعادي الصباحي وليذهب قلبي ومعه
مصطفى للجحيم ...

استيقظت في موعدي وجهزت نفسي بإتقان
وخرجت من البيت اتوجه لعنوان الشركة الذي لم
يكن بعيدا عني بمسافة بعيدة ،

وصلت قبل موعدي بعشر دقائق لأجد ثلاثة فتيات
وشابين يجلسون منتظرين دورهم في اللقاء ،

استقبلتني فتاة بابتسامة ودودة وطلبت مني اللحاق
بها لتدون بياناتي ،

تتبعتها لغرفة جانبية فجلستني على مقعد امام
الطاولة وتركتني تستأذن لبضع دقائق معللة انها
ستأتي بأوراق خاصة لي !

لم أفهم تحديدا ما هي هذه الاوراق الخاصة ولماذا ؟!
ولكن حدسي لم يسعفني لأركض خارجا قبل أن
أجده يقف أمامي خلف الطاولة يحدجني بنفس
النظرة الوقحة التي تشعرني بالتقزز ،

شعرت بالرعب يدب أوصالي وهو يلتف حول
الطاولة ليقترب مني ، انتفضت واقفة وانا أتوجه
نحو الباب بسرعة فائقة ولكن لسوء حظي سبقني
ووقف أمامي يقبض يدي ،

تظاهرت بالقوة أمامه برغم هشاشتي من الداخل
ولكن كما يقال أن أفضل وسيلة للدفاع عن
النفس هي الهجوم ،

وبالفعل نفذت هذه المقولة بالحرف ، أطلقت سيل
من السباب وهجمت عليه بأظافري مثل القطط وهو
يحاول الامساك بي والسيطرة علي حتى لا يسمعني
من في الخارج ،

أستمر على هذا الحال حتى بدأ يفقد السيطرة
على حركاتي الانفعالية فما كان منه الا أن
أخرج إبرة من جيب سرواله وحقنني بها في رقبتي
لحظات مرت علي وأنا أترنح ولم أشعر بشيء بعدها
!

وأكثر ما يخشاه هو حديثها ....

أخذت بضعة انفاسا ووجدته طلب لي قهوتي ،

فتجرعتها دفعة واحدة ثم قلت له ،

- في واحد اذاني أكتر مما تتخيل ومش هنام من أنهارده لحد ما أنتقم منه هتساعدني ولا أشوف غيرك ؟!

أجابني عمر بكل ثقة ،

- معاك يا صاحبي

قمت من مجلسي أتوجه نحو سيارتي وعمر يتبعني متسائلا عن تفاصيل الأمر، صعدنا للسيارة وجلست خلف المقود وبدأت أقص عليه ما حدث مع ألما في الجامعة باستثناء علاقتنا سويا وبعض التفاصيل المخجلة ،

عمر مستمع جيدا دائما ما كنت أمدحه بذلك ،
لهذا أستمع لأخر القصة وأخبرني ،

- أولا أختك غلطت وعقابها على غلطها مش قصتي دي حاجه بينك وبينها بس اللي هنصحك بيه أنك تكون عارف أن ملهاش غيرك فما تجيش عليها بزياده ،

كدت أن أقاطعه بغضب كيف له أن يشفع لها عندي وقد فعلت ما فعلته ولم تراعي حتى صلة الدم بيننا وكل ما كان يشغلها نجاح علاقتها مع حبيبها السري ،

لم يمنحني عمر فرصة مقاطعته وأكمل ،

- ثانيا ابن عمه الحيوان دا سهل نجيبه ونجيب عنه كل المعلومات المهم اننا نعرف نبدأ منين ،
- ثالثا ودا الاهم هو سؤال لازم تجاوبني عليه قبل ما أكمل ،

حركت رأسي إيجابا فسألني ،

- هتعمل معاه ايه لما توصله ؟!

بغضب شديد أجابته ،

- هندمه على اليوم اللي أتولد فيه

فتح عمر باب السيارة المقابل له ليخرج منها وهو يقول ،

- أنا وافقت أساعدك تأخذ حقك مش أساعدك أنك تدخل السجن

خرجت خلفه سريعا بحنق طفولي أخبره بأنه جبانا ولا يستحق صداقتي ، أمتص غضبي كعادته لأنه يعلم جيدا أنني بحاجة له الأن عن أي وقت مضى ، فعلاقاته المتعددة ستختصر مدة البحث للنصف او أقل بكثير، لهذا عاد للسيارة ليُقنعني أن نلجأ لحل مثالي وهو الجزاء من جنس العمل ،

تسألت عن قصده فأخبرني ،

- بمعنى أنه قدر يفلت أول مره بفصل من الجامعة بس وما أخدش جزائه اللي يستحقه ، كل اللي هنعمله أننا هنلبسه نفس التهمه القديمة ويتحبس بيها وكدا يبقى انت أخدت حقك وهو أخد جزائه ،

برغم أن فكرته لم تستهويني بشكل كامل لأنني أريد وبشدة أن أحطم عظام هذا القذر وأدعس على رقبته بحذائي حتى يستجير ، ولأن صديقي يعرف ميولي العنيفة جعلني أعده أن لا أتدخل بشكل مباشر وأنه سينتقم لي ولكن بطريقة أدمية ،

على مضض وافقت على الفكرة ووعدته كما أرد ، ومن هنا انطلقنا نحو المدينة ووجهتنا منزل يخص أحد أصدقاء عمر القدامى الذي يعمل حاليا في جهة أمنية خاصة ،

استقبلنا الرجل بحفاوة بعدما أتم عمر التعارف بيننا ودلفنا داخل منزله ، جلسنا وبعد عدة دقائق من احاديث عابرة أخبره صديقي أنا نريده في

خدمة خاصه ، لم يمانع الرجل بل وافق برحابة صدر وسأل عن نوعية الخدمة فأجابه عمر ،

- في واحد نصب على صاحبي في مبلغ كبير وفص ملح وداب ما نعرفش عنه حاجه من كذا سنه ،

أجابه الرجل وهو يضم حاجبيه تعجبا ،

- وإيه اللي سكتكم من كذا سنه

أشار له عمر يستأذنه في كوبا من الماء فناوله الرجل إياه ، يبدوا ان صديقي يبحث عن إجابة مقنعه ، ندمت أننا لم نتفق بالخارج عن شيء مقنع نخبره به ،

أنتهى عمر من احتساء كوب الماء بأكمله وبعد أن أنتهى قال له ،

- كنا أستعوضنا ربنا فيهم بس سمعنا ان رجع البلد من قريب وخايفين يسافر تاني ومصطفى محتاج المبلغ دا حاليا ثم أنه مش مبلغ قليل ،

سأله الرجل بمنطقية ،

- عملت محضر سرقه ونصب من وقتها لو عملته ورهوني وأنا امنعهولك من السفر ،

ابتلعت ريقي بينما باغته عمر ،

- أصل المشكلة ياباشا أنه للأسف يبقى عديله فمنقدرش نتخذ معاه أجراء قانوني عشان خاطر أخته ،

اقتنع الرجل أو حاول أن يقتنع ، نظر نحونا لعدة لحظات ثم نهض من مقعده وتركنا في غرفة الاستقبال وخرج ، بعدما دون له عمر الاسم الثلاثي لهذا النجس ،

عاتبت عمر لأنه لم يخبرني بكذبته فنهرني بهمس متقطع قائلا ،

- كنت عاوزني أقوله إيه واحد هدد خطيبتك من سنين وحاول يعتدي عليها وأنت عاوز تنتقم منه فهنلبسه تهمه .. أنت فاكره أمين شرطه ،

عاد الرجل مبتسما فقطعنا حديثنا وبادلنه الابتسامة بأخرى ودوده وقلقه ،

أخرج من جيبه ورقة بيضاء مدون بها عنوان منزله وارقام هواتفه وللمفاجأة انه أفتتح شركة حديثة للتسويق الإليكتروني وللعجب انها أصبحت من منافسين الشركات الكبرى في وقت قليل ،

أستغل عمر هذه المعلومات لينهال عليه بالسباب معللا ان كل ما يملكه هذا القذر الأن هو من أموالي التي سرقها..

خرجنا من بيته نشكره بامتنان على هذه المعلومات القيمة ، صعدنا للسيارة وانطلقنا نحو المقهى الخاص بنا لنخطط ماذا سنفعل به ؟!

رتبنا لخطة محكمة لنسجنه بها بينما حملت أنا بعض البغض الذي يحثني على تكسير عظام يداه الاثنان قبل أن يعيش خلف القضبان الحديدية ،

انتهينا حديثنا بعد أن استعانا ببعض المقربين منا لتحقيق نتيجة أكيدة ، استأذن الجميع وانطلقت لمنزلي فوجدت مروة تنتظرني وعلامات الحزن تزين وجهها ،

عاد صداع رأسي مع صوت صرير مزعج يتخلل أذني ،

تجاهلتها تماما ودلفت لغرفتي فتتبعتني وهي تقول ،

- ليه عملت كدا يا مصطفى

لم أفهم ما ترمي إليه ولا أريد أن أسمع حتى صوتها الأن ، لقد قررت أن أؤجل غضبي منها قليلا حتى اتخلص من الحيوان الأخر واتفرغ لها هي وزوجها ،

صعدت لفراشي وأخذت وضعية النوم ثم تدثرت بغطائي وأنا اقول لها ،

- اخرجي وأقفلي الباب وراكِ

لم تستسلم كما توقعت وأتت نحوي وهي ترفع الغطاء عن وجهي ،

- أنت بتكلمني كدا ليه مش كفاية قهرتي عليك لما عرفت أنك بتتعاطى زفت هيموتك

تفاجأت لقولها وكيف عرفت بالأمر ؟! ولكني لم ابدي أي ردة فعل استمريت على وضعي ونظرت لها بغضب تعرفه جيدا وكررت امري لها مرة أخرى ،

- قلت اخرجي واقفلي الباب وراكي

خرجت تجر اذيالها وهي تتسأل ماذا حدث لكي أعاملها بهذا الجفاء ؟!

غلبني النعاس وغطيت في نوما مضطرب وكوابيس تلازمني طوال الليل ، استيقظت باكرا بمزاج سيء للغاية ، ارتديت ملابسي وألم رأسي أصبح عادة لا فرار منها ،

ذهبت للمقهى واحتسيت فنجان من القهوة وأنا أنتظر عمر يأتيني لقد اتفقنا مع أحد الأصدقاء سيقابلنا هنا بمبلغ كبير من النقود المزيفة ، جعلت الهاتف على وضعية الصامت حين رأيتهم يأتون من بعيد ،

ها هو صديقنا ومعه الرجل ، جلسنا قرابة الساعتين في مباحثات وحديث لا ينتهى وأنا ادون كل ما نحتاجه حتى ينقضي الأمر دون المساس بأي شخص نعرفه ،

اكملت جلستي مع عمر لبعض الوقت وانطلقنا من المقهى لنجري بعض الاتفاقات الجانبية وكان أكثر ما يعيق خطتنا هو البحث عن أحد الفتيات للعمل في هذه الشركة لوقت كافي حتى تستطيع وضع المال في خزانته الخاصة به ،

لحسن حظنا ونحن نبحث عن الشركة في محرك البحث وجدنا اعلان منها

يقدم منحة خاصة ومجانية مقابل مقترح مكون من عشر صفحات يفيد التسويق التجاري لسلعة ما

،

قصدنا أحد زملائنا البارعون في هذا المجال وطلبنا منه هذا البحث واعطيناه عنوان الشركة ليرسله لهم بأقصى تقدير الليلة ، وحتى يأتي الجواب بالقبول سنتدبر أمر الفتاة هكذا أتفقنا وبدأنا التنفيذ ،

تذكرت أنني لم انظر لهاتفي منذ انا جعلته على وضعية الصامت ، اخرجته من جيب سروالي لأتفقد الساعة فوجدتها تعدت الرابعة عصرا ،

أعدت ضبطه على الرنين وقبل انا اضعه في جيبي مرة اخرى وجدت خالتي تهاتفني ،

أجابتها بود ولكن هالني صوتها القلق ، سالتها ما بها فأجابتني ،

- أنت ما روحتش مع أملا المقابلة ؟!

وقفت من مجلسي والغضب بدأ يتسرب نحوي اتسأل ،

- مقابلة إيه يا خالتو ؟!

رجفة صوتها جعلت غضبي يتصاعد لأقصى درجة ، تلكأت قليلا فحاولت ألا أرفع صوتي من باب الأدب وصككت اسناني وكررت سؤالي مرة أخرى فوجدتها تجيب ورعشة أنفاسها تصلني بوضوح ،

- انا اكدت عليها تقولك قبل ما تروح ،

لم تعطني فرصة لأسأل مرة اخرى وأخبرتني ما حدث ، لا أعرف ما سبب شعوري بالانقباض وكأن أحدهم يطبق على حنجرتي بكلتا يديه والرعب يتسلل نحو قلبي مثل لص ماهر ،

سألتها عن أسم الشركة وعنوانها فطلبت مني ان انتظر قليلا حتى تأتي بالورقة المدون عليها المعلومات ،

لحظات مرت عليا كأيام عصيبة ودقات قلبي تعالت حتى وصلت مسامعها لأذني وأنا أتذكر هذا الكابوس المزعج الذي قض مضجعي البارحة ،

جاءت خالتي وأخبرتني ما كنت أخشاه ،

نفس عنوان الشركة وأسمها !!

الدرجة الثامنة...

الشوق :

_وهي نزوع النفس إلى المحبوب؛ وشدة تعلقها به"

دموعها هي الوسيلة الوحيدة للهجوم ...

أرتعش جسدي مرة أخرى حين نظرت لعينيه
وتذكرت لمساته الحقيرة ،
وكلما أقترب مني أزداد نشيجي ولكنه يكمم
فمي فلم أستطيع الصراخ ،

ازدادت ابتسامته اتساعا ورفع كفه أمامي يتلمس
أصابعه فقشعر جسدي وأنا أتذكر هذه الأنامل
وهي تعبث بوجهي ،

نزع اللاصق من على فمي بسرعة شديدة جعلتني
أصرخ واسبه وقبل أن أنتبه سقط كفه على وجنتي
بصفعة صمت أذني ،

رفع حاجبه بتسلية وأنا أجفف جانب فمي من
الدماء التي سالت أثر صفعته وأكتم غيظي وأنا
أنظر نحوه بكره لم أستشعره لشخص قبله ولا
بعده ،

انحنى نحو أذني وقال لي وهو يضغط على كل
حرف من حروف جملته :

- القلم دا عشان اطردت من الجامعة بسببك

ثم حدجني بنظرة جعلتني أبتلع لساني ومن شعوري
بالخوف قررت الصمت ،

جلس على ركبتيه أمامي ينظر لعيني بشغف
ويعيد شعري للخلف وأنا أتململ تحت أصابعه

أحاول أن أبعده عني ودموعي تتساقط كشلال ولكنه لم يبالي ،

خلل اصابعه في خصلات شعري وقربني من وجهه حد الالتصاق وبهمس أشعرني بالغثيان قال لي :

- عمري ما تمنيت بنت غيرك وعمري ما حد أذاني زيك ولأني أتعودت اني اللي أشاور عليه بأخذه أن الأوان أخد منك اللي أتمنيته !!

تسارعت نبضات قلبي فبت ألهث برعب وجسدي ينتفض وأنا أحاول فك وثاقي بينما هو مازال يجلس على ركبتيه أمامي ويبتسم لي بتحد واضح وهو يخبرني أنه لا يوجد مجالا للهرب ،

بدأت تتساقط دموعي بألم وأنا أتخيل هذا الحقير يعبث بجسدي ولكني نفضت هذه الأفكار السوداء عندما طرق باب الغرفة وأتاه صوت رجل من خلفه يخبره أن يأتي على الفور،

وضع لاصق أخر على فمي ثم مسح بإبهامه دموعي من على وجنتي وأنا أحرك رأسي بشدة أثر لمساته وأحاول أن أصرخ به وهو مازال يبتسم بهدوء قاتل ،

غادر الغرفة وهو يختال في خطواته وأنا أرتعد خوفا وعقلي يضج من التفكير في عودته ، يجب علي أن أفك قيدي وأحاول الهروب لن أظل هكذا حتى يعود !

التقطت عدة أنفاس من أنفي لكي أملأ رئتي بالهواء قبل أن أفقد وعيي وحاولت مرة أخرى أن أحرك كفي بقوة كي ينفك الحبل المشدود على معصمي ولكن دون جدوى فقد ربطه بقوة لا أستطيع حله من خلف ظهري او أن أجعل أصابعي تنسل منه،

ناجيت ربي أن ينقذني من هذه الكارثة وبدأت أردد بعقلي أسمه وكأنني أناديه "مصطفى" ووعدت نفسي لو خرجت من هذه المحنة بخير سأعيد ترتيب حياتي كلها وأولها علاقتي به !

آلمني جسدي من كثرة تحركي داخل الأغلال وشعرت بحرقة شديدة في جلدي، حاولت أن أتناسى الألم وأركز على كيفية خروجي من هذه الغرفة ، لا لن أستسلم أبدا لن يلمسني أحد غيره ولو دفعت حياتي ثمنا لذلك!

حاولت عدة محاولات واهية لأفك هذا الاحبال من يدي حتى سمعت صوته يتحدث مع أحدهم بقلق ظاهر ، ضممت حاجبي أسترق السمع فلم أفهم شيء من همهماته ،

خطواته الواسعة والسريعة جعلت أنفاسي تعلو وهو يُمسك بمقبض الباب ثم اداره ودخل يخطو نحوي وأنا استشعر اهتزازة جسده ،

نظر لي وهو يرفع حاجبا واحدا بحنق واضح ثم أمال رأسه للأسفل حتى أقترب من أذني قائلا :

- انتي قولتي لمين على مكان الشركة؟!

ابتلعت ريقي بصعوبة وبصيص من الأمل تسرب لقلبي مؤكد أمي أخبرت مصطفى والجميع بمكاني،

حمدت الله أنني لم أتجاهل حدسي وتركت لها عنوان الشركة وأرقامها في ورقة خارجيه قبل ذهابي ،

نظرت نحوه بتحد فرفع زاوية فمه بابتسامة عبثية ثم همس بجوار أذني :

- ما تفرحيش كدا ما حدش هيلحقك

ثم فرقع بأصابعه ناحية الباب فدخل رجلان قويا البنية بعضلات مفتولة يرتدون سراويل من الجينز تعلوها قمصان بيضاء يشمرون عن سواعدهم المشدودة من قوة عضلاتهم ،

انقبض قلبي من رؤيتهم يقتربون مني فجحظت عيناي وأنكمش جسدي على المقعد عندما انحنى أحدهم يفك قيد قدمي ثم اوقفني وهو يقبض على رسغي يدفعني للأمام ،

خطوت معه حين أنضم الثاني يمسك رسغي الأخر، تقدم هذا المسمى نزار بعدة خطوات أمامنا ثم توقف وأستدار نحوي ليتقدم مني عدة خطوات وبحركة سريعة أزال اللاصق من على فمي وهو يحذرني بعينان حمراء :

- مش عاوز اسمعلك نفس خليكي محترمه كدا عشان ما أذكيش

ثم أعاد خصلات شعري خلف أذني و يغمز لي و يُكمل :

- شويه ونوصل لمكان آمن أكتر ووقتها محدش هيا خدك يا حلوه غير لما أخد منك اللي انا عاوزه من زمان

ارتعش جسدي وتقلصت معدتي بألم لا يحتمل ولكني استجبت لدفع الرجلان بجواري وأنسقت معهم مثل ذبيحة تساق لنهايتها !

لا أعرف لما توالت علي لحظاتي الخاصة والحميمية مع مصطفى زادت انقباضات معدتي وكأنها تحذرني بما أشعر به من ألم ،

كيف سأتحمل العيش بعد أن يلمسني هذا القذر،
لا لا لا لن يحدث سيلحق بي مصطفى كما
شاهدت في الأفلام من قبل ، هكذا يتم الأمر
سيعرف مصطفى مكاني وينقذني منه ،

توقفت عند هذه النقطة وأنا أكاد أن أصفع نفسي
على سذاجتي ، كيف سيعرف مصطفى مكاني
هل أنا بلهاء لهذه الدرجة هذا ليس بفيلم يعرض
على أحد الشاشات هذه حقيقة أنا أسيرة هذا
المختل وسيفعل بي ما عجز عن فعله بالماضي !

خرجت أغلق عيناي من الضوء الشديد الذي يأتي
من الشمس ، رفعت رأسي أنظر للسماء الصافية وقد
توسطت الشمس كبد السماء تسألت بداخلي عن
الوقت فلم أريد معرفة الأجابة ،

نظرت حولي فلم أجد سوى زقاق ضيق تملؤه
صفائح القمامة ، أين أنا يا ترى؟!

لم ألحظ أن أحد الرجال بجواري ترك يدي وذهب
وقبل أن أتسأل عن مكانه وجدته يقود سيارة دفع
رباعية ويتقدم نحونا ،

فتح الأخر الذي على يساري الباب الخلفي ثم دفعني
بقوة فتأوهت حين أصطدم جسدي بالمقعد والتوت
يدي المقيدة خلف ظهري،

نهره نزار على معاملته العنيفة معي ولكني كنت
ممنونة له فقد شعرت أن الحبال قد ارتخت قليلا
من معصمي،

صعد نزار بجواري ثم أمسك بكتفي يساعدني أن
أعتدل في مجلسي ،

أعتدل بالفعل وأسندت ظهري خلفي وبدأت في
المحاولة مرة أخري لحل هذه الحبال من يدي
ولكن اقترابه مني جعلني أتوقف،

انطلقت السيارة فنظرت لعينيه التي تواجهني ثم
رددت وأنا أهز رأسي لا ليس هذه النظرة!

نظرة الرغبة بعينيه تجعل جسدي كله يهتز
وكأنني أمسك بتيار كهربائي، لقد رأيتها يوم أن

أوقفني في الجامعة لم أجد سوى الإلهاء حلا فقولت له بصوت مهزوز ويرتعد خوفا من القادم :

- وأنت بقى عملت الشركة دي كلها عشان تخطفني؟!

صدى ضحكاته ملئت السيارة فارتعدت فرائصي ثم توقف وهو يقول :

- أكيد مش هعمل مشروع بكل قرش شقيت وتعبت عشان أجيبه عشانك انتي ،

ضم كفيها ببعضها ثم بثبات أكمل :

- كل الحكاية أني بعد ما عملت الإعلان واتقدمت المشاريع البنت السكرتيرة جابتلي المستندات الخاصة بالمتقدمين ولحسن حظي لقيت أسمك في واحده منهم ماصدقتش نفسي الا لما جيتي وشوفتك في كاميرات المراقبة ،

لعنت حظي فقد جرى كل ما حدث بسبب عنادي لو أخبرت مصطفى من وقتها لكان الوضع مختلف

الأن ، مصطفى لن يمسني أحد غيره حتى لو مت إثر ذالك !

قرب وجهه مني فتحركت بجسدي للخلف أبتعد عنه وأنا ألف يدي وقد ارتخى الحبل قليلا عما كان ، فقررت إلهائه بسؤال يلح علي كثيرا منذ وقت طويل :

- ليه أنا بالذات ! إيه الإصرار الغريب دا عليا؟!

تنهد بهدوء وهو يتفحص جسدي بأكمله بطريقة وقحه جعلتني أشعر بالغثيان فعرفت وقتها أنني في عداد الأموات أن حدث ولمسني هذا القذر،

همس لي بفحيح كالأفاعي :

- عاقبتين من يوم ما شوفتك وعاجبتيني أكتر لما رفضتني وزي ما قولتلك قبل كدا انا عمري ما طلبت حاجه وما خدتهاش ..

استطعت أخيرا أنا أخرج يد واحدة من هذه الأحبال فكرت كثيرا ماذا سأفعل بهذه اليد لن أستطيع

فعل شيئا بها ، نظرت نحو الرجلين بالأمام فشعرت بالرعب وأنا أتخيل جسدي الضعيف بينهما ،

لم أستغرق وقتا طويلا في التفكير فاعتدلت أواجه نزار وابتسمت نحوه بهدوء وأنا أقول له :

- ومش هتا خدها

ثم فتحت باب السيارة الخلفي وقذفت بجسدي للخارج تحت أنظار نزار الفزعة ، دار جسدي على الأرض عدة دورات ثم استقر على الأسفلت فلم أعد أشعر به استسلمت للنوم بعدما وجدت مجموعة من الناس تلتف حولي وصوت توقف العربات يأتني من بعيد حتى توقف كل شيء !

أما دموعه فتعد نهاية الثبات وبداية الانهيار ...

نفس عنوان الشركة وأسمها !

ابتلعت غصة في حلقي كادت أن تخنقني وأنا أتذكر ما حدث منه في الماضي ، شعرت بقدمي تهوي فاستندت على الحائط بجانبي فلاحظ عمر توتري الزائد فاقترب مني يتسأل عما جرى لي ،

وبصوت أخرجته بصعوبة أخبرته ما حدث باختصار شديد، شعرت بجسد عمر يهتز أمامي ولكنه تماسك وهو يمسك بيدي قائلا :

- طب يلا يينا على الشركة وأنا هكلم الناس تحصلنا

وكأنه أذن لي بالتحرك فركضت نحو سيارتي وقبل أن يصعد عمر أدرت المحرك فصعد بجواري سريعا قبل أن أنطلق بسرعة جنونية،

لم يحاول عمر ايقافي كما يفعل دئما وكأنه شعر باشتعال قلبي فتركني أفعل ما يريحني قليلا ،

وصلنا للشركة في خلال نصف الساعة بسبب ازدحام الطريق في هذا الوقت ولم يتوقف لساني عن السباب لكل ما وجدته يعترض طريقي حتى أن عمر جعلنا نتجاوز أكثر من معركة كانت على وشك الحدوث بسبب غضبي الذي أفرغته في الجميع ،

ااااااه ألما لماذا لم تخبريني أيتها الحمقاء، فقط كوني بخير وسوف أعاقبك على فعلتك عقابا أليما،

ترجلت من السيارة وقذفت بالمفتاح ناحية عمر ليضعها في الجراج الخاص وصعدت على الدرج متجاهلا تساؤلات الأمن عن سبب زيارتي حتى وصلت لمكتب تجلس خلفه فتاة شقراء بملامح جدية تتحدث بأدب زائد :

- اؤمر يا أفندم

حاولت أن أضبط أعصابي قليلا وأجابتها :

- في أنسه أسمها ألما جت تقدم على وظيفة في الحسابات الصبح ممكن أعرف هي فين ؟!

رأيتها تبتلع ريقها بتوتر ثم انتظرت قليلا على ما أعتقد أنها ترتبت بعض الكلمات المقنعة وهي تفر الاوراق أمامها ثم اعتدلت في وقفتها قائلة :

- كل المتقدمين للوظيفة أجروا المقابلة يا أفندم ومشوا

تطلعت لها لعدة لحظات فحاولت رسم ابتسامة سمجة على وجهها وهي تقول :

- أي خدمة تانية يا افندم

ألتفت عائدا ونزلت من على الدرج وأنا أخرج هاتفي لأتصل على عمر الذي لم يأتني حتى الأن فوجدت هاتفي يهتز وأسم وعمر يزين الشاشة،

أجابته سريعا فوجدته يلهث وهو يتحدث :

- انا شوفت اتنين بادي جارد ماسكين ألما ودخلوا عربيه جيب سودا أنا حاليا وراهم انا اتصلت على الجماعة وهما جايين ورانا احنا طلعنا على الطريق السريع حصلني بسرعه ..

ركضت للشارع الرئيسي وأوقفت أول عربة أجرة واخبرته وجهتي ومن خلال لهجتي الحادة انطلق الرجل بسرعة كبيرة نحو الطريق السريع،

شعرت بجسدي يرتجف بأكمله ورأسي يدور بأفكار حالكة السواد و أظلمت الحياة بعيني وكل ما اردده وأقسم عليه أنني لن أترك هذا الوغد يعيش يوما أخر بعد الأن ،

اجريت اتصالا مع عمر لأعرف وجهته الان فاخبرني انه قام بتشغيل محدد المواقع وبعثه لي على أحد مواقع التواصل لأتتبعه ،

فعلت ذلك وأمرت السائق يتجه ناحية اليمين كما اخبرني المؤشر،

بدأت أهز قدمي بتوتر بالغ وقد تسلل الرعب لقلبي والتساؤلات تدور بعقلي ، ماذا سيحدث لو لم يلحق بهم عمر؟! والأسواء ماذا لو لحق بهم ولم يستطيع انقاذها ؟!

يا ألهي سأجن من هذه الأفكار يجب علي أن أتوقف وأركز على ما سيحدث سأشحذ غضبي لكي أفرغه بأكمله على جسد هذا الحقير الذي يسمى نزار،

- بسرعه شويه يا اسطى لو سمحت

رددتها على مسامع السائق بصوت حاد وغاضب فأسرع الرجل وهو ينظر لي عبر المرآة الداخلية بتعجب ،

فقد جوبت المقعد الخلفي بأكمله والقلق يكاد يأكل جسدي،

- اهدى شويه يا باشا قولي بس على المكان وانا هختصر الطريق واوصلك أسرع ،

نظرت عبر شاشة هاتفي وأخبرته بالمكان الحالي
فالتف الرجل من شارع جانبي وخرج مباشرة
للطريق السريع ،

تخطى عدة عربات بحرفية حتى وصل لمكان
مزدحم للغاية وصوت أبواق السيارات يصم الأذن ،
اتصلت على عمر فلم يجبني مما جعل قلبي يقفز
من صدري من شدة الخوف حاولت أن اتصل به مرة
أخرى وكانت النتيجة كالمرة الماضية ،
توقفنا في الزحام فقال السائق بتأثر :

- يظهر كدا في حادثه يا باشا

انقبض قلبي ولم أعرف السبب فدفعت للرجل ماله
وترجلت من السيارة اخطو خطوات واسعة
وسريعة نحو تجمع لبعض الناس ،
بدأ خطواتي تبطأ وقلبي يرتجف بداخلي كلما
أقترب خطواتي من الفراغ في الوسط ،
لمحت ظهر عمر يجثو على ركبتيه وأمامه أحد ما،
اقتربت بأنفاس لاهثة و توقفت نبضات قلبي وأنا أراها

تتكور على الأرض أمامي ووصلني صوت من
أحدهم :

- اطلبوا الإسعاف بسرررعه

انحنيت على الأرض بصدمة وأنا أرى وجهها المليء
بالخدوش والكدمات حاول أحدهم إيقافي من أن
أقترب منها فمنعه عمر وهو يخبر جميع الواقفين
انها زوجتي ،

جلست بجوارها على الأرض ورفعت يدي المرتعشة
أمسك بكفها لأجث نبضها وجسدي كله ينتفض
،

وجدت نبضاتها بطيئة وجسدها ساكن بلا حراك
، يا ألهي ما الذي فعلته؟!

لم أنتظر كثيرا وحملتها يين يدي وركضت نحو
سيارتي وقد فقدت النطق نهائيا،

جلست بالخلف ووضعتها على قدمي وبمحاولات
واهية فتحت فمي انطق بإسمها علها تجيبني ولكن
ولخيبة أملي لم تجيب !

قاد عمر السيارة لأقرب مشفى وأنا أتعهد أن أفعل أي
شيء مقابل أن تفتح ألما عينيها !

الدرجة التاسعة ...

الوصَب :

" ويعني شدة الألم الذي يأتي بسبب الحب "

-التملك بالنسبة لها بداية !

أقف تائهة وسط شوارع المدينة الكبيرة وللعجب فهي خالية من البشر! أبحث بعيني عنه والذعر يتملكني ولا أفكر في أحد غيره ، أركض هنا وهناك بملامح حائرة وقلقة بالرغم من شعوري باليقين أنني سأجده أو بالأحرى هو سيجدني ويأتي إلي !

هكذا حدثت نفسي لأطمئن قليلا، ثم توقفت حين أتاني صوته ضعيف ومكسور يردد :

- أنا آسف ، أرجوكِ سامحيني !

نظرت حولي بلهفة وأنا أتشوق لرؤيته ولكن خاب ظني ، فلم أجده بجواري يا ألهي ماذا يحدث لي؟!

حاولت تحريك ذراعي فشعرت به ثقيل ولا يتحرك ، بالإضافة لشعوري بالألم في أجزاء متفرقة في جسدي، تسألت وأنا أحاول أنا أحرك جسدي:

- أنا فين ؟!

سمعت صوته مرة أخرى من بعيد يناديني بقلق :

- ألما أنتِ سمعاني؟!

أردت أن أجيبه بنعم ولكني لم أستطع التحدث ثانية فأنا تائهة تماما !

شعرت بيده على رأسي وأتاني صوته يردد بعض الكلمات بذعر وخوف شديد لم أتبينها جيدا ، مثل :

- يا دكتور ، ايه اللي بيحصل ، هي ردت عليا !

وفجأة تداخلت بعض الأصوات الغريبة تتحدث معه وعلى ما يبدوا هناك حركة غير طبيعية تدور من حولي أشعر بها،

صوت أقدامهم تطرق على الأرض بسرعة جعلتني أشعر بالخوف فناديته بوهن:

- مصطفى

ثم شعرت بثقل عيني المغلقتين وبرودة تسللت لوريدي لم أعرف مصدرها ولكنها كانت كفيلة بجعلي أغيب عن الواقع مرة أخرى !

رائحة خبز محمص تمتزج مع رائحة قهوة منعشة تسللت لأنفي فستنشقتها

بعمق جعلني أضم حاجبي وأنا أتسأل عن مصدر هذه الرائحة ،

زال تعجبي حين سمعت صوتا أعرفه جيدا على ما يبدوا أنها مروة أبنة خالتي :

- عشان خاطري يا مصطفى كل بس اللقمة دي قبل القهوة انت عديت ال ٢٤ ساعه من غير لا أكل ولا نوم وعمال تشرب في قهوه بس

حاولت أن أخرج صوتا من فمي او حتى تأوها ولكن حنجرتي أبت أن تطاوعني ، قررت الاستسلام وعدم المقاومة فأنا الأن متعبة للغاية ،

طاوعت النوم الذي ألح علي وذهبت في رحلة أخرى

،

عدت ولم أدري كم مر على من الوقت وحاولت ثانية أن أصدر أي ردة فعل بجسدي او حتى عيناي فلم أستطع ، أستكنت حين سمعت صوته يتحدث بالهاتف :

- انهارده يا عمر ، لاء ، صدقني اخر فرصة ليك تعمل اللي اتفقنا عليه بعد كدا محدش يلومني !

اردت أن أناديه وأعتذر منه عما فعلته، أردت أن أعترف له بحبي وأن أخبره أنني أسامحه على كل ما فات ، أريد أن أبدأ معه بداية جديدة يكفي ما تحملناه من ألم !

رجوت جسدي أن يطيعني أتحرك من موضعي أو حتى أستيقظ ولكنه أبى، تململت براسي ولكني شعرت به ثقيلا جدا توقفت حين تناهي لسمعي صوت باب يُفتح ونبرة قلق من أمي كانت كفيلة بجعلي اصبح كالصنم :

- لسه ما فقتش

- لاء يا خالتو لسه
- طب الدكتور قالك إيه؟!
- قال من الأحسن تفضل نائمه ، ومتتقلقيش يا خالتو هتبقى تمام

صوت شهقات أمي المرتفعة جعل قلبي يؤلمني من أجلها لقد عانت أمي معي في هذه الفترة الأخيرة ، كم كنت أتمنى حياة أفضل لي تجعلها تفتخر بي ولكن ما حدث كان خطأ كبيرا ومازلت أدفع ثمنه!

قررت أن أستيقظ وأطمئنه أني بخير ولكن صوت صرير الباب أوقفني ، وقع أقدام خفيفة وصوت نسائي جاد أمر أمي ومصطفى بالخروج،

تسألت من هذه ولكن الإجابة كانت واضحة من صوت أخر كان معها يقول لها :

- انا هحطلها الحقنه على ما تفضي القسطرة لان الدكتور هيمر بعد نص ساعة ولازم يلاقي غرفة

الحالة نضيفه حاولي تنظفي الاوضه واهلها بره بسرعه

شعور الصقيع تغلغل في اوردتي مما جعلني أتيقن أنني سأنام مرة أخرى، وقبل أن أسترسل في تفكري كنت في عالم أخر!

شعرت بيده تحضن يدي وتشد عليها بقوة، لمساته دافئة وحنونه جعلت جسدي ينتابه قشعريرة محببه،

لقد اشتقت إليه بالفعل يكفي هذا يجب علي أن أفتح عيني لأراه !

جاءني صوته المرتعش يخبرني :

- أنا ظلمتك يا ألما وكنت ندل جدا معاكِ بس أوعدك أني هصلح غلطتي،

أحسست بنقطة ماء تسقط على كفي ! هل هذه دموعه؟! مستحيل، لم أراه طوال حياتي يبكي من قبل!

ترك كفي حين دخلت أمي يتبعها صوت خالتي الغاضب وهي تقول :

- حرام عليك يا أبني أنت لسه هنا

صوته كان جادا للغاية برغم اهتزازه :

- ماما لو سمحتِ مش عاوز كلام في الموضوع دا

تنهدت أمي قائلة :

- مامتك عندها حق يا مصطفى روح يا حبيبي ريح واحنا هنقعد معاها انهارده وأوعدك لو فاقت هنتصل بيك

أردت أن أصرخ باعتراض ولكني لم أقدر فلعنت عجزي وحاولت تحريك جسدي لكي يروني ولكنهم من الواضح لم يلحظوا ما أفعله،

توقفت عن المحاولة حين وجدته يقول بصرامة :

- ارتاحوا أنتوا الأتنين أنا مش هخرج من هنا من غيرها ومش حابب أسمع أي كلام تاني..

صوت خطواته ازدادت حدة وهو يخبرهم :

- أنا هعمل مكالمه وجاي حد عاوز يشرب حاجه ؟!

قام الاثنين بشكره فانطلق خارج الغرفة بينما جلس الأثنان وبدأت أمي بالبكاء ثانية ،

أوقفتها خالتي قائلة بحنان :

- خلاص بقى يا حبيبتي ما تعطيش إن شاء الله هتقوم بالسلامة وتبقى زي الفل وهنفرح بيها وبمصطفى

صوت طرق على الباب جعلهم يتوقفون عن الحديث وتقدمت خالتي بضع خطوات وهي تقول :

- أتفضل يا دكتور

صوت جهوري لرجل أربعيني ألقى عليهم السلام ثم أمسك بيدي ووضع على مرفقي سماعة تعلوها لاصقة فسمعت صوت أمي الباكي يتبعه شهقات خفيفة وهي تتسأل :

- طمني يا دكتور؟!

فتح اللاصقة وأزالها من على يدي وهو يجيبها :

- لاء تمام ضغطها أتضبط الحمد لله وان شاء الله هنوقف المهدئات وساعتين بالكتير وهتفوق

حمدت الله وشكرته بينما أوقفته خالتي :

- طب وأصابه دماغها يا دكتور؟!

ما بها رأسي؟! وددت أن أحرك يدي نحوها ولكني لم أستطع للمرة الثالثة تحريك يدي!

- بسيطة يا مدام ما تقلقش مجرد ما تفوق هنعرف الأضرار وصلت لفين أنما طبيا العملية نجحت الحمد لله

عملية؟! أي عملية؟! ماذا حدث لي!

وددت لو استطعت حتى أن أفتح عيني أو أن أخرج صوتي وأتسأل عما حدث لي ولكني مكبلة تمام جسدي كله مشلول، لا أشعر بأطرافي ، أحسست بحزن شديد يجتاحني وذهب عقلي على الفور إليه فتساءلت لماذا تأخر هكذا؟! انها مكالمة هاتفيه لا تستدعي كل هذا الوقت!

ذهبت بأفكاري إليه ولم أشعر بخروج الطبيب من الغرفة بل شعرت باليأس من ابتعاده ولكنه لم يتركني أنتظر كثيرا وسمعت صوته يفتح الباب ، وصلني صوته حزين ويائس ، مالذي حدث معه بالخارج؟!

تسرب القلق لقلبي وتناسيت إصابتي التي إلى الأن لا أعرفها ولا أعرف مدى الضرر الذي لحق بجسدي ، الأهم الأن هو فأنا بخير ما دُمت بجانبه ،

لاحظت أمي توتره كما تبينته من نبرته وهو يتحدث معهم فسألته :

- في حاجه يا مصطفى يا أبني؟!

أجابها باقتضاب :

- ما فيش حاجه يا خالتو، المهم الدكتور طمنكوا أنا شوفته داخل الاسانسير مالحقتوش

أخبرته خالتي عما قاله الطبيب ودخلت الممرضة للغرفة تقول :

- الزيارة انتهت ياريت مرافق واحد مع الحالة

ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها تاركة مصطفى يقول بإصرار وقبل أن يعترض أحدهم :

- يلا يا ماما خدي خالتو وروحوا

اعترضت والدتي بغضب ولكنه لم يبالي كعادته وفتح لهم باب الغرفة وبصوت آمر وحاسم طلب منهم الخروج ،

لم يستطيعوا الاعتراض ثانية وخرجوا من الغرفة وعلى ما أظن قد أجبرت خالتي أمي على المضي قدما لأني سمعت صوتها المتبرم خارج الغرفة،

أغلق الباب خلفهم وسمعت صوت المقعد بجواري فيبدوا أنه جلس عليه ،

حمدت الله أنني لم أغيب عن الوعي مرة أخرى وسأستطيع سماع حديثه معي، أريد بشدة أن أعرف ماذا سيقول لي وهو على علم بأنني غائبة عن الوعي ولكن الدهشة أصابتني حين أمسك يدي يضغط عليها وهو يقول لي :

- أنا عارف أنك سمعاني وحاسه بيا ، ألما أرجوكِ فوقي بقى ،

حاولت أن أضغط على كفه الذي يحضن يدي وبذلت أقصى ما في وسعي حتى يشعر أنني أسمعه وأعي جيدا ما يقول ولكنه انتفض تاركا يدي وسمعت صوت المقعد يرجع للخلف حين رن هاتفه

،

تلقى المكالمة بصوت مضطرب ويائس :

- في إيه تاني يا عمر ، لاء طبعا لسه مصمم على رأيي

تحول صوته لغضب شديد وهو يقول :

- مش هسيبه صدقني مش هرتاح غير لو جبته تحت رجلي، ألما بس تفوق، لاء ياعمر مش هسمعك تاني لو كنت أتصرفت زي ما كنت عاوز من الاول ومكنتش مشيت وراك مكنش زمانها مرميه دلوقتي بقالها يومين !

يا ألهي أنا هنا منذ يومين ؟!

من هذا الذي يتحدث عنه؟! أنا لا أفهم شيء !

عاد مصطفى يجلس بجواري فقررت أن أستيقظ
يكفي هذا فلنبدأ بفتح عيني ،

شعرت برأسه تتكأ على كفي فكان حافز
أكثر من جيد ولكني أشعر بعيني ثقيلة جدا،
فقررت أن لا أستسلم مصطفى يحتاجني وأنا في أشد
الحاجة إليه الأن يجب أن أفتح عيني وأعرف ماذا
حدث لي وعن أي شيء يتحدث ، استنفذت عدة
محاولات فاشلة وفي الأخيرة منهم استطعت أن أفتح
عيني

في البداية دارت الغرفة بي ولكن مع اصراري بدأ
يخف الدوران قليلا حين نظرت إليه وهو يحني رأسه
على يدي، تجعدت ملامحي حين رأيت يدي التي
يحتضنها مصطفي بها جبيرة من أول كتفي حتي
مرفقي ،

لهذا كنت أشعر بثقلها،

حركت رأسي أنظر ليدي الأخرى فوجدتها
موصولة بجهاز معدني يتدلى منه زجاجة محلول
في منتصف الزجاجة إبرة حقن فارغة،

أيقنت أن تحريك يدي الأخرى من المستحيلات فأنا أشعر بتنميل شديد بها،

أجليت صوتي بعدة تنهدات وناديته بوهن :

- مصطفى

لم يجيبني وكأنه غفا على يدي ، عيناه مغلقة بشدة وحاجبيه ملتصقان بغضب وشفتاه مذمومتين بحنق ، كم كنت أتمنى أن ألمس وجهه الجميل وملامحه التي دوما تأسرني برغم كل ما حدث ،

أشفقت عليه وتركته ينام قليلا وقررت أن أتأمل ملامحه التي اشتقت إليها حد الموت ، كنت أعتقد أنني لن أراه مرة أخرى ولكنه قدري لقد أيقنت الأن أنه قدري!

استرسلت في أفكاري و أنا أتأمله بعشق خالص ارتسمت على وجهي ابتسامة محببه وأنا أتذكر ما حدث بيننا، توقفت حين سمعت صوت أنفاسه العالية وهمهمات لم أفهم منها سوى أسمي الذي يردده برعب ، تجعدت ملامحي بقلق وذعر وأنا أحاول أن أحرك يدي الأخرى بصعوبة لكي

أضعها على رأسه وأطمئنه علي، شعرت أنني مقيدة في هذا السرير اللعين فلعنت حظي العسر و بدأت أكلمه بصوت مرتفع قدر ما استطعت :

- مصطفى أنا هنا

على صوته بطريقة أرعبتني ثم انتفض من مكانه يلتف حول نفسه وهو مازال يردد :

- ألما لاااء

أما بالنسبة له فالتملك هو النهاية !

لحظات كانت أشبه بانتزاع روحي من جسدي وأنا أقف هنا في هذا الممر الطويل الذي ينتهي نهاية بغرفة العمليات الجراحية بعدما أخذوها مني في استقبال المشفى وأستلمها مني الأطباء عندما صرخت بهم في وسط البهو الكبير لينقذوها بأقصى سرعه ،

تركت عمر يُخبر والدتي ومروه وسمعته وهو يقف بجواري يقول لمروه:

- كلمي مامة ألما وحاولي تطمنيها

ابتعد عني قليلا وهو يُكمل حديثه مع مروه ويشرح لها حالة ألما الغير مطمئنة بالمرة فهو يعرف مدى توتري وقلقي لهذا فضل الابتعاد عن مرمى سمعي ، قدرت له ذلك وعدت بعقلي الذي يرفض رفضا تاما محو صورتها وهي متكومة على الأرض وحولها بقعة من الدماء تتسع في كل لحظة،

فركت جبهتي بكفي عل هذه الصورة تختفي ويحل مكانها صورة ألما التي أعشقها ولكنها أبت أن تترك عقلي كما أبى القلق أن يهدأ قليلا حتى أستطيع التنفس بشكل صحيح ،

قلبي يدق بسرعة كبيرة بينما جسدي كله في حالة تأهب قصوى ادخرت كل غضبي حتى أطمئن على ألما وبعدها لن أتوانى عن قتل هذا الحقير الذي فعل بها هذا،

خرج الطبيب من الغرفة بعد ثلاثين دقيقة عشتها في عذاب نفسي كاد يفتك بي، ركضت نحوه بهلع أسأله عن حالتها فأخبرني بعملية :

- حالتها دلوقتي مستقرة نزفت كتير من دماغها وهنعرف مدى الأضرار اللي حصلت لما تفوق بس مش هينفع نخليها تفوق قبل ٣ تيام

وقبل أن أستفهم منه أكثر سمعت صوت شهقات خالتي وهي تركض نحوي بفزع أرتبك الطبيب واستئذان بخجل وذهب،

طمئنت خالتي ببضع كلمات هي وزوجها والذي لحق بها وعلامات الخوف الشديد تزين وجهه بين أخوها يقف بجسد مهزوز يتسأل ماذا حدث لها؟!

حاولت مجاراة الجميع وأجبتهم بكلمات لم أعنيها حقا وعقلي يحلل كلام الطبيب في أكثر من اتجاه ،

خرجت الممرضة من الغرفة فأسرعت نحوها أتسأل لماذا لم تخرج ألما إلى الأن فأجابتني :

- دكتور العظام عندها جوه بجبس لها دراعها، شويه وتخرج لغرفة عاديه وتقدروا هناك تشوفوها،

انضمت أمي ومروه وأبي للبقية فقررت الهرب قبل أن أعود للاستجواب الذي لا أتحمله حقا الان ،

أشرت لعمر فأتبعني وذهبنا نحو الكافتيريا الخاصة بالمشفى،

جلست على أقرب مقعد منهكا لأقصى حد، جلس عمر بجواري وهو يربط على كتفي قائلا :

- هتبقى كويسه ان شاء الله

كنت أتمنى لو أصدقه وأكذب حدسي ولكني لا أستطيع إلا التفكير فيما حدث لها وكيف حدث ذلك؟!

- هو اللي حدفها من العربية ولا هي اللي رمت نفسها؟!

تسألت وأنا أنظر حولي بعينان زائغتان فأجابني عمر :

- مش عارف بس لو فكرنا بمنطقيه هقولك هي اللي حدفت نفسها مستحيل يكون خاطفها عشان يرميها من العربية في نص الطريق

- وليه لاء ممكن يكون شاف او حس انك وراهم فقرر يخلص منها قبل ما يدخل في سين وجيم

اعترض عمر معللا أنه حتى لو رأه فهو لا يعرف هويته، أستبعد هذا الاحتمال بينما كل ما أفكر به الأن كيفية انتقامي من هذا القذر،

وبإصرار كبير قلت له :

- المرة دي مش هسيبه

شعر عمر باضطرابي فقام من مكانه وقرر أن يتسلم زمام الأمور قبل أن أخرج عن السيطرة :

- اديني فرصة واحده وأنا هبيتهولك في الحجز بتهمه يأخذ فيها بالميت عشر سنين

رفعت عيني نحوه وأنا أصك أسناني فترجاني لأعطيه هذه الفرصة، تركته يذهب وكل خلية في جسدي تبكي ألما وما حدث لها،

رنين هاتفي جعل أفكاري تتوقف نظرت نحو الشاشة فوجدتها مروه أجبتها سريعا فأخبرتني أنهم أخرجوها من غرفة العمليات وانتقلت لغرفة عاديه ،

أسرعت للطابق الثاني مهرولا فوجدت الجميع يلتف حولها وهي مستكينة الجسد في عالم أخر،

قلبي لا يتحمل رؤيتها هكذا توقفت غصة في نص
حلقي وشعرت بألم شديد في صدري ولكني
تحملت معاناتي التي لاتشبه ما مضى في شيء ،
فكل ما جرى بيننا في كف ورؤيتها هكذا في
كف أخر، ما الذي فعلته هذه الغبية بنفسها،

جلست أنظر نحوها وأتأمل ملامحها البريئة
وأتوجع كلما وقعت عيني على هذه الكدمات
الزرقاء التي تحاوط وجنتها وجبهتها، انفصلت عن
كل من حولي وعدت لتلك الليلة الملعونة، ماذا
فعلت بها وبنفسي؟!
يا ألهي كم كنت أحمقا غبيا !

أنتصف الليل وظهر التعب جليا على الجميع فوقفت
وبصوت صارم أخبرتهم :

- يلا يا جماعه الوقت أتأخر ولازم تروحوا

ضمت خالتي حاجبيها بغضب قائلة :

- أنا مش هسيب بنتي يلا انتوا اتوكلوا على الله

كظمت غيظي بقوة فأنا لست في مزاج جيدا لهذه المهاترات فأنا لن أتركها ولو كان الثمن إغضاب الجميع ،

دخلت الممرضة بعد أن طرقت الباب لتقول :

- يا جماعه من فضلكم الزيارة كدا طولت جدا لازم المريضة ترتاح مرافق واحد وياريت الباقي يفضي الغرفة قبل ما الدكتور يمر وتبقى مشكلة

نظرت نحوها بغضب فخرجت مسرعة ، ألتفت نحو خالتي بنفس النظرة فارتبكت ولكنها أصرت على التذمر بغضب ،

أخذت بضعة أنفاس أهدئ من روعي واقتربت منها أحاول أقناعها بالعودة للمنزل وأن تأتي في الصباح وأخبرتها أن الطبيب يريدها نائمة وسيظل الجميع يحقنها بمهدئ حتى تظل ساكنة هكذا لمدة لا تقل عن ثلاثة أيام،

اقتنعت بعدما أستعنت بوالدتي ومروه وأقنعها والدي وزوجها بأن الأفضل لها أن تعود للمنزل،

خرج الجميع وجلست أنا بجوارها أتنهدت بألم وكأنني كزت أنتظر هذه اللحظة لكي أعبر لها عما يجول في نفسي لعلها تسمعني وتغفر لي،

أمسكت كفها الصغير بين يدي أقبله بشوق وأنا أقول لها :

- أنا آسف ، أرجوكِ سامحيني !

كلمات خرجت من قلبي المتألم إليها، كم وددت لو أجابتني وكأنها بالفعل سمعت صوتي فوت ملامحها تتجعد بألم وهي تردد بصوت خافت :

- أنا فين؟!

يا ألهي يجب ألا تستيقظ الأن !

رددت برعب :

- ألما أنتِ سمعاني !

لم تجيب ولكن ملامح وجهها المتألم كانت كفيلة بجعلي أفتح باب الغرفة وأصرخ بالطبيب الذي من حسن حظي كان قادم إلينا وهو ومساعدته،

ركض الجميع بداخل الغرفة فوضعت يدي على رأسها بحنان وأنا أتكلم بخوف شديد يجتاحني :

- إيه اللي حصل يا دكتور؟! إيه اللي خلاها تفوق المفروض انها واخده مهدئات!

- سألني بقلق :

- هي أتكلمت ؟!

- أيوه ردت عليا وسألت أنا فين!

أجابني وهو يتفحص نبضها بجهاز قياس الضغط :

- دا مؤشر كويس بس برده لازم تفضل نايمه اطول فتره ممكنه

ثم أخبر مساعدته بسرعة حقنها بأحد الأدوية ففعلت ما أمره بها وقبل أن تستريح ملامحها وتذهب في سبات عميق .. رددت أسمي بوهن شديد جعل قلبي ينتفض داخل صدري بألم لا أعرف مصدره!

تنهدت براحة بعدما خرج الطبيب ومساعدته وأخبر الطبيب ممرضاته بضرورة متابعتها كل اربع ساعات على الأكثر،

أغلقت الباب خلفهم وجلست بجوارها مرة أخرى
وقررت ألا أحدثها ثانية لكي لا تستيقظ ،

أشرقت الشمس وأنا على حالي أتأمل وجهها الجميل
بصمت أتذكر كل ما مر بنا ، شعرت بالضجر
الشديد والاختناق مما فعلته بها فوقفت أزفر بضيق
وأنا أقف أمام الشرفة أشاهد شروق الشمس وأملأ
رئتي ببعض الهواء ،

طرقت الممرضات باب الغرفة للمرة الثانية هذه
الليلة فأذنت لهم بالدخول لفحصها مثل المرة
الماضية وحقنها بالمهدئ ،

انهوا مهمتهم وخرجوا من الغرفة فخطوت نحو
الهاتف الداخلي وطلبت القهوة للمرة التي فقدت
عدها ،

دقائق استمريت فيها على وقفتي حتى طرق الفتى
باب الغرفة وهو يحمل قهوتي ، وقبل أن أغلق الباب
كانت مروة أمامي،

دلفت للداخل تحمل معها بعض الخبز المحمص
وظلت ترجوني أن أكل كنه ولكنها لا تفهم أنني
أجاهد لأفتح فمي أتناول من خلاله القهوة،

لقد فقد الشعور بالجوع وحتى العطش، فقدت
الشعور بجسدي ورغبتي في النوم أو أن أفكر
باحتياجه ،

جلست مروه قليلا تتحدث في أشياء لم تعلق بذهني
ففطنت أنني لا أهتم لما تقول أو بالأحرى لا أسمعها
فقررت الذهاب بهدوء،

عدت لأجلس بجوار ألما كما فعلت طوال الليل فلو
عشت عمري هكذا لن أمل من تأملها أمامي
ولكني أريدها مستيقظة وبخير،

امسكت بهاتفي لأتصل بعمر كي أرى ما وصل
إليه منذ الأمس ، لم أنتظر كثيرا حتى أجابني
بصوت مضطرب ، سألته مباشرة عما حدث فاشتعل
الغضب بقلبي وانفعلت عليه بعدما تملكني
الجنون حين أخبرني أن هذا الحقير أستطاع
الاختباء من الشرطة ،

كرهت شعور العجز الذي تملك مني ، حيرة و قهر وغضب لا أستطيع السيطرة عليه !

كنت أتمنى أن أحكي لها ما حدث ، قذفت الهاتف على الأرض فتحطم وجلست على ركبتي أمسك كفها بيأس وأنا أردد :

- أنا ظلمتك يا ألما وكنت ندل جدا معاكِ بس أوعدك أني هصلح غلطتي،

سقطت دمعتي على كفها ولكني أزلتها سريعا حين دخلت أمي وخالتي للغرفة ،

تلقيت منهما كلمات اعتراضية على وجودي معها فأوقفتهما وقررت أن أتركهما معها قليلا قبل أن أفرغ غضبي بهما وتحججت بمكالمة هاتفيه وانطلقت نحو حديقة المشفى أجلس بها حتى يأتي ميعاد رحيلهما ،

جلست أفكر وأفكر فهاتفني عمر أجبته وغضبي منه بدأ يتصاعد فهو يريد حلا قانوني وأنا أريد قتله وتعذيبه بيدي ،

فتحت الخط ولم أتكلم ففهم حالتي وسألني عنها ، أجبته برد مقتضب وأنا أسأله عما فعل حتى الأن ،

- لسه بندور عليه و..

أغلقت الخط وهو يتحدث قبل أن أفقد أعصابي !

انتفضت من مجلسي وقررت الصعود إليها لعل رؤيتها تريح قلبي المحترق من أجلها ،

وجدت الطبيب يدخل للمصعد فأردت اللحاق به ولكني لم أستطع ، فدلفت للغرفة وسألت أمي وخالتي فطمئنتي قليلا على حالتها وعدنا لتذمر خالتي في المكوث معها ،

فطنت أمي حالتي السيئة فأخذت خالتي وخرجت ، جلست بجانب ألما وأحتضن كفها بين يدي وبرجاء خرج من أعماقي قلت لها :

- أنا عارف أنك سمعاني وحاسه بيا ، ألما أرجوكِ فوقي بقى ،

لحظات انتظرتها تبين أي ردة فعل على سماعها لي ولكنها صامده لأقصى حد ، رنين هاتفي جعلني أتوقف وقد عاد غضبي مع صداع يدق رأسي بألم

انه عمر مرة أخرى، أجابته بضجر وإصرار على ما نويته سأطمئن على حالة ألما ولن أدع ذالك الكلب يهرب بفعلته،

أغلقت معه الهاتف وأنا أشعر بثقل شديد بجسدي فجلست على المقعد بجوارها وضممت يدها بين يدي ووضعت رأسي بين كفيها بإرهاق شديد وتعب لا يحتمل،

لم أشعر بنفسي وغفوت مكاني ، وبعد لحظات كانت تقف أمامي تبتسم بجمال ليس له مثيل خطوت نحوها بابتسامتي المحببة إليها وقبل أن أصل إليها وجدته يقف خلفها بعينان حمراء ويضع يده على رقبتها ويجرها للخلف،

تسارعت نبضات قلبي وحاولت أن أركض نحوهما ولكنني كلما ركضت كان يبتعد بها، صرخت بإسمها بأعلى صوت أمتلكه حتى استيقظت وأنا أقف على قدمي ألتفت حولي بذعر حتى رأيتها على الفراش تنظر لي بعينيها الزرقاء برعب شديد ....

الدرجة العاشرة

الاستكانة :

" ومعناها الوصول لمرحلة الذل والخضوع في الحب "

" هي تحتاج إلي الشعور بحبه !

لعنت حظي العسر و بدأت أكلمه بصوت مرتفع قدر ما استطعت :

- مصطفى أنا هنا

على صوته بطريقة أرعبتني ثم انتفض من مكانه يلتف حول نفسه وهو مازال يردد :

- ألما لاااء

رددت بوهن ما زل يتملكني :

- أنا هنا

نظر نحوي للحظات فظننت أنه لم يستوعب بعد أنني مستيقظة ، تركته يدرك الأمر على مهل ثم فجأة أنطلق نحوي يحاوط وجهي بكفيه ومازال صدره يعلو ويهبط بانفعال شديد ثم لمعت عيناه بدموع حبيسة ألجمتني فلم أجد من الكلمات ما استطيع التعبير عما أشعر به،

اخذ برأسي على صدره وهو ينهت مما جعلني استنشق عطره وأنا مغمضة العينين حتى يتخلل عبيره كل حواسي يا الهي لقد اشتقت له كثيرا،

ابعدني عن صدره وهو يتفحص ملامح وجهي بنهم شديد ثم أغمض عينه وأطبق فمه وكأنه يحارب شيء ما بداخله سقطت دمعة على وجنته فأصبتني الدهشة وانا أردد بداخلي - مستحيل مصطفى يبكي؟! -

والأغرب من دمعته هو عدم اخفائها فهو لم يحاول الابتعاد عني أو حتى تحويل وجه لجهة أخرى وكأن كل ما يفكر فيه الأن هو أنا !

شعور جميل وددت لو أستمر العمر بأكمله، فتح عينيه ومرر يده على وجهي وهو يسألني بصوت أجش مُتعب للغاية :

- أنتِ كويسه؟!

هززت رأسي بنعم وأنا أضع كفي على يده التي تحضن وجهي، أبتلع ريقه بصعوبة وتجعد جبينه وهو يردف :

- اذاكِ؟!

أجابته لأبث قليل من الطمئنية في داخله :

- لاء ما لمسنيش

ابعد كفيه عن وجهي وأمسك يدي بعدما أزاح دمعته الساقطة على وجنته ثم أكمل بإرهاق شعرت به في كل حرف ينطقه :

- إيه اللي حصل؟!

قصصت له ما حدث منذ أن خرجت من بيتي وتحملت تغير ملامحه مع كل حدث ألقيته على

مسامعه وأنا واثقة أنه لولا مرضي كنت تعرضت لصفعة منه على وجنتي جراء ما فعلته دون أذنه او حتى اخباره بالأمر!

طرقت الممرضة باب الغرفة فأذن لها بالدخول بعدما ترك يدي ، ابتسمت نحوي بود وتمنت لي العافية وهي توقف المحلول الموصول بكفي بعدما انتهت الزجاجة ولم يعد بها سوى بضع قطرات ،

فحصتني فحصا سريعا ودونت ما فعلته على الملف المعدني المعلق في نهاية فراشي ثم خرجت من الغرفة بعدما اخبرتني انها ستعود بعد عدة ساعات وأكدت على مصطفى أن احتجت شيء يستدعيها وستحضر في الحال،

اومأ لها برأسه قبل أن تغلق باب الغرفة علينا فأقترب مصطفى بكرسيه من فراشي وهو يمرر سبابته على طول وجنتي قائلا :

- حاولي تنامي ترتاحي

لا أريد النوم أنا أريد التحدث معه عما مضى،
حركت رأسي نفيا وأنا أردد :

- مش عاوزه أنام انا محتاجه اتكلم معاك

ابتسم في وجهي والتعب يلون ملامحه قائلا :

- نتكلم بعدين حاولي تنامي عشان خاطري

ثم أشار للأريكة الموجودة في نهاية الغرفة
ليكمل :

- أنا هرتاح هناك شويه لو حسيتي بأي حاجه
أندهيلي أنا مش هنام

كرهت كونه يتباعد عني ويحاول الهروب مني
ولكني قررت تركه كما يريد تنهدت بعمق وانا
أردد :

- حاضر

ذهب نحو الأريكة وتمدد عليها وهو يواليني ظهره
ظللت أنظر نحوه حتى غفوت يبدوا أنه كان محقا
أنا أحتاج للنوم بشده ...

لم أعرف كم مر علي من الوقت ولكني استيقظت
على صوت طرق على الباب ففتحت عيني بذهول

حين سمعت صوت أمي تفتح الباب لتدخل من خلاله الممرضة رفعت عيني أبحث عنه فلم أجده في الغرفة ووجدت أمي تقبل جبهتي ودموعها تتساقط على وجهها وهي تحمد الله على أني بخير.

تحدثت معها الممرضة عن حالتي المطمئنة وهي تضع زجاجة محلول أخرى وتزودها ببضع حقن وتخبرنا أن الطبيب سيأتي بعد ظهر اليوم ليفحصني توقفت عن جملة "ظهر اليوم" فتسألت :

- هي الساعة كام؟!

أجابتني أمي وهي تمرر يدها على شعري :

- الساعة ٨ يا حبيبتي

وبرغم تعجبي فالوقت ما زال مبكرا جدا لم أستطيع التحمل دون السؤال عنه :

- فين مصطفى يا ماما؟!

استأذنت الممرضة للخروج بعدما انتهت وشكرتها أمي على اهتمامها ثم ألتفت نحوي قائلة :

- كلمني من ساعه قالي أنك فوقتي مكدبتش خبر وجيت جري وهو استئذن أول ما أنا جيت لأن عنده مشوار مهم،

تركتني وذهبت نحو الأريكة تخرج بعض العصائر الجاهزة ثم أتت به إلي وهي تكمل :

- الدكتور قال لمصطفى تقدري تشربي عصائر انهارده

لم أشعر بالراحة تجاه اجابتها الغامضة وتسألت :

- مشوار إيه ما قلكيش

شعرت بحنق أمي الشديد ولكنها سيطرت على نظرتها قليلا وهي تجيبني :

- أكيد روح البيت يغير هدومه يا بنتي ويرتاح بقاله ثلاث تيام لازق جنبك مش راضي يتحرك ولا رضى حد فين يقعد معاكي غيره

يبدوا أن أمي غاضبة منه لم أريد أن أغضبها أكثر من ذالك فأثريت الصمت على أمل أنه سيأتي بعد قليل ولكني لسوء حظي فقد جاء الطبيب

ليفحصني وهذا معناه أن النهار قد أنتصف
ومصطفى لم يعود ،

جاء أبي وأخي ومن بعدهم خالتي ومروه وجلس
الجميع حولي يتحدثون حول ما حدث تركت
أمي تخبرهم عن الحادث بعدما أخبرتها في الصباح
أنني تعرض لحادث تصادم بعدما خرجت من مقابلة
العمل ،

تحدث أخي عن تعويض وضرورة البحث عن السائق
الأرعن الغير مسؤول ولكني أضطريت للتدخل أنني
أنا المخطئة وأن السائق ليس له ذنب أنا التي لم تنتبه
للطريق،

طرقات على باب الغرفة دخل من خلالها شرطي
ومعه رجلا يتبعه بيده دفتر وقلم يرتدي زي
عسكري،

استئذن الشرطي من الجميع ثم نظر نحوي قائلا :

- لو حالتك الصحية تسمح ممكن نقفل المحضر

وقف أخي بجواري وأبس من الجهة الأخرى بينما تنحت أمي وخالتي ومره للخلف،

ارتبكت وأصبحت حالتي سيئة للغاية أريد أن أخبرهم عن هذا الحقير الذي خطفني ولكني لا أستطيع ذلك وسط أهلي فماذا أفعل؟! وجدت نفسي أردد

- أنت فين يا مصطفى؟!

وكأن الضابط فطن من حالتي أنني لا أريد التحدث أمام عائلتي فطلب من عائلتي الخروج رفض أخي وعلل ذالك بأنه محامي ويجب عليه مرافقتي فأجابه الشرطي :

- هي مش محتاجه لمحامي حضرتك دا هما كلمتين وعموما لو احتاجنا هند هلك فورا

خرج الجميع على مضض وجلس الشرطي على الكرسي بجواري بينما عاد مساعده يجلس على الاريكة ليدون ما سأقوله له،

بدأ سؤاله بما حدث فقصصت عليه ما حدث معي وأخبرته عن أسم الشركة وعنوانها وكل التفاصيل التي أعرفها فيجب أن ينال هذا الحقير جزاءه ،

دون العسكري كل ما قلته وشكرني الشرطي على مساعدتهم ثم خرج من الغرفة وعاد الجميع للداخل يتسألون عما قلته لهم ،

تظاهرت بالتعب الشديد وطلبت منهم الهدوء حتى أخلد للنوم وقررت الهروب عل مصطفى يعود حين أستيقظ ،

أغمضت عيني وتظاهرت بالنوم فاستأذنت خالتي ومروه ومن بعدهم خرج أخي بما أخبر أمي وأبي أن لديه عمل مهم،

جلست أمي وأبي يتحدثون عن حالتي وما أخبرهم به الطبيب ومتى سأخرج من هنا، تتبعت حديثهم حتى غلبني النعاس لبعض الوقت،

ايقظتني أمي حين جاءت الممرضة بوجبة طعام صحي وطلبت مني تناولها، نظرت حولي فلم أجد أبي فيبدوا أنه عاد للمنزل :

- مصطفى مجاش؟!

هذا أول ما تفوهت به حين فتحت عيني ، نظرت لي أمي بغضب ولكنها تداركته لوجود الممرضة بالغرفة وأجابتني :

- ما اعتقدش هيجي انهارده تاني

طعنة تلقيتها في قلبي جعلتني أصمت حتى خرجت الممرضة من الغرفة واقتربت أمي تجلس بجواري وهي تضع الطعام على الطاولة المتحركة أمامي وهي تقول :

- يلا يا حبيبتي بسم الله

تناولت الطعام بآلية تامة وأنا أحاول طمئنت نفسي بأنه متعب للغاية ويجب عليه أن يستريح ولكن الطفلة بداخلي تأبي أن تقتنع بهذا الأمر أنا أريده بجواري طول الوقت وأكره ابتعاده هكذا عني، قررت أنا ألجأ للنوم كاحل جذري فهو أفضل وسيلة للهروب لعل اليوم يمضي ويأتي الغد معه !

صوته بدا لي قريب جدا ففتحت عيني سريعا وحاولت أنا أعتدل جالسة لأراه وجدته ينظر نحوي بابتسامته الساحرة ثم أكمل حديثه لأمي :

- أنا سألت الدكتور قال أنها ممكن تخرج أخر الأسبوع والجبس دا قدامه تلات أسابيع يعني خلينا نقول على أول السنه يعني كمان شهرين

نظرت أمي نحوي بقلق ثم أعادت النظر إليه قائلة :

- وليه الاستعجال دا يا حبيبي

قاطعها بنبرة جدية وحازمة :

- ما فيش استعجال ولا حاجه الشهرين دول هكون جهزت فيهم كل حاجه وأعتقد أن ألما جاهزة كمان

ثم نظر نحوي وأكمل :

- ولا انتي إيه رأيك يا عروسه؟!

عروسه عما ماذا يتحدث؟! هل يتحدث عن زفافنا! يا ألهي لقد أنقبض قلبي وشعرت بالإختناق فجأة

وكل ما حدث في الشهور الماضية هاجمني دفعة واحدة،

شعر مصطفى بارتباكي الظاهر على وجهي فقال لأمي :

- أهو يا خالتو السكوت علامة الرضا أما معندهاش مانع وأنا مش شايف لزوم للتأجيل وإن شاء الله هعمل لها فرح كبير عشان ما تزعليش

تنهدت أمي وهي تجيبه :

- أنا مش معترضة يا حبيبي بس أنا كان رأيي تستنوا شويه لحد ما تبقى كويسه خالص

قاطعها مرة أخرى :

- على معادنا إن شاء الله هتبقى زي الفل ما تقلقيش أنا ما قررتش إلا ما سألت الدكتور بتاعها كلمي عمي بس وأجهزوا على المعاد

لم تستطيع أمي الاعتراض مرة أخرى ونظرت نحوي قائلة :

- خلاص يا حبيبي اللي تشوفوه

أمسك مصطفى بيدها وقبل جبينها ثم دخل أخي رعد أن طرق الباب، تقدم نحوي وأمسك يدي ليطمئن علي فطمئنته ثم جلس بإرهاق شديد بجوار أمي ، سأله مصطفى عما به فأخبره أن يومه كان عصيب وأردف بما حدث مع من مفارقات طوال اليوم،

نظرت عبر النافذة فوجدت الليل قد حل بالفعل فتسألت

"كم من الوقت قد غفوت"

أخرجني مصطفى من أفكاري وهو يقول :

- يلا يا شادي خد خالتو وروحوا ارتاحوا انا هبات مع ألما

هذه المرة كادت أمي أن تنفجر فأوقفها شادي قائلا :

- مصطفى عنده حق يا ماما انتي هنا من الساعة ٧ الصبح وأكيد ما ارتحتيش ولا دقيقه تعالي نروح ونيجي الصبح تاني

خرجت أمي بصحبة أخي والغضب يزين ملامحها بعدما ودعتني ووعدتني انها ستأتي عندما تشرق الشمس ،

انتظر مصطفى خروجهم وجاء يجلس بجواري فسألته بحنق طفولي :

- كنت فين طول النهار؟!

وجهه تحول للجدية وهو يقول :

- انتِ قولتي إيه للضابط اللي جالك انهارده

تذكرت هذا الأمر فأسرعت بإجابته :

- قولتله اللي حصل

رنين هاتفه أوقفه فأجاب :

- أيوه يا عمر أهلها خرجوا تمام طلعهولي كدا بهدوء وأنا خلاص اتفقت مع الممرضة اللي هتدخلك تلاقيها مستنياك قدام باب الطوارئ ،

ماشي سلام !

نظرت نحوه وألف سؤال يدور برأسي ولكني لما أسئلة سوى سؤال واحد :

- مين اللي هيطلع هنا؟!

عيناه الزرقاء أصبحت قاتمة وهو يجيبني :

- هتعرفي حالا

ضممت حاجبي بتعجب وأنا أتفحصه ثم توقفت عند ملابسه !

"مصطفى لم يبدل ثيابه منذ رأيته البارحة"

أما عنه - فيحتاج إلي الشعور بالحاجة إلي الحب -

صرخت بإسمها بأعلى صوت أمتلكه حتى
استيقظت وأنا أقف على قدمي ألتفت حولي بذعر
حتى رأيتها على الفراش تنظر لي بعينيها الزرقاء
برعب شديد ..

ابتلعت ريقي بصعوبة شديدة واستغرقت عدة
لحظات حتى أستوعب ما يحدث - أنا كنت في
كابوس ليس حقيقه -

أقنعت نفسي بهذه الكلمات ثم اقتربت نحوها
أحاوط وجهها بيدي أتأمل ملامحها وأنظر نحو
عينيها المتيقظة أخيرا ،

لم أستطيع مقاومة دموعي التي حبستها طوال فترة
اغمائها وتركتها تتحرر على وجنتي ثم أخذتها بين
أحضاني وتنهدت بعمق لقد اشتقت إليها بشدة فقد
ظننت لوهلة أنني لن أستطيع لمسها مرة أخرى،

أبعدتها عن صدري برفق وشعرت بثقل جسدي من
التعب وكأنه قرر أن يذكرني بأن عليا اراحته ،

تجاهلت آلامي وسألتها عما حدث فأنا أحتاج الأن
لأعرف ماذا جرى قصت لي ما حدث معها منذ أن
دلفت لباب الشركة اعترافات جعلت قلبي يحترق
من ثقلها علي لقد أستغل هذا الحقير ضعفها
وقيدها وأخافها أبدا لن أتركه ينجو بفعلته ،

طرقت الممرضة باب الغرفة فأذنت لها بالدخول
وعقلي يكاد ينفجر من أفكاره المتلاحقة ،
تركت يد ألما لكي تفحصها الممرضة وذهبت
بأفكاري لأخر محادثة لي مع عمر يخبرني بها أن
هذا الوغد أختفى ولم تستطيع الشرطة إيجاده ،
لقد أطمئنيت على ألما الن ويجب علي الذهاب
للبحث عنه ،

خرجت الممرضة من الغرفة بعدما أخبرتني أنها
مستيقظة وفي خدمتنا، اقتربت بمقعدي منها وألمني
قلبي على رؤية وجهها الشاحب وعيناها المرهقتان
فوضعت ابهامي أمرره على وجنتيها وأنا أحثها على
النوم علها ترتاح قليلا فمازالت ضعيفة لم تسترد
عافيتها بعد ،

اعترضت ألما كعادتها معللة أنها تريد الحديث معي لا تعرف أنني أتوق للحديث معها أكثر مما تحتاجه هي ، تهربت منها وذهبت نحو الأريكة تمددت عليها وأوليتها ظهري غرقت بأفكاري نحو هذا القذر وقررت أن أذهب للبحث عنه ،

تحركت بهدوء نحوها فوجدتها تنام في سبات عميق تنهدت براحة وانطلقت خارج الغرفة نحو الممرضة التي كانت هنا منذ قليل ،
أعطيتها مبلغ من المال لا بأس به وطلبت منها ملازمة ألما الغرفة حتى الصباح وأن لا تتحرك من جوارها لأي سبب من الأسباب حتى تأتي والدتها وجعلتها تسجل رقم هاتفي لأي طارئ وأخذت رقمها لأطمئن منها على ألما وأتأكد من وجودها بجوارها طوال الليل ،

خرجت من المشفى وأنا أهاتف عمر ليقابلني في المقهى الخاص بنا، ودلفت داخل المرأب الخاص بالمشفى ولكن لفت نظري سيارة دفع رباعي

زجاجها معتم ، حاولت أن أعرف من بداخلها دون
لفت النظر لي ولكني لم أستطع ، تذكرت وصف
ألما للسيارة التي أخذها بها فزادت شكوكي ،

صعدت لسيارتي وأنا أشعر بشعور غير مريح
خرجت من المرأب وأنا أتحدث مع عمر ليأتيني في
الحال ولحسن حظي كان مع أثنان من أصدقاءنا ،
أوقفت السيارة بالقرب من المشفى بعدما ألتفتت
حول المرأب نحو الجانب الأخر،

أوقفت السيارة بجوار مدخل الطوارئ وخرجت منها
متوجه نحو السيارة السوداء من الخلف لأراقب ما
يحدث بداخلها ،

خرج رجل بعضلات مفتولة عبر الباب الأمامي
وأمسك هاتفه يتحدث من خلاله للحظات انحنى
يدخل رأسه عبر النافذة الخلفية يتحدث مع
أحدهم يجلس في الخلف ثم أعتدل مرة أخرى
ونظر يمينه ويساره فانحنيت خلف السيارة أمامي
حتى انتهى من النظر في كل الجهات ثم استقمت
حين وجدته يذهب في أتجاه سلم الصعود للمبنى،

اهتز هاتفي بمكالمة من عمر فرفضتها وبعثت لها
رسالة عاجلة بمكاني وأن يأتي إلي بأسرع وقت
ممكن، ثم بعثت برسالة للمرضة أخبرها أن تغلق
باب غرفة ألما من الداخل ولا تسمح لأحد غريب
بدخولها وأن صمم أحد على الدخول تستدعي
الأمن على الفور.

وضعت هاتفي كما كان وتقدمت من السيارة
بخطوات بطيئة وهادئة ثم توقفت قبل أن أقترب
منها بمسافة كافية لئلا يراني من بداخلها ،

تملكني الحيرة كيف أجعل من بداخلها يفتح لي
الباب لكي أتأكد من ظنوني دون أن ألفت أنتباه
لشيء مريب،

لحسن حظي وجدت شابا على الجانب الأخر يمسك
منشفة بيده وينظف سيارة أحدهم، توجهت نحوه
بهدوء وأخذته لمكان بعيدا نسبيا عن السيارة
وطلبت منه أن يذهب إليها ينظفها من الخارج
ويخبرني عمن بداخلها ودفعت له مبلغا من المال ،

وافق الشاب وذهب نحو السيارة وحاولت أنا أن أستتر خلف احد السيارات القريبة منها لعلي أرى من بداخلها،

أهتز هاتفي برسالة نصية من عمر يخبرني بها أنها وصل هو وأصدقائنا على الفور بعثت له أن يأتيني على جراج المشفى بمفرده و يبعث من معه نحو غرفة ألما ليتأكدوا أن كل شيء على ما يرام ،

أعدت هاتفي لجيبي ونظرت نحو الشاب الذي فعل ما أمرته به وبعد لحظات أنفتح الباب الخلفي وناداه من بداخلها حاولت أن أراه فلم أستطع لم أرى سوى يده التي مدها للشاب بالمال حتى يبتعد عن السيارة ،

وصل عمر للجراج وراسلني ليعرف مكاني تحديدا وصفته له وأخبرته عن رقم السيارة التي أقف خلفها حتى جاءني الشاب يخبرني ما رأيته طلبت منه أن يصف لي شكله ومن يصاحبه في السيارة فأخبرني انه شاب في اواخر العشرينات ويجلس في السيارة بمفرده ،

جاءني عمر فطلبت من الشاب الانتظار معي قليلا
وأخبرت عمر ما حدث فطلب من السايس أن يذهب
للرجل مرة أخرى ويطرق عليه زجاج النافذة
ويطلب منه محادثته وافق على مضض بعدما
ترجيناه واعطاه عمر بعضا من المال،

ذهب الشاب نحو السيارة وذهبت أنا في أتجاه وعمر
في اتجاه مخالف نحاول الاقتراب قدر الإمكان بدون
لفت نظر من بداخلها،

طرق الشاب على زجاج النافذة الخلفي ففتح من
بداخلها الزجاج ليسأله ماذا يريد ، لقد رأيته أنه
هو!

حاولت السيطرة على انفعالي وانحنيت بقوة ثم
ألتفت من خلف السيارة حتى وصلت للباب الأخر،

استغليت انشغاله بالسايس وفتحت الباب بهدوء
ولحسن حظي لم يكن مغلق بالقفل جلست
بجواره فنزعج ونظر لي بحقد مما جعلني لم أتمالك

نفسي وأنا ألكمه على وجهه لكمة جعلته
يفقد الوعي !

شكر عمر السايس ودخل من باب السائق ثم أدار
السيارة وأنطلق لمكان أخر قبل عودة رجاله،

اهتز هاتفي باتصال من أحد أصدقائنا فناولت
الهاتف لعمر وأنا أسب نزار بأبشع السباب فأخذه مني
وهو يقول :

- أهدى يا مصطفى لو سمحت احنا قولنا نسلمه
مش نموته

تجاهلت تحذيرات عمر واستمريت في سبه وأنا
أصفعه ليفق،

توقفت حين أنهى عمر المحادثة وتوقف بالسيارة
وسط سيارات كثيرة وصفها في مكان مختبئ إلى
حد ما حتى لا يعثر عليها رجاله،

ألتفت عمر نحوي ليخبرني ما حدث مع أصدقائنا :

- الشباب طلعوا لقوا البودي جارد بتوع البيه
واقفين يلفوا حوالين غرفة أما لحسن الحظ كان

فيه نزيل جديد وكان الدور مليان ناس فمعرفوش يدخلوا عشان مايلفتوش نظر حد ففضلوا واقفين وهما حاليا بيرقبوهم لو حاولوا يدخلوا هيعلموهم الأدب ومنعم أتصل بأحمد بيه وعرفه الحوار وهو مستني مني اتصال يجي يشيلهم ،

- مش وقته لسه ما خلصتش اللي عاوز اعمله فيه

حدثت بها عمر وأنا أنظر نحوه بكره شديد ثم رفعت كفي وبأقصى قوتي صفعته على وجهه فأنتفض يلتف حوله مذعورا ،

قبضت على ياقة قميصه بقوة وأنا أقربه نحوي قائلا :

- بقت أنت يا كلب كنت عاوز تأذي خطيبتي دا أنا هقطع من جسمك حتة حتة وأخليك تتفرج عليا وأنا بشفيك زي الدبيحه،

أهتز جسده أمامي وكأي جبان حقير تلعثم وهو يقول :

- أ أ أ أنا مكنتش أعرف أنها خطيبتك يا مصطفى

تلقى مني صفعة أخرى جعلت أنفه وفمه ينزفون بشدة وأنا أردد :

- يعني لما تكون بنت خالتي يبقى من حقك تتعدى عليها يا كلب هي خطيبتي اللي فرقت معاك وحياة أمي لأخليك تندم على اليوم اللي اتولدت فيه

أوقفني عمر بنظرة تحذريه فلم أبالي له وأكملت وأنا ألكمه لكمة أخرى :

- وجاي لحد هنا يا قذر تبعت كلابك يخطفوها تاني دا أنت فجرت بقى

- كفاية يا مصطفى أرجوك

قالها عمر برجاء بعدما أصبحت ملابس هذا الحقير غارقة بالدماء، توقفت خوفا من أن أقتله بيدي قبل أن أفي بوعدي السري لألما،

ثم خرجت من السيارة أحاول السيطرة على انفعالاتي بعدما تأكدت أن هذا الوغد لم يستطيع التحرك من مكانه ،

خرج عمر خلفي وقبل أن يتحدث مع فيما أعرفه جيدا جاءنا

اتصال أخر من أصدقائنا يخبرونا أنهم استطاعوا استدراج الرجلين لأسفل المبني بعدما بلغوا الأمن بنيتهم وتجمعوا حولهم بمساعدة الأمن وكبلوهم بالأصفاد لحين قدوم الشرطة،

طلب مني عمر أن نأخذ هذا الحقير لصديقه الضابط ونسجنه كما اتفقنا هززت له رأسي نفيا وطلبت منه الانتظار حتى قدوم الليل،

طلبت من عمر قيادة السيارة نحو شقتي أعترض في بادئ الأمر ولكنه رضخ لي بعدما رأى إصراري ،

صعدت للسيارة بجوار نزار وتركت عمر يقود، دقائق وكنا أما باب شقتي، سحبته للداخل وأجلسته على مقعد خشبي وتركت عمر يراقبه وذهبت لإحضار حبل من غرفتي،

ربطه حول معصمه وحول قدمه وهو صامت لا يتحدث ولو بكلمة واحدة وكأنه رأي الجنون في عيني فقرر الحفاظ على حياته لوقت أطول،

أمسكت شعره بعنف وأنا أقول له :

- لازم أخليك تحس باللي حسستهولها يا كلب

ثم تركت رأسه بعدما تأوه بألم كالسيدات ، كدت أترنح من فرط إرهاقي وقلة نومي حثني عمر للدخول لغرفتي والنوم بضع ساعات وهو سيراقب نزار،

وافقته على الفور وذهبت لغرفتي وغفوت فور تمددي على فراشي فالأن أستطيع النوم بعدما أصبح هذا الحقير تحت يدي،

استيقظت بعد عدة ساعات على طرق يصدر من باب غرفتي ، قمت أنتفض سريعا فوجدته عمر يوقظني لقد أقترب الليل أن يحل،

رفعت حاجبي بتعجب :

- معقول أنا نمت كل دا؟!

أجابني عمر بابتسامة :

- ما انت منمتش من كام يوم دا طبيعي

ثم أشار نحو نزار الذي يحني رأسه للأمام :

- صاحبك برده نايم من بدري

نظرت نحوه باشمئزاز ثم ذهبت نحو دورة المياه
لأغسل وجهي لعلي أفق،

خرجت من الحمام فوجدت عمر يناولني شطيرة
ومعها فنجان من القهوة يداعب أنفي،

شكرته بشدة وشربت القهوة سريعا وأنا أسأله عن
أخر الأخبار، أخبرني أن الشرطة ذهبت لأخذ أقوال
ألما وأنها اعترفت لهم انها كانت مخطوفه من قبل
نزار وهم الأن يحققون مع الرجلين ويبحثون الأن
عن نزار ولقد أعترف أحد الرجال بعملية خطف ألما
لحساب نزار،

الأن هو متهم بقضية خطف ألما بالإضافة لقضية
تزوير الأموال التي دبرنها له،

تذكرت حبيبتي التي لم أراها منذ البارحة ولم
يسعفني الوقت للسؤال عن أحوالها،

طلبت من عمر أن نرحل فوافقني ولكنه أقترح أن
ننتظر قليلاً حتى يأتي الليل بظلامه وتقل المارة
من الشارع،

وافقته وامسكت هاتفي لأطمئن على ألما من خلال المرضة فطمأنتني بأن وادتها مازالت معها وهي بصحة جيدة اليوم ،

تنهدت براحة لأنها بأمان ،

أتي الليل وانتظرنا حتى خفت الأقدام من حينا وخرج نتسلل أنا وعمر نجر نزار خلفنا حتى صعدنا للسيارة دون أن يلاحظنا أحد ،

ذهبنا للمشفى مرة أخرى وتركت عمر مع نزار بعدما اتفقت معه أن ينظر اتصالي وبعدها يصعد به لغرفة ألما ،

هاتفت الممرضة حتى تلاقيني واتفقت معها أن تقوم بإدخال عمر ومن معه من باب الطوارئ الخلفي مقابل مبلغا من المال ،

وصلت لغرفة ألما وطرقت الباب فأذنت لي خالتي بالدخول، دلفت للداخل وتوجهت ناحية ألما ولكنني وجدتها غارقة في النوم ،

تركتها وجلست بجوار خالتي وقررت وقتها أن أتحدث معها بشأن زفافنا وأن أقنعها بقراري لتقديم معاد الزفاف ،

اعترضت في بادئ الأمر معللة حالة ألما السيئة فطمئنتها قليلاً واستيقظت ألما وهي تنظر نحوي بلوم،

ابتسمت لها معتذرا عن عدم وجودي طوال اليوم وأكملت حديثي مع خالتي حتى وافقت ووعدتني أنها ستتحدث مع والدها بهذا الشأن،

جاء شادي مرهقا للغاية فاستغليت وجهه المتعب وجسده الذي يترنح وطلبت منهم الذهاب ،

أقنع شادي والدته على الذهاب وترك ألما لي الليلة ،

خرجوا من الغرفة واقتربت منها وأنا ألتهم ملامحها بعيناي لقد اشتقت إليها بشدة ،

لامتني بسؤال عن اختفائي اليوم فأجبتها بسؤال عن ما تحدثت به مع الشرطة، أخبرتني بأنها قالت لهم ما حدث ،

قاطعنا عمر باتصال هاتفي فأمرته بالصعود وأنا أترقب بشدة رد فعل ألما حين ترى هذا الحقير تحت قدميها!

الدرجة الحادية عشر

الود :

ويعني الود هو

" خالص الحب وألطفه وأرقه "

" عبقرية المرأة تكمن في قلبها وقلبها هو نقطة ضعفها "

نظرت نحوه وألف سؤال يدور برأسي ولكني لم أسئلة سوى سؤال واحد :

- مين اللي هيطلع هنا؟!

عيناه الزرقاء أصبحت قاتمة وهو يجيبني :

- هتعرفي حالا

ضممت حاجبي بتعجب وأنا أتفحصه ثم توقفت عند ملابسه !

" مصطفى لم يبدل ثيابه منذ رأيته البارحة ! "

طرق على باب الغرفة أجفلني فتوجه مصطفى ناحية الباب وفتحه ليدخل منه صديقه عمر

يسحب شخصا خلفه لم أرى وجهه في بادئ الأمر
جل ما انتبهت له هي الممرضة التي تصحبهم وهي
تلتفت حولها قائلة بصوت خفيض :

- قدامكوا نص ساعة بس يا أستاذ مصطفى قبل ما الدكتور يمر

ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها فتقدم مصطفى
يمسك الرجل خلف عمر من ياقته ويجره نحوي ،

جحظت عيناي عندما تحققت من وجهه ولكن
هالني وجهه المليء بالكدمات وعيناه الحمرتان
وجسده المتهاوي في يد مصطفى،

انكمشت في فراشي كرد فعل تلقائي فوجدت
مصطفى يحدجني بغضب وهو يصرخ بي :

- أنتِ خايفه من إيه

ابتلعت ريقي بصعوبة بالغة وبدأت أشعر بسعادة
طفيفة تغزو قلبي من رؤيته هكذا لم يستطيع
رفع عينه في وجهي وظل منكس رأسه وكأنه
نادم على فعلته ولكني أعرف جيدا أنه ليس من
هذا النوع فهو جبان حقير خائف من مصطفى ليس
أكثر،

أقترب مصطفى من أذنه قائلا :

- أطلب منها تسامحك

رفع رأسه نحوي وعيناه غائرتان بحقد دفين أراه جيدا ثم بدأ يتمتم من بين أسنانه :

- سامحيني يا ألما وأوعدك عمري ما هتعرضلك تاني

أطلق مصطفى ضحكة استهزائيه وهو يصفعه على وجهه صفعة خفيفة قائلا :

- دا لو فضلت عايش أصلا انهارده

نظرت نحو عمر صديقه فوجدته ينظر نحو مصطفى بغضب فعرفت أنه يحاول كبت جماح مصطفى العدوانية ولكنه حتى الأن واضح أنه لا يستطيع

يجب أن أتدخل ،

- كفاية يا مصطفى أرجوك سلمه للشرطة وهو هيا خد جزاءه على اللي عمله معايا

نظر مصطفى نحوي بحنق كما يفعل وهو غاضب مني وكأنه كان ينتظر أن اعطي له سببا واحدا لقتله وأنا كعادتي خذلته،

لم أبالي لغضبه ونظرت نحو عمر ليخلص هذا الحقير من يده فهم عمر مقصدي وتقدم نحو مصطفى وأمسك بيد نزار قائلا له :

- سيبه يامصطفى أنا هاخده بنفسي القسم كفاية اللي عملته فيه من امبارح

شهقت بفزع وأنا أردد :

- امبارح؟!

لقد تبينت الأمور فكل ما يحمله من كدمات وجروح كانت من يد مصطفى ، يا ألهي ماذا أفعل به؟!

برغم سعادتي لما حدث له إلا أنني لا أريد أن يتصرف مصطفى بهذه الهمجية والعنف فقد يقع في مشاكل بسبب ذلك ،

لم يستمع مصطفى لعمر ولم يترك قميص نزار
فقررت أن ألجأ للرجاء :

- - أرجوك يا مصطفى عشان خاطري سيبه

تبادل مصطفى النظرات بيني وبينه وكأنه يحارب
ما بداخله من غضب يحثه على أذية نزار بأي
شكل ،

زفر بضيق ثم أقترب منه مرة أخرى قائلا :

- لو شوفت خيالك شوف خيالك مش بس وشك في
أي مكان حوالينا أقسملك لو الدنيا كلها ارتجتني
أسيبك مش هسيبك غير وأنت نصين

ثم ترك قميصه من يده فستلمه عمر وخرج به من
الغرفة وهو يخرج هاتفه من جيبه ،

جلس مصطفى أمامي وجسده كله ينتفض بتوتر
ظاهر يبدوا أنه يمارس أقصى درجات من ضبط
النفس،

لقد أرغمته على تركه أنا أشعر بذالك ، لحسن
حظي أنهم نزعوا الإبرة من يدي فاستطعت

تحريكها نحوه وأمسكت بيده التي يضعها على الفراش بجواري،

أنتفض أثر لمستي ففزعت منه وابتعدت على الفور وأنا أنظر نحوه بذهول ،

رفع عينه نحوي بتعجب مماثل لذهولي ثم وقف قائلاً :

- أنا نازل اجيب قهوه أشربها عاوزه حاجه من تحت؟!

هززت رأسي بالنفي فخرج هاربا من الغرفة ، شعرت بقلبي يعتصره الألم

وغصة حلقي كادت أن تخنقني فلم أتحمل وبدأت بالبكاء،

لماذا يريد الزواج مني إذا ولما العجلة؟!

مصطفى لم يعد يريدني ! مسحت دموعي بظهر كفي وقررت أن أتحدث معه بهذا الشأن لن أتركه الليلة حتي يتحدث معي فيما جرى بيننا أبدا لن أمررها!

حاولت الجلوس حين طرق باب الغرفة وأذنت للطارق بالدخول فما كانت سوى الممرضة والطبيب،

دخل الأثنان يفحصاني بدقة مما جعلني أسأل الطبيب عن حالتي فطمئني أنني أصبحت بخير تماما ومؤشراتي الحيوية جيدة جدا،

سألتني الممرضة عن المرافق وقبل أن أجيبها دخل مصطفى من الباب وبيده فنجان قهوة،

ألقى التحية عليهم وبدأ بسؤال الطبيب عن تفاصيل حالتي التي لا أعرفها وتحدثوا سويا عن مدة مكوثي في المشفى وعن كيفية خروجي وتعليمات سلامتي ، ما تعجبت له هو اهتمام مصطفى المبالغ فيه حتى أن الحديث وصل لأنواع الطعام الصحية لي التي ستساعدني على تجاوز أزمتي سريعا،

مؤكد سيصبني هذا المصطفى بالجنون ماذا يعني اهتمامه بي لهذه الدرجة وهو ينفر من مجرد لمسة مني !

خرج الطبيب وخلفه الممرضة بعدما تمنوا لي السلامة وجلس مصطفى على مقعده يحتسي قهوته وهو يتجنب النظر نحوي،

أخذت نفسا عميقا واستجمعت شجاعتي وسألته :

- مصطفى أنت لسه بتحبني؟!

نظر لي بدهشة تعبر عما بداخله ثم تنحنح وترك كوب القهوة على المنضدة بجوري ثم ضم كفيه إلي بعضهما بتوتر قائلا :

- أنا عمري ما بطلت أحبك يا ألما

قاومت دموعي بشق الأنفس وتنهدت براحة مؤقته وأنا أتبع تنهيدتي بسؤال أخر :

- طب ليه بتبعد عني؟!

أعتدل في مجلسه ونظر لعيني بتيه وكأنه يبحث عن كلمات يخبرني بها عما يشعر به لم ينتظر كثيرا وأجابني :

- أنا مش قادر أسامح نفسي على اللي عملناه

تسارعت نبضات قلبي بانفعال وأنا أقول له بأسى شديد :

- قصدك مش قادر تسامحني

هز رأسه نفيا وتحدث سريعا :

- الغلطة كان غلطتي من البداية

بدأت الدموع بخيانتي وتساقطت وأنا أقر واقع أليم أنهكني :

- وهنفضل لأمتي ندفع تمن غلطتنا

وضع يده على جبهته بحزن ثم نظر لساعته قائلا :

- الوقت أتأخر والدكتور قال لازم ترتاحي

اعترضت بحنق وعلت نبرة صوتي :

- ما تهربش مني تاني يا مصطفى

نظر لي برجاء قائلا :

- يا ألما أرجوكِ مش وقته الكلام دا

قررت ألا أستسلم بعدما أرتفع الادرينالين بجسدي وبدأ صدري يعلو ويهبط بانفعال :

- لاء هو دا وقته وبعدين تعالى هنا أما أنت مش طايقني كدا ليه قدمت معاد الفرح ؟!

حذرني بنظرة أعرفها جيدا ولكني تجاهلتها وأكملت :

- جاوبني ليه مصمم أننا نتجوز دلوقتي؟!

أقترب مني وهو يحاول السيطرة على انفعاله :

- أهدي يا ألما أرجوكِ وعشان خاطري حاولي تنامي دلوقتي وأوعدك أول ما تبقي كويسه هنتكلم زي ما تحبي

ثم نظر حوله ليكمل :

- على الأقل منكونش في مستشفى ، عشان خاطري حاولي تنامي

استمريت في النظر نحوه وأنا مُصرة على سماع إجابة منه فأقترب مني ووضع يده على رأسي بحنان قائلاً :

- أنا عاهدت نفسي أني يوم ما أجيلك حقك وقتها بس أستحق تبقي مراتي وعشان كدا كلمت خالتو في موضوع تقديم جوزنا بعد ما الكلب دا بقى في إيدي ،

جلس على طرف الفراش وهو ينظر لعيني :

- عرفتي أنا ليه قدمت معاد فرحنا

هذه ليس إجابة سؤالي مصطفى يراوغ كعادته ولكن هاتفه لم يترك لي مجالا للحديث مرة أخرى،

قام من جواري وتلقى المكالمة :

- أيوه يا عمر إيه أخر الأخبار؟! طب خير جدا.. تمام... ماشي.. نتقابل بكره بليل .. سلام

أغلق هاتفه وهو ينظر نحوي بابتسامة سعيدة قائلا :

- أتحبس في القسم ويتعرض على النيابة بكره

شعرت براحة وسعادة كبيرة لأن هذا الحقير سيتلقى جزاؤه ،

وضع مصطفى يده يفرك بها جبهته قائلا:

- أنا كدا هقدر أنام

ثم أقترب مني يُقبل جبهتي :

- تصبحي على خير

أجابته باستسلام :

- وأنت من أهله

تركني وذهب للأريكة الموجودة في الغرفة وأستلقى عليها ،

أرهقني عقلي بأفكار كثيرة حاولت بأقصى جهد لي أن أتجاهلها وغفوت على أمل جديد مؤكد سيأتي في الغد الأهم أن مصطفى مازال يحبني وهذا يكفيني الأن وسنتجاوز يوما ما حدث هذه هي قناعتي !

- أما هو عبقريته تكمن في عقله وعقله هو نقطة قوته -

قاطعنا عمر باتصال هاتفي فأمرته بالصعود وأنا أترقب بشدة رد فعل ألما حين ترى هذا الحقير تحت قدميها!

عيناها سألتني عشرات الأسئلة ولكن لسانها لم ينطق سوى سؤال واحد قالته وهي ترتجف ، لم أجيبها لكي أرى ردة فعلها عندما تراه أمام عينيها فأنا أحتاج لحافز كي أفرغي غضبي الذي بداخلي على جسده ،

أخرجني من أفكاري طرق على باب الغرفة فنهضت لأفتح وجدته عمر يصطحب هذا الحقير خلفه و تقف أمامهم الممرضة تخبرني أن أمامي نصف الساعة فقط حتى يأتي وقت مرور الطبيب ،

عادت الممرضة لعملها وأغلقت الباب خلفها مما جعلني أتقدم نحو هذا البغيض أمسك بياقته بين يدي وأقدمه لألما حتى ترى ماذا فعلت به ،

وجدتها تنكمش على نفسها وتعود بجسدها للخلف فتدفقت الدماء نحو رأسي وهدرت بها :

- أنتِ خايفه من إيه

ابتلعت ريقها بصعوبة وارتبكت وهي تنظر نحوه ولكني رأيت شبح ابتسامة يرتسم على شفتيها ، رؤيته خائف منكس الرأس جعلتها تشعر بالسعادة ولكنها أخفت سعادتها جيدا كي لا أشعر بها،

فقررت أن أسعدها أكثر من ذلك، اقتربت منه وبهمس أمرته :

- أطلب منها تسامحك

رفع رأسه نحوها بضعف شديد وقال لها :

- سامحيني يا ألما وأوعدك عمري ما هتعرضلك تاني

جعلتني كلماته أضحك باستهزاء وقد بلغ غضبي مبلغه ولكني حاولت السيطرة عليه وأنا أصفعه صفعة خفيفة وأخبره :

- دا لو فضلت عايش أصلا انهارده

وجدتها تنظر نحوي برجاء وهي تقول :

- كفاية يا مصطفى أرجوك سلمه للشرطة وهو هيا خد جزاءه على اللي عمله معايا

تمنيت لو رفضت وصرخت به وأعطتني دافع حتى أنهي على حياته بيدي ولكنها خائفة أنا أشعر بذلك فجسدها مازال يرتعش وهي تحاول السيطرة عليه ولكن ما أغضبي حقا هو عدم معرفتي لسبب خوفها،

نظرت نحوها بحنق شديد فبادلتني النظرات برجاء أكبر ثم حولت نظرتها نحو عمر الذي تقدم نحوي وهو يمسك يد نزار قائلا :

- سيبه يا مصطفى أنا هاخده بنفسي القسم كفاية اللي عملته فيه من امبارح

أجفلتني ألما حين شهقت بفزع وهي تردد :

- امبارح؟!

نظرت نحو عمر نظرة تحذيرية فلم يبتعد وظل يقف أمامي ينظر نحوي بغضب شديد لم أبالي له وكل خلية في جسدي تحثني على أذيته بشدة فما فعله بها ليس بالقليل أبدا ،

ارتعاشه صوتها العذب وهي تترجاني قائلة :

- أرجوك يا مصطفى عشان خاطري سيبه

جعلتني أراجع نفسي قليلا لا أريد أن تراني وأنا أضربه ضربا مبرحا وأسبب لها الخوف لا لن أتحمل أن تخاف ألما مني!

اقتربت من أذنه وبصوت ملئ بالحنق أخبرته :

- لو شوفت خيالك شوف خيالك مش بس وشك في أي مكان حوالينا أقسملك لو الدنيا كلها ارتجتني أسيبك مش هسيبك غير وأنت نصين

ثم تركته من يدي سريعا قبل أن أعود في قراري فاستلمه عمر وخرج به من الغرفة وهو يشير لي برأسه بامتنان ،

جلست بجوار ألما وأنا أحارب أفكاري الشيطانية وأحاول أن أسيطر على الغضب بداخلي حتى لا أتصرف بتهور وأذهب إليه لكي أنهي حياته بيدي حتى أستريح،

وبينما أنا أحارب ما بداخلي وضعت كفها على يدي فجعلتني أنتفض وكأنني صعقت بالكهرباء ، لا لم أتأهب بعد للمساتها!

فزعت ألما من ردة فعلي وعادت للخلف تبتعد عني وهي تنظر نحوي بذعر،

لم أجد سوى الهروب حالا حتى ألملم شتات نفسي وقمت سريعا معللا حاجتي لفنجان من القهوة وخرجت من الغرفة رغما عن ألما،

ذهبت للكافتيريا وعقلي يضج بأفكار كثيرة وأهمها هي فزعي من لمستها!

طلبت فنجان القهوة من المسؤول وجلست على أحد المقاعد أعيد التفكير في كل ما مضى بيننا ومن بينها سؤال بدأ يلح علي هل سأسامحها وأسمح نفسي عما فعلناه سويا؟!

تركت إجابتي معلقة حين جاءني الشاب بيده قهوتي أخذتها منه وعدت لألما سمعت صوت الممرضة من الخارج فدلفت للداخل فوجدت الطبيب يفحصها استغليت وجوده وحمدت الله أنني لحقت به،

سألته عن كل ما يخصها من دواء وطعام وشراب حتى تعود لحالتها في أقرب وقت ، أنهيت حديثي مع الطبيب وخرج هو ومساعدته من الغرفة

جلست على مقعدي أحتسي قهوتي بهدوء حتي وجدتها تتنهد بألم وهي تسألني :

- مصطفى أنت لسه بتحبني؟!

نظرت نحوها بتعجب شديد، هذه المجنونة تظن أني لم أعد أحبها؟!

أجبتها بصدق شديد :

- أنا عمري ما بطلت أحبك يا ألما

زفرت بضيق تتبع سؤالها بسؤال آخر :

- طب ليه بتبعد عني؟!

لقد أصابتني في مقتل ! هل يجب علي مصارحتها أم سأعود لغموضي الدائم معها وعدم إخبارها بما يختلج في صدري؟!

لا لن أفعل وأعود لانغلاقي مرة أخرى ، أجابتها بنفس الصدق وتمنيت أن تفهم مقصدي :

- أنا مش قادر أسامح نفسي على اللي عملناه

رفرفت أهدابها بسرعة وكأنها تقاوم دموعها أن تسقط وهي تقول :

- قصدك مش قادر تسامحني

وددت لو ضممتها في أحضاني وجعلتها تطمئن بقربي منها ولكنني يجب أن أوجهها وأواجه نفسي نفيت اتهامها لنفسها وأجابتها :

- الغلطة كان غلطتي من البداية

بدأت دموعها بالتساقط يبدوا أنها لم تحتمل أن تسمع وترى حقيقتنا فحدثتني بصوتها الباكي :

- وهنفضل لأمتى ندفع تمن غلطتنا

وددت لو أجبتها أو استطعت حتى إيجاد إجابة شافية تريح قلبي ، هي لا تعلم أنني أتألم أكثر منها ولكنني لا أستطيع حقيقة أن أسامح نفسي على ما فعلته بها أو أن أسامحها على موافقتها أن تقيم معي علاقة غير شرعية أيا كانت أسبابها ،

لم أريد أن أضغط عليها أكثر من ذلك فهي لم تسترد عافيتها كاملة بعد

نظرت لساعتي فوجدتها تعدت منتصف الليل أشفقت عليها ورجوتها :

- الوقت أتأخر والدكتور قال لازم ترتاحي

اعترضت بحنق طفولي وأصرت على أن نستكمل حديثنا و اتهمتني بأنني أهرب من مواجهتها،

رجوتها مرة أخرى أن تستريح وسنكمل حديثنا بعدما تخرج من المشفى ولكنها لما تتراجع وهي تقول لي وقد بلغ غضبها مبلغه :

- لاء هو دا وقته وبعدين تعالى هنا أما أنت مش طايقني كدا ليه قدمت معاد الفرح ؟!

نظرت نحوها بغضب فهذه المجنونة تعرف كم أعشقها وأن ما فعلناه لن يجعلني أتراجع عن جعلها زوجتي ،

لم تبالي لنظراتي وأعادت سؤالها :

- جاوبني ليه مصمم أننا نتجوز دلوقتي؟!

اقتربت منها وحاولت احتواء غضبها قائلا :

- أهدي يا ألما أرجوكِ وعشان خاطري حاولي تنامي دلوقتي وأوعدك أول ما تبقي كويسه هنتكلم زي ما تحبي

مؤكد هذا ليس المكان المناسب لنتحدث فيه بشأن علاقتنا، حاولت أقناعها بذالك قائلا :

- على الأقل منكونش في مستشفى ، عشان خاطري حاولي تنامي

نظرت نحوي بإصرار تريد إجابة عاجلة وشافية لقلبها المكلوم ولكن للأسف الشديد أنا لا أملك إجابة تريحها الأن ،

تقدمت نحوها ووضعت كفي المرتعش على رأسها أتلمس خصلات شعرها الحريري بشوقٍ كبير وأنا أعترف لها :

- أنا عاهدت نفسي أني يوم ما أجبلك حقك وقتها بس أستحق تبقي مراتي وعشان كدا كلمت خالتو في موضوع تقديم جوزنا بعد ما الكلب دا بقى في إيدي ،

ثم جلست على طرف الفراش بجوارها وأنا أنظر لعمق عينيها الجميلتين أسألها :

- عرفتي أنا ليه قدمت معاد فرحنا ؟!

نظرتها أخبرتني أنها تريد المزيد وأنا لا أحمل المزيد في الوقت الحالي ، رنين هاتفي أنقذني منها فأجبت عمر سريعا وأنا أتوق لأعرف ماذا حدث معه،

أخبرني عمر أنه تركه في قسم الشرطة الذي يمتلك به عدة معارف وأصدقاء غير أنه أخبر صديقه الضابط الذي ذهبنا له قبل ذلك ووعده أنه سيتكفل بأمره بالإضافة أنه وصى عليه من بالقسم ليستقبلوه استقبال يليق بأمثاله ،

سعدت كثيرا لما فعله عمر مع هذا الحقير وانهيت معه الحديث على وعد مني بملاقاته مساء الغد ،

أخبرت ألما ما حدث باختصار وشعرت بالراحة تخلل كل جسدي مما جعل النعاس يهاجمني رددت بتنهيدة خرجت من صدري :

- أنا كدا هقدر أنام

ثم اقتربت منها بسعادة ، الأن أصبحت بأمان تام قبلت جبينها وتمنيت لها ليلة سعيدة وانسحبت عائدا للأريكة لأستريح عليها قليلا وأنا أهمس :

- دلوقتي جه دور مروه

غفوت قصرا لعدة ساعات ثم استيقظت أنظر لهاتفي فوجدتها تعدت السابعة صباحا دلفت لدورة المياه وغسلت وجهي وشعري وشعورا الارتياح لم يغادرني حتى الأن ، انتهيت وخرجت فوجدت ألما مازالت نائمة، تأملت وجهها الجميل بعشق وودت لو استطعت محو ما حدث بيننا وأن نبدأ من جديد

،

تركت أمنياتي جانبا وخرجت بهدوء عازما أمري أن أعود للبيت لأنهي حسابي مع مروه ولكني توقفت في وسط البهو مترددا ثم عدت متجها نحو الكافتيريا طلبت فطارا خاصا لي ولها وقررت أن أقضي مزيدا من الوقت معها قبل أن تأتي والدتها ،

أخذت طاولة بها عصير برتقال لألما وقهوة لي وبعضا من البان كيك المحلى بالعسل ، وصعدت لغرفتها فوجدت باب الغرفة مفتوح دلفت للداخل فوجدتها استيقظت وجالسة بوجه متهجم وامامها فتاتين ينظفون الغرفة من حولها ، لم تراني حين دخلت فتنحنحت فالتفتت سريعا تنظر نحوي ثم نظرت للطاولة في يدي وابتسمت،

يبدوا أنها كانت غاضبة لأني رحلت دون أن تراني، يا الهي كم أعشق ابتسامتها هذه فأنا مستعدا لدفع عمري بأكمله حتى تظل هذه الابتسامة على وجهها ،

خرجت الفتاتان من الغرفة وأغلقوا الباب خلفهم وجلست أنا قبالتها ووضعت الطاولة بيننا على

الحامل الملتصق بفراشها وبدأت بتقطيع البان كيك ومددت يدي نحوها لأضع جزء منه في فمها

نظرت نحوي بخجل وهي تبتسم قائلة :

- أنا فعلا كنت جعانه جدا

ابتسمت لها وأنا أطعمها :

- يبقى تخلصي الطبق كله والعصير كمان أنا اخدت الأذن من الدكتور

وقع على صدرها بضع قطرات من العسل فصرخت بي وهي تمد يدها السليمة لطاولة تخذ جزء من البان كيك لتضعها في فمي وهي تتعمد أن تقطر على ملابسي بعضا من العسل لتنتقم مني،

دخلنا في نوبة ضحك هستيرية جعلتنا ننسى لدقائق كل ما حدث ، دخلت خالتي فتوقفنا عما نفعله ، فرحت خالتي بحالتنا المرحة هذه واقتربت من ألما تقبلها بسعادة ،

استغليت وجود خالتي واستأذنت منهما وخرجت عائدا للمنزل ووجه ألما الضاحك الخالي من الهموم لم يترك خيالي ، وصلت البيت ووجدت مروه تجلس

في غرفة الجلوس تتحدث عبر الهاتف ، دلفت بداخل الغرفة بخطوات هادئة فوجدتها تتحدث لزوجها وتخبره بغضب ما فعله ابن عمه بألما ، وقفت أمامها فأنهت المكالمة سريعا بارتباك واضح، أشرت لها لتجلس ففعلت وجسدها يهتز أمامي أغلقت باب الغرفة وجلست أمامها وأنا أحاول السيطرة على غضبي منها ،

نظرت لعينيها نظرة كانت كفيلة بجعلها تبدأ في البكاء وهي تهمهم بكلمات الأسف والاعتذار فلم أجد كلمات تعبر عما بداخلي ، لو كانت قصت عليا ما حدث حين صارحتها عما رأيته كان من الممكن أن أسامحها ولكنها أثرت الصمت وتركتني أتجرع مرارة ما حدث ،

وقفت لأخرج من الغرفة بعدما شعرت بالاختناق الشديد فأوقفتني وهي تبكي قائلة :

- أرجوك سامحني يا مصطفى أنا مكنتش أعرف أنك شوفتها ولما قولتي خوفت أصارحك تاخد موقف من جوزي والله يا مصطفى هو مالوش علاقه بيه من ساعة اللي حصل ،

سحبت يدي من يدها وتركتها في الغرفة فأتبعتني وهي تترجاني :

- أرجوك يا مصطفى قول أي حاجه

نظرت نحوها وجملة واحدة تتردد على عقلي فأخرجتها بمنتهى القسوة :

- ياريت تنسي أن ليكي أخ أسمه مصطفى

الدرجة الثانية عشر

الخلة :

وتعني توحيد المحبة، ووضع المحبوب بمقام مُطلق لا يحتمل فيها المشاركة على الإطلاق.

" هي تحيا لتسعد بالحب "

مرت ستة أسابيع وأنا طريحة الفراش ، أنهض لدخول دورة المياه بمساعدة أمي لأنني لم أزيل جبيرة قدمي بعد فاليوم هو المقرر من قِبل الطبيب لكي ينزع جبيرتي فمنذ أسبوعين نزعت التي تخص كتفي ،

لم تذهب أمي اليوم للسوق كعادتها منذ عدت من المشفى كي تبتاع لي ملابس تخص زفافي وأشياءً كثيرة أخرى تخص المطبخ ومقتنياته التي لا تعد ولا تحصى ،

أتذكر حين عدت من المشفى وبعد مرور عدت أيام وأنا طريحة الفراش شعرت بضجر شديد وكدت

أختنق من البكاء فأنا لا أفعل شيئا في يومي سوى
النوم والنوم والنوم والجلوس وسط عائلتي ثم النوم
حتى أصابني الاكتئاب ،

وقتها جاءني مصطفى وجلس بجواري يطعمني
بعدما رفضت الطعام من امي عدة مرات فما كان
منها إلا أن تستدعيه على الفور،

ورغم تعجبي لأمرها بعدما كانت تكن لمصطفى
مزيدا من مشاعر الكره تجاهه ، الأن أصبح
منقذها التي تحبه كثيرا وتلجأ له في كل كبيرة
وصغيرة تخصني أو حتى تخص أبي وأخي لقد
أصبح مصطفى صندوق أسرارها فبمجرد جلوسها
تتبدل حالتها المزاجية إلى النقيض بعد الضيق
والصراخ بأخي وحتى أبي يأتي مصطفى ليجلس
معها قليلا من الوقت لتخرج بعدها بصوت
ضحكاتها التي تملأ المنزل ،

فكثيرا ما تراودني أفكارا حول أمي كيف
ستكون ردة فعلها حين تعلم ما فعلناه أنا
ومصطفى ؟!

خرجت من شرودي يومها على صوت مصطفى وهو يحدثني حاملا في يده كيس كبيرا يفتحه ليريني ما بداخله وهو يقول :

- جبتلك خيط صوف وإبر كل المقاسات عشان تسلي نفسك الشهرين دول وما تحسيش بالزهق ،

ثم ختم حديثه بابتسامة وغمزة من عينه ليكمل :

- يعني أعمليلي كدا حاجه على زوقك

ابتسمت على حركاته الطفولية ثم قلت له :

- أنا أصلا عمري ما اشتغلت كروشيه ولا أعرف بيعملوه ازاي

حمل طاولة الطعام من أمامي وأتي بحاسوبي ليضعه مكان الطاولة على قدمي ثم فتحه وهو يقول :

- اليوتيوب مخلاش حاجه هجيبلك شوية فيديوهات هيعلموكي من الألف للياء

عجبتني فكرته إلى حد ما برغم تخوفي من عدم قدرتي على هذا العمل فهو يحتاج لصبر وأنا بطبعي لست صبورة ولكن لم يكن أمامي حلا أخر فأنا سأجلس هنا لمدة لا تقل عن شهرين سأحاول تنفيذ فكرة مصطفى العبقرية علها تفيدني ،

والان وبعد مرور ستة أسابيع استطعت إنهاء بلوفر بألوان متعددة صنعته لأجله ، دخلت أمي من الباب وأنا أنهي أخر صف فيه لتتعجلني قائلة:

- يلا يا ألما قومي يا حبيبتي أما ألبسك عشان نروح المستشفى معادنا قرب وأخوك ومصطفى مستنين بره ..

قطعت الخيط بعدما ربطه جيدا وأخيرا أنهيته رفعته لأعلى بابتسامة نصر لأريه لأمي فشهقت من إعجابها ثم رددت :

- بسم الله ما شاء الله ايه الجمال دا يابنت

ثم بأعلى صوت لها صاحت :

- مصطفى تعالى شوف

وبأقصى سرعة لي وضعته تحت الغطاء وأنا أصرخ بأمي كي تتوقف عن مناداته ولكنها حين فهمت مقصدي كان مصطفى أمام الباب يتسأل :

- في ايه يا خالتو

حركت رأسي نفيا وأنا أنظر نحو أمي بغيظ حتى تداركت الأمر بقولها :

- ما فيش بس ألما كانت رافضه تروح للدكتور لأنها خايفه بس لما نديتك قالتلي خلاص هقوم ..

تنفست الصعداء وتحملت لوم مصطفى لي وهو ينعتني بالمدللة ولكنه توقف في النهاية وتحولت نبرة اللائمة لأخرى حانية وهو يطمئنني ويحاول إزالة خوفي الوهمي ...

خرج مصطفى من الغرفة وأمي تقف في الزاوية تكتم ضحكاتها فنظرة لها بلوم لتقترب هي مني تُقبلني وتساعدني لكي أرتدي ثيابي ،
انتهيت وخرجت من الغرفة بمساعدة أمي فقام مصطفى على عجل وأخذني من يد أمي كي

أستند عليه ، جاء أخي من الجانب الأخر فأشار له مصطفى أن يتراجع ويسبقنا للسيارة ،

تبعته أمي وسرنا خلفها على مهل وأنا أضع يدي على كتفه وهو يمسك بخصري ليرفع قدمي الملفوفة في الجبيرة ،

هبطنا من أعلى الدرج ببطئ فاقتربت بوجهي من رقبته التي تميل نحوي فاستنشقت رائحته المفضلة لدي التي أعشقها ، فأنا لم أقترب منه لهذا الحد منذ ما حدث بيننا ،

اقشعر جسدي بين يديه ولم أتردد حين أملت برأسي نحو أذنه لأهمس له :

- وحشتني قوي على فكره

أنتفض جسده بجواري وشعرت بارتباكه الواضح وهو يتقدم للأمام ليفتح لي باب السيارة الخلفي ثم أمر أمي التي جلست بجوار أخي بالأمام أن تعود للخلف لتجلس هي بجواري ،

تعجبت أمي فهي اعتقدت أنه سيحب الجلوس بجواري ولكنه لم تعترض وترجلت من مكانها ،

بعدما جلست أمي بالداخل حملني بين يديه ليضعني ممددة بالخلف وراسي ناحية أمي ،

رأيت ابتسامة أمي الفخورة به فهي تعتقد أن لا يريد أن أتمدد هكذا بجواره وأضع رأسي على قدميه وخصوصا أنه لم يصبح زوجي بعد ، ابتسمت بسخرية كبيرة فمصطفى يجيد دوره بامتياز،

جلس هو بجوار أخي بعدما أغلق باب السيارة وهو يتجنب النظر لي ظلوا يتحدثون طوال الطريق عن شقتنا وما وصل له مصطفى في التجهيزات فأخبرهم أنه أنتهى أخيرا من الشقة وقد أصبحت جاهزة تماما لاستقبالنا لم يتبقى سوى الأثاث الذي سيبتاعه أخر الأسبوع ،

وبعدها سيتفرغ لتجهيزات الفرح ، ثم ألتفت برأسه نحوي ليخبرني أنه يريد اصطحابي معه لنختار الأثاث معا ،

ولكنه لا يعلم أن اخر ما يشغلني الأن هو الأثاث والمنزل والزفاف وكل ما يخص هذا اليوم جل ما أفكر به هو علاقتي به هو وكيف حدث هذا الجفاء بيننا برغم أنه في الأسابيع الماضية كان أقرب لي من أي وقت أخر ولكنه كان قريبا بجسده واهتمامه أنما بقلبه كان بعيد مثل المسافة بين المغرب والمشرق ،

علاقتي به لا توصف سوى أنها أقل من عادية ، حتى محادثاته معي على الهاتف جميعها للاطمئنان على حالتي الصحية ومحافظتي على تناول الغذاء السليم مع حرصه الشديد على ألا أشعر بالملل من جلوسي بمفردي وقت خروج أمي لتبتاع جهازي حتى زيارته كانت بجلوسي معه أنا وأمي وأبي وأحيانا كثيرة أخي ،

وإن حدث وتركونا بمفردنا لبعض الوقت فهو يشغل هذا الوقت بالحديث عن يومه وعن صالته الرياضية وما يحدث بها وإن حاولت الحديث عن علاقتنا يهرب بأي وسيلة متاحة لديه ،

وأخرها كان يستأذن مني ليعود لمنزله معللا ذالك بإرهاقه الشديد واحتياجه للراحة والنوم ،

نظرت نحوه فوجدته مازال ينتظر اجابتي لأعطيه موعد كي أذهب معه لنبتاع أثاثنا سويا أجبته وأنا أحرك رأسي بإهمال :

- مش مهم أكون موجوده ممكن تاخد ماما أو بابا أو حتى شادي لأني مش هقدر على مشوار زي دا

هز رأسه إيجابا وعاد ينظر للأمام وهو يقول :

- زي ما تحبي وعموما أي حاجه تعجبنا هبعتهالك على الواتس ونختار سوا

لم أجيبه فأنا غاضبة منه بشدة أنه يشعرني أنني بلا قيمة أقول له أنني اشتقت إليه كثيرا فلا يجيبني وكأنني أحاول فرض نفسي عليه ،

انتهت زيارة الطبيب وعدنا للمنزل وهرب مصطفى كعادته من مواجهتي دون أن يتحدث معي بمفردنا كل ما حدثني به أن لا أحمل على قدمي وأنا أخطو عليها ، دلفت لغرفتي ومنعت أمي من

مساعدتي في تبديل ثيابي فقد تعبت معي كثيرا
حتى الأن،

وبرغم استيائي لكل ما حدث اليوم إلا أنني سعيدة
لأني أصبحت بخير وأستطيع التحرك دون ألم مبرح،
حمدت الله على سلامتي وقررت الهرب للنوم،
تدثرت بغطائي وأغمضت عيني عنوة طاردة كل
الأفكار التي تؤرقني منذ أسابيع طويلة ولكن
هاتفي لم يرغب بذلك،

رنينه المزعج جعلني أضطر للقيام مرة أخرى لأرى
من المتصل، وجدتها مروة وللمرة العاشرة أعرف
سبب اتصالها فهي لم تقتنع بعد أنني كلما حاولت
التحدث مع مصطفى بشأنها يتركني ويذهب ،
وبرغم أن همي يكفيني إلا إنني أجابتها وحاولت
تهدئتها من البكاء المستمر، كم من المرات نصحتها
أن تتركه وتنتظر ولكنها لا تستطيع رؤيته
أمامها كل يوم وهو يتجاهلها وكأنها غير مرئية
وقد فشل كلا من والديها لرأب الصدع بينهما
كما فشلا في معرفة سبب قطيعة مصطفى

لأخته الوحيدة ورفضه التام الصلح بينهما أو جعله يتحدث معها ولو مجرد حديث عابر،

انهيت حديثي معها بعد مرور ثلاثون دقيقة ووعدتها أنني سأتحدث معه مرة أخرى كما أخبرتها أنه في أخر مرة أتيت بذكرها لم يدعني أكمل جملتي وتركني وذهب ،

امسكت هاتفي بعدما انهيت الحديث معها وعقلي يحثني على الاتصال به وجعل مروة مادة جيدة لكي أفرغ غضبي منه على ما فعله معي اليوم ورغم ترددي الشديد إلا ان الفكرة أعجبتني كثيرا،

لم انتظر بعد وضغطت زر الاتصال وانتظرت إجابته ولكن الرنين انتهى ولم يُجيب!

تصاعدت الدماء لرأسي فكيف لا يجيب على اتصالي مؤكد هو يعلم أني أريد التحدث عن برودة الشديد معي اليوم لهذا لا يريد إجابة اتصالي،

أعدت الاتصال مرة أخرى وأنا أهز قدمي السليمة بتوتر وغيظ شديدين يجب أن يعرف أن سبب أتصالي به هو مروه وقبل أن ينتهي الرنين أنفتح الخط وظهر صوته ناعسا،

لومت نفسي للحظات على ظني ولكني تنحنحت وأجابته :

- أنا صحيتك من النوم؟!

حاول أن يجلي صوته لكي يجعله واضحا:

- ولا يهمك يا حبيبي خير!

تعالت نبضات قلبي ونسيت كل ما فعله اليوم بي وتلاشى غضبي منه كهباء منثورا وأنا أردد جملته في عقلي وأبتسم لقد ناداني "حبيبي"

فوجدتني أقول له وأنا أحاول السيطرة على ما يحدث بداخلي الذي يأن وهو ينتظر ولو جملة بسيطة منه تشعرني بقيمتي وأنه مازال يحبني :

- أنا فعلا حبيبتك يا مصطفى؟!

تنهد بعمق وكأنه مازال غارقا في أحلامه :

- انتي كمان وحشتيني جدا وأكتر مما تتخيلي

نبضات قلبي المتسارعة كادت أن تصم أذني ولكني لم أجد كلمات أستطيع من خلالها الإجابة عليه فلازمت الصمت حتى أستمع له وكل خلية بداخلي تتأهب بشوق لسماعه ولكنه حطمني حين قال لي :

- بس أرجوك يا ألما بلاش تقوليلي كدا مرة تانية لحد ما نبقى في بيتنا

أحترق داخلي وأنا أتسأل بتعجب لماذا يحدثني هكذا! أنا لا أريد منه شيئا سوى أن يخبرني أنه مازال يحبني ويريدني ، هل فهم من حديثي أنني أريد اشتقت لعلاقة معه؟!

عند هذا الحد انفجرت الدماء برأسي وشعرت أنه ألقى بدلو ملئ بالثلج فوقي فباغته بالقول وأنا انهت من الانفعال :

- أنا اتصلت بيك عشان مروه على فكره ولو بتتكلم على اللي قولتهولك واحنا رايحين المستشفى فانا ما قصدتش اي حاجه من اللي جت في دماغك المريض دا انا بس قولتلك كدا لأني ما

شوفتكش من كام يوم وعموما انسي كأني ما قولتش حاجه...

لم انتظر إجابته وانهيت المكالمة ثم اغلقت الهاتف نهائيا واجهشت في البكاء ، حتى أبسط الكلمات يأخذها على محمل أخر ولكني لا أستطيع لومه على ذلك فهذا كله من صنع يدي، فكما اخبرني من قبل انه حين قبلني تركت له جسدي يفعل به ما يشاء دون رفض أو حتى تملل فله كل الحق فيما يظنه،

نمت على حالتي المزرية ولم افتح هاتفي سوى في صباح اليوم التالي وحين فتحته وجدت منه عدة رسائل تفيد الاعتذار وأنني فهمته على نحو خاطئ وان ما يقصده كان اشتياقه الدائم لي وهو لا يريد منا ان نكرر خطأ اخر ، ورغم ان رسائله كانت بغرض مصالحتي ولكنها أكدت ظنوني فهو يعرف جيدا مدى ضعفي أمامه ويظن أنه بمجرد الحديث عن الحب والاشتياق سأدعوه للفراش بكل

لهفة ولن أستطيع التحكم في جسدي كما فعلت سابقا !

تجاهلت رسائله كما تجاهلت زيارته المتعددة ومحاولاته الدائمة لجعلي افهم مقصده وهو لا يعرف اني افهمه أكثر من نفسي !

مر الاسبوعين سريعا وبدأت أسير على قدمي بشكل يبدوا جيدا وجاء يوم زفافي المنتظر !

لم أنم قبلها بثلاثة أيام سوى بضع ساعات قليلة، الكل يعتقد أنني مثل أي عروس أصبت برهاب ليلة الزفاف كما الجميع وعلاج ذلك كان مزيدا من الضحك الكثير ومقولات مأثورة لترفه عني،

استيقظت يومها أطالع ساعتي فوجدتها الحادية عشر تأففت بضيق فأنا لم استطع النوم سوى التاسعة صباحا وكأنني أعزف عن النوم رغما عني ،

نظرت حولي فوجدت غرفتي تنقلب رأسا على عقب ، فستان زفافي معلقا امام خزانتي وفي الأسفل يقف حذائي الأبيض ذو الكعب العالي المليء بالتطريز وطقمي الأبيض الداخلي مطوي بعناية في نهاية

فراشي وصوت الهرج والمرج بالخارج يدل على أن
زفافي بالفعل هو اليوم،

وأنا لا أشعر بشيء سوى الرعب من القادم وتساؤلات
عديدة تكاد تفتك برأسي، ماذا سنفعل الليلة أنا
هو حين يُغلق علينا بابٍ واحد؟!

ابتلعت ريقي بصعوبة وصداع رأسي يهاجمني من
قلة ساعات نومي

منذ اسبوع مضى ،

فركت رأسي بشدة وأنا اردد في عقلي

" لا لن أستطيع تمرير هذا اليوم هكذا "

وقفت أفكر ماذا علي أن أفعل درت حول نفسي
عدة مرات ووجدتها يجب علي مقابلة الطبيب
النفسي لو استمر الأمر هكذا سأنهار قبل إتمام
اليوم،

أخذت هاتفي من فوق المنضدة واتصلت فورا على
العيادة الخاصة به فأجابتني الفتاة المسؤولة ولكن
لسوء حظي فإن الطبيب لن يأتي العيادة قبل الثالثة
عصرا وأنا وقتها سأكون في صالون التجميل

ولكني لم أتردد في الحجز بإسمي ورجوتها أن تجعلني أول حالاته،

سأترك كل شيء وأذهب إليه لن أستطيع مواجهة ما سيحدث بمفردي!

ما عنه فهو "يحيا ليُسعدها"

خرجت ألما من المشفى منذ عدة أيام وتعليمات
الطبيب كانت واضحة يجب عليها ألا تتحرك حتى
تزيل جبيرة كتفها وقدمها ، هاتفتني خالتي اليوم
تحدثني بحزن شديد على ألما التي رفضت الطعام
اليوم نهائيا بسبب حالتها النفسية المتدنية لجلستها
هكذا في الفراش دون حراك وخالتي بدأت للخروج
لتبتاع جهازها فلم يتبقى سوى عدة أسابيع على
زفافنا ،

طمئنت خالتي ووعدتها بزيارتها الليلة ومعي الحل ،
أنهيت عملي في الصالة وعدت للمنزل دلفت لشقتي
لأطمئن على العمال الذين يهتمون بالتجديدات
وحين أطمئنيت على سير العمل صعدت لشقة
والدي لأستحم وأبدل ثيابي ،

وجدت مروه أمامي مثل البارحة تنظر لي وعيناها
تمتلأن بالدموع تجاهلتها كما فعلت من قبل
ودلفت لدورة المياه ،

انتهيت من حمامي وارتديت ملابسي وجلست لأبحث على الانترنت عن عمل يدوي يشغل ألما حتى لا تشعر بالملل وبالفعل وجدت عدة أشياء منها " الكروشيه "

عرفت عنه معلومات كافية وانطلقت لأقرب مكان لي لابتاع منه عدة خيوط مختلفة ولحسن حظي وجدت كل ما أحتاجه ،

ذهبت لألما فوجدت خالتي تنتظرني وبيدها طاولة الطعام وهي تشير لي برأسها أنها رفضت الطعام ثانية ،

أخذت الطاولة من يدها وأنا احمل الحقيبة بيدي الأخرى وطلبت من خالتي تطرق الباب ، أذنت لنا ألما بالدخول وحين رأيتها أخذت نفسا عميقا ، لقد اشتقت إليها كثيرا فلم يمنعني عنها هذه الأيام سوى التجهيزات واحضار العمال ورؤية التصميمات وغيرها ،

تركتنا خالتي فجلست على الكرسي بجوارها ووضعت الطاولة على قدميها وأنا أقول لها :

- مش اتفقنا لازم تاكي عشان تبقي كويسه !؟

زفرت بضيق :

- مش عاوزه أكل

اعتدلت في مجلسي قائلاً :

- حيث كدا بقى ما سبتليش خيار تاني

وبدأت بإطعامها وهي تتذمر بضيق ولكني لم أعيرها اهتمام واستمريت في إطعامها حتى أقترب الطعام أن ينتهي وأخبرتني أنها ستتقيأ لو أستميت هكذا ،

توقفت عن إطعامها رغما عنها وحملت الطاولة وضعتها في مكان بعيد عنا ووضعت الحقيبة المملوءة بالخيط على قدميها ،

تسألت عن محتواها فأخرجت له الصوف وأخبرتها ما تفعله به ومن أين تتعلم كيفية إشغاله ، بدت لها فكرة ممتازة وشعرت أن حالتها النفسية تحسنت قليلا منذ مجيئ ،

جلست معها قليلا بعد نتحدث في أشياء عامة وعينيها تسألاني ألف سؤال وسؤال تجاهلت نظرتها وتركتها يومها وذهبت ،

توالت الزيارات العادية ولكني أعتدت جلوسي
معها والحديث بيننا أصبح ممتع للغاية لدرجة
أنني كنت أقص له ما حدث في يومي وأنا أشعر
بالراحة الشديدة معها ،

ولكنني أعلم جيدا أنها تريد المزيد وأنا لا أستطيع
إلى الأن أزاله الحاجز بيننا أو أن أتناسى ما حدث !

ذهبت هي ووالديها وأخيها لزيارة الطبيب لتزيل
جبيرة كتفها ولم أستطيع الذهاب معها يومها
لسفري المفاجئ مع عمر لنبتاع عدة أغراض تخص
شقتي ،يومها شعرت بغضبها مني ولكني ذهبت إليها
فور عودتي وهي حين رأت شكلي المزرى سامحتني
دون اعتذار،

جلست معها قليلا وكنت مُتعب للغاية فاعتذرت
منها وذهبت بعدما وعدتها أن أتفرغ يوم أزاله جبيرة
قدمها وأن أذهب معها ،

حتى جاء هذا اليوم ومعه القشة التي قصمت ظهر
البعير !

خرجت خالتي من غرفتها تسندها فنهضت لأحملها
أنا وجعلت خالتي تتركها ، جاءني شادي
ليساعدني فأمرته ليجهز السيارة حتى ننزل ،

قربها مني بهذا الشكل للمرة الأولى منذ ابتعادنا
جعلني مرتبكا للغاية وما زاد الأمر سوءً هي
اقترابها مني حتى داعبت أنفاسها أذني فكدت أفلتها
من فرط تأثري بما تفعله ولكنها لم تكتفي
بذالك بل قالت لي هامسة :

- أنت وحشتني قوى على فكره

ابتلعت ريقي بصعوبة بالغة وتسمرت قدمي
للحظات بينما أرتعد جسدي من كلماتها التي
سقطت على قلبي الظمأ لتسقيه قليلا من عبيرها
وتتركني أحترق شوقا لهمسة أخرى منها ،

لحسن حظي أننا قد وصلنا للسيارة ولكني وجدت
خالتي تجلس بالأمام ومعنى هذا أنني سأجلس مع ألما
بالخلف وستتمدد على قدمي !

بعد ما قالته الأن لن أحتمل قربها هكذا ، طلبت من خالتي العودة للخلف وحملت ألما بين يدي المشتاقة للمستها ووضعت رأسها على قدمي والدتها وأغلق الباب بعدما تأكدت من جلوسها براحة ،

حاولت ألهاء نفسي بالحديث معهم عن تحضيرات الزفاف ولكني أردت أن أختبر مزاجها حين طلبت منها أن تأتي معي لشراء أثاث منزلنا ولكني كما توقعت رفضت تمام فهي غاضبة منى الأن لأني لم أجيبها ،

ألما تريد علاقة طبيعية بيننا مثل أي عاشقين سيتزوجان قريبا ولكننا لسنا في علاقة طبيعية يجب عليها أن تدرك ذلك !

عدنا من المشفى وطمئنت عليها وتركتها وعدت للبيت ، دلفت لغرفتي منهكا لأقصى حد فوجدت مروه تطرق على باب الغرفة وتستأذن للدخول ،

لم أجيبها كالعادة ولكنها لم تتراجع بل فتحت الباب ودلفت للداخل وهي تبكي وتعتذر للمرة التي فقدت عدها ،

لازمت الصمت حتى انتهت ثم قلت لها ببساطة أن تغلق الباب خلفها ، خرجت تنهار بالبكاء وقلبي يتمزق من أجلها ولكني إلى الأن لم أستطيع مسا محتها على ما فعلته لو كانت صارحتني من البداية كنت الأن سأصبح أسعد رجلا في الكون لأنني وبعد عدة أيام سأزف على حبيبتي وحلم عمري ،

لم أكن لأرتكب هذه الفعلة الشنيعة مع ألما ، كنت سأنتقم من هذا الوغد وقتها ولم يكن يستطيع إيذائها كما فعل الأن !

لو كنت علمت من وقتها كانت ألما ما تزال عذراء حتى الأن !!

توقفت عن الاسترسال بشق الأنفس قبل أن أنفجر غضبا منها أكثر من ذلك ، ارتميت على فراشي منهكا بشدة وذهبت في نوما عميق وكلي يتمنى رؤيتها هناك في أحلامي فتاة بريئة أمتلكها بشرع الله ،

وبالفعل رأيتها بفستان زفافها الأبيض الذي اخترته البارحة ولكنني لم أشتريه بعد ،

جننت من رؤية جمالها الأخاذ في اللون الأبيض وهي تنظر نحوي بخجل وجسدها يرتعد بين يدي خوفا ،

نغمات رنين احفظها عن ظهر قلب داعبت أحلامي فجعلتني أتوقف قبل أن ألمس وجنتيها !

وقبل أن أعود لحلمي عادت النغمة لتوقظني من أجمل حلم تمنيته يوما ،

نظرت للهاتف فوجدت صورتها تبتسم أمامي على الشاشة ، تلقيت المكالمة بابتسامة حالمة وأنا لم أفق بعد من حلمي الجميل ، وجدتها تسألني بحرج هل أيقظتني من النوم ؟

أجبتها وأنا مازلت ناعسا :

- ولا يهمك يا حبيبي خير

شعرت بأنفاسها تتسارع عبر الهاتف وهي تقول لي :

- أنا فعلا حبيبتك يا مصطفى ؟!

ماذا أفعل مع هذه البلهاء التي تظن دوما أنني أكرهها رغم كل ما أفعله معها ، ولكني أعرف مقصدها هي تظن ذلك لأنني لم أجيبها على قولها أنها اشتاقت لي !

أجبتها بصدق شديد وأنا ما زلت تحت تأثير الحلم :

- وانتي كمان وحشتيني جدا وأكتر مما تتخيلي

يجب أن اتحدث معها ونحل هذا الأمر بيننا قبل أن نتمادى في مسلسل العشق هذا ولهذا أخبرتها بكل صراحة :

- بس أرجوكِ يا ألما متقوليليش كدا مره تانية لحد ما نبقى في بيتنا

أردت أن أكمل حديثي أنني لم أعد أستطيع تحمل ابتعادها عني وأنني بمجرد سماع كلمات بسيطة منها جسدي لا يتحمل فهو يحترق شوقا إليها ،

ولكني لم أستطيع إكمال حديثي فقد انفجرت
بي بعدما فهمت كلامي على نحو خاطئ
كعادتها ثم أنهت المكالمة وأغلقت الهاتف !

حاولت التواصل معها ثانية وبعثت لها عدة رسائل
ولكنها لم تجب على واحدة منهم ،

ذهبت إليهم في اليوم التالي وحاولت أن أنفرد بها لا
اصلح الأمر ولكنها تحججت بأنها مرهقة وعليها أن
تنام ،

تركتها وعدت بعد عدة أيام ولكن الوضع لم
يختلف كثيرا حاولت أن أتحدث معها على الهاتف
ولكنها لا تجيب الا وأبيها أو أمها بجوارها وإن
حاولت التحدث بالأمر تنهي المكالمة بحجة ما !

توقفت عن المحاولة وتركت الأمر هكذا فهو لن
يتعقد أسوء مما كان ،

اشتريت لها فستان الزفاف وبعثته لها في علبة
كبيرة ملفوفة كهدية على أمل أن تظهر أي ردة
فعل محببة ولكن لم يحدث ذلك ولا حتى سمعت
منها كلمة إعجاب سوى " شكرا على الفستان "

وجاء اليوم المنتظر يوم الزفاف الحقيقة اليوم هو الأسوء بالنسبة لي على الإطلاق !

أشعر بتيه شديد ولا أستطيع وصف مشاعري المختلطة وما يختلج صدري ، شعوري بالخوف من ملامستها وعودة كل ما حدث في السابق يجعلني متوترا للغاية أما عن شعوري بالشوق لها فحدث ولا حرج !

كلمة - ممزق أنا - في قصيدة غناها كاظم الساهر تتردد في عقلي بشكل يجعلني لا أدرك تماما ما يحدث حولي !

جاءني والدي يترجاني للمرة الثانية أنا أتصافي مع أختي الوحيدة ، لو يعرفان ما يحدث لي بسببها كانا بادرا هما بمقاطعتها للأبد ، ولكن هو يوم زفافي ولا يصح أن يأتي زفافي وأنا وهي متخاصمان ، وبعد إلحاح شديد كاد أن يفتك برأسي حدثتها على مضض ودون دخول في تفاصيل كثيرة

الحقيقة أنها لا تعنيني الأن تركتهم وذهبت لعمر ملاذي الأخير !

جلست مع عمر للعدة ساعات دون حديث
والحقيقة أنه الصديق الوحيد لي لهذا السبب هو لا يضغط علي لمعرفة أي شيء لا أريد الحديث عنه بل يدعمني بصمته الذي يجعلني أصبح أهدى وأكثر عقلانية ،

نظر في ساعته وأخبرني أنه لا يوجد مزيدا من الوقت لجلسة كهذه ويجب علينا الذهاب لارتداء بدلتي والذهاب لأصطحب ألما من صالون التجميل ومنها لقاعة الزفاف ،

قمت بالفعل وعدت للمنزل متوجها نحو دورة المياه ، وقفت تحت صنبور المياه وتذكرت كل ما حدث ليلتها وكأن النيران أضرمت في جسدي ، سمعت هاتفي يرن بنغماتها المحددة فخرجت سريعا ألف جسدي في المنشفة لأجيبها ولكني وجدتها خالتي تقول لي أنا ألما تركتهم وذهبت بعدما تعللت أنها

تحتاج لغرض ما ومرت ساعة ونصف ولم تعود إلى الأن وهي ستموت قلقا عليها !

أنهيت معها المكالمة وفي عقلي تدور فكرة واحدة ألما قد هربت لأنها مثلي لن تستطيع مواجهتي اليوم !!

الدرجة الثالثة عشر

الوله :

" وفي هذه المرحلة يصبح من الصعب على الطرفين الافتراق ولو لثانية، فجنون الحب هنا أصبح مسيطرا، فلا يجد الطرفان طعما للسعادة أو الراحة في غياب الطرف الآخر"

" هي دوما تبحث عن السعادة "

أنهيت المكالمة بعدما حجزت مع المسؤولة ووضعت الهاتف في حقيبتي فور دخول أمي الغرفة لتوقظني ظنا منها أنني ما زلت نائمة ، أستمرت في احتضاني وأذرفت بعض الدموع مما جعل أبي يأخذها من أحضاني بالقوة ، جلست على فراشي بحزن بالغ وأنا أتخيل أنني سأعيش بدون أمي ،

لم تكن يوما أم متسلطة أو قوية بالعكس كانت صديقتي وكنت أحب مجالستها كثيرا

وفي الأونة الأخيرة وبعد ما حدث بيني وبين مصطفى لم يكن أحد بجواري غيرها ،

أجهشت في البكاء فدخل أخي يحتضنني ويهدئني وهو الأخر يبدوا عليه الحزن وهو يقول لي ،

- مين هيستناني لما أتأخر ويداري عليا لحد ما ماما تنام ؟ طب مين هيتعشى معايا الشاورما ويتفرج معايا على فيلم أجنبي ؟

ازدادت حدة بكائي فشدد من احتضاني وهو يمازحني :

- خلاص ما تعطيش شوفيلي عروسه من اصحابك انهارده عشان ما تشليش ذنبي

ابتسمت رغما عني وجاء أبي ليخرجه من الغرفة بمزاح ثم أغلق الباب وجلس ودعاني أجلس بجواره ،

مسحت دموعي التي مازالت تتساقط وجلست بجواره وأنا أضم كفي بعضهما البعض بتوتر بالغ ،

فعلاقتي بأبي لم تكن يوما بأفضل حال فهو كل ما كان يهمه طوال حياتي هو الحفاظ علي من

كل ما يحطني ، ولذلك لم يكن لي أصدقاء مقربين فجميهم لم يكونوا من نوع أبي المفضل فكان يرفض قدومهم لمنزلي أو ذهابي لمنازلهم لذلك كانوا يبتعدون عني على الفور ،

تنحنح ليجلي صوته ثم قال لي :

- أنا يا بنتي زي ما انتي عارفه صعيدي وتربيتي شديده ومكنش ليا أخوات بنات ولا اعرف ازاي اتعامل معاهم ، أمك عانت معايا أول جوزنا كتير لحد ما بدأت افهم أن معاملة الستات مختلفة بس اللي مكنتش عارف افهمه أزاي أتعامل مع بنتي ،

ضممت حاجبي متعجبة من حديث أبي فلم يجلس معي هكذا من قبل !

أكمل حديثه وهو يتجنب النظر إلي :

- أول ما أمك خلفتك وأنا كنت حامل هم ازاي هربي بنت وأزاي أتعامل معاها وأول ما شيلتك على إيدي ولقيتك ضعيفة كدا ورقيقه خفت عليك حسيت أني ممكن أذيكي فقررت أسيب كل ما يخصك لولدتك وكل ما كنتي بتكبري وبتحلوي

كنت بترعب عليك أكتر كنت بدعي ربنا ليل نهار ما ياذنيش فيكي ،

عند هذه الجملة بدأت في البكاء مرة أخرى ولكن هذه المرة لم تكن تخصني ولكني بكيت أبي !

أبي الذي استمر أكثر من عشرون سنة يحاول فيها حمايتي وأنا لم أحمي نفسي لعدة ساعات !

ألتفت نحوي وضمني لأحضانه برفق وكأنه بالفعل يخاف إيذائي ، بكيت كما لم أبكي من قبل وشعرت بقطرات دموع ابي تتساقط على رأسي وهو يردف :

- ما تزعليش مني يابنتي لو كنت قسيت عليك في يوم بس دا كان من خوفي عليك أنهارده هسلمك لراجل مصطفى راجل وإن شاء اللّه يحافظ عليك ولو زعلك تجيلي جري وأنا أخلص عليه أنا ما أستحملش حد يمس شعره منك ،

وددت لو صرخت به ليتوقف عن هذا الحديث فهو يجعلني أشعر بالذنب أضعاف ما كنت اشعر ،

وكأنه سمع نداء قلبي فقبلني من جبهتي وتركني في الغرفة أتجرع مرارة الندم وخرج ،

دقائق قليلة وسمعت باب الشقة الخارجي يطرق بشدة وأصوات كثيرة متداخلة أعرها جيدا ،

دلفت أمي لغرفتي تصطحب خالتي الثالثة وبناتها ومعهم بنت خالي ، حاولت أن أظهر طبيعية ولكنهم تسألوا فور رؤيتي عما حدث لي ، أخبرتهم أمي أنها وأخي وأبي كانوا يودعونني وهذا أثر الوداع ،

حولوا الأمر لمزاح وحاولت مجاراتهم في ذلك حتى طلبت مني أمي الانضمام إليهم على طاولة الطعام لنتناول وجبة الفطار قبل ذهبنا لموعد صالون التجميل ،

تتبعتهم للخارج بثقل شديد في جسدي وكأنني أحارب لأبدوا طبيعية ، كل ما حدث في الشهور الماضية في كفة وما حدث في الصباح مع عائلتي في كفة أخرى !

هل غفلت لهذا الحد وجودهم في حياتي ؟! كيف سأعيش بدون أمي التي تهتم بكل تفصيله في حياتي من طعام وشراب وملبس حتى هواياتي كانت تشاركني بها ،

أما عن أخي الذي لا يمر يوما علينا دون مشاكسة وسهر طوال الليل على التلفاز تارة وعلى الحاسوب ورؤية الأفلام مع عشاء فاخر بالإضافة لحلوياتي المفضلة التي كان يأتيني بها كل ليلة !

من سيسد هذا الفراغ ويهتم بي بعد أن أتركهم ؟! من سيخاف علي ويحافظ علي مثل أبي ؟!

هل سيفعل مصطفى ؟!

ابتسمت بسخرية فأول من جرحني هو مصطفى !

حثتني أمي على تناول الطعام وهي تقول لي بمرح ظاهر :

- كلي يا حبيبتي يومك طويل انهارده وما تخافيش أنا هاجي اعيش مع خالتك ومش هسيبك

ابتسمت لها بينما أردفت خالتي :

- وأنا والله ما هصدق وأجي أقعد مع أخواتي

مصمصت أحدى بنات خالتي شفتيها قائلة :

- مالك زعلانه ليه كدا دا انتي حتى متربيه مع مصطفى وهتعيشي مع خالتو ومروه أمال أنا بقى اللي عشت مع عيله مأعرفش حد فيهم

لم أجيب على أحد منهم وخصوصا عندما اشترك الجميع في الحديث وانقلب الامر لحوار في العلاقة الزوجية وكيفية نجاحها مما جعلني اقوم على الفور بحجة أنني أحتاج للاستحمام قبل الخروج ،

٩

وبالفعل ذهبت لدورة المياه وجلست في حوض الاستحمام بعدما ملئت بالماء على أخره وتركت جسدي يطفو فوق الماء وحاولت قدر استطاعتي تصفية ذهني من هذا الضجيج علني أجد حالا يريحني ولو قليلا ،

لا أدري كم استغرقت من الوقت ولكني يبدوا أنني جلست لمدة طويلة لأني أمي طرقت الباب بفزع رهيب ،

أجبتها سريعا قبل أن تستغرق في أفكارها السوداء وارتديت منشفتي وخرجت وأنا أشعر أن جسدي أصبح أهدى قليلا ،

استعجلتني أمي لأرتدي ثيابي سريعا قبل أن تتجاوز الواحدة فموعدنا قد أقترب ،

خرجت مع أمي وأقاربي لصالون التجميل بصحبة أخي ، نظرت في ساعتي فوجدتها تجاوزت الواحدة والنصف هاجمني القلق مرة أخرى وأنا أفكر في إيجاد حجة قوية لأستطيع الذهاب بها للطبيب بعد ساعة واحدة من الأن ،

أصبح الأمر شبه مستحيلا حين دخلت صالون التجميل الكبير واستلمتني أحد الفتيات بالاسم ثم أخذتني من يدي وأخذت من أمي فستاني وحذائي وكل ما يلزمني وأدخلتني غرفة منفصلة تماما عنهم ! وكل ما يتردد في عقلي سؤالا واحد " يا ألهي كيف سأهرب من هنا ؟! "

مضت ساعة في لمح البصر ووجدتها أصبحت الثانية والنصف وكل من حولي يعملون على قدما وساق

، زاد توتري فيجب علي الذهاب فورا حتى أستطيع الوصول للطبيب قبل مجيئه كي لا أتأخر،

طلبت منها تركي للذهاب لدورة المياه فوافقت علة مضض وأعطتني عشر دقائق ،

ركضت للخارج فوجدت أمي في وجهي تأففت بضيق من محاصرتي هكذا ، تعجبت لخروجي من الغرفة قبل أن أرتدي فستاني فقلت لها أنهم يريدون شيئا هاما وسأذهب لأحضراه على الفور،

حاولت أثنائي عن الأمر وأن تبعث بأحد من بنات خالتي ليبتاع لي هذا الغرض المهم ولكنني حاولت التملص منها قدرت استطاعتي وركضت خارج صالون التجميل أتنفس بعمق وكأنني كنت بداخل سجنا كبير،

أوقفت أول سيارة أجرة مرت أمامي وأسرعت بداخلها نحو عيادة الطبيب ، وصلت لهناك وعل عجل سألت الفتاة هل هناك أحد بالداخل فصدمتني أنني تأخرت لعشرة دقائق كاملة مما جعلها

تدخل حالة قبلي وأنني يجب عليا الجلوس حتى
تخرج من بالداخل ،

لعنت حظي العسر واضطررت للجلوس والانتظار ،
استغرقت الحالة بالدخل لأكثر من نصف الساعة
وأنا أمزق أظافري بتوتر شديد ،
ومن غبائي انني لم أحمل معي سوي محفظتي التي بها
النقود وتركت هاتفي بداخل الحقيبة مؤكد
ستجن أمي !

جاء موعدي بعدما وصلت الساعة للرابعة والعودة
أصبحت مستحيلة ،
دلفت لغرفة الطبيب وجلست بتوتر بالغ لأعرف ما
الذي يجب علي قوله ،
سألني عدة أسئلة جعلتني أقص له عما يحدث
بداخلي تفصيلا ، أسهبت في الحديث وفي البكاء
حتى أوقفني لألتقط بضعا من أنفاسي ،

ناولني كوبا من المياه وعدت بعد عدة دقائق أهدى قليلا ، أكملت له كل ما أشعر به ومخاوفي التي تحاوطني فنصحني :

- ياريت تبطلي تلومي نفسك على غلطه عدت متضيعيش عمرك كله في ندم اللي حصل حصل انهارده فرحك على اللي بتحبيه ،

حاولي تشيلي اي أفكار سلبيه من دماغك وحاولي تتكلمي معاه في كل مخاوفك دي بكل صراحه قبل ما يحصل بينكم أي علاقه وأنا متأكدة أنه هيفهمك ..

أنهيت الجلسة وخرجت وأنا أشعر بقليل من الراحة ولكن نظرة سريعة لساعتي جعلت معدتي تتقلص بألم رهيب فقد أصبحت الخامسة وموعد مصطفى لاصطحابي لعقد القران هو في السادسة ركضت سريعا نحو الشارع الرئيسي وأوقفت سيارة أجرة لتقلني لصالون التجميل ،

مؤكد سأجد أمي تلتف حول نفسها ولكني لم أجد سوى مصطفى الذي يقف أمام الصالون بسيارته لينطلق بها ولكن يبدوا أنه رأني !

أطفئ محرك السيارة وتقدم نحوي بعينان محمرتان بالغضب وأنا أرتعد خوفا منه فهو لم ينظر لي هكذا من قبل !

خرجت من السيارة الأجرة ووقفت أمامه ولكنه لم يتوقف عن الاقتراب مني حتى أمسك بمعصمي وجرني خلفه لسيارته ،

أدخلني من الباب الأمامي وركب في مقعد السائق وأدار السيارة وأنطلق وأنا لم أتفوه بحرف واحد ،

أمسك بهاتفه وضغط زر الاتصال ثم تحدث قائلا :

- ألما معايا يا خالتو ما تخافيش لا كويسه والله خديها معاكي أهيه

ناولني الهاتف دون النظر نحوي فوجدت أمي تصيح على الجانب الأخر لإجابتها سريعا :

- ايوم يا ماما أنا كويسه والله بس روحت مشوار وتأخرت غصب عني هحكيلك بعدين

ثم أنهيت المحادثة ونظرت نحوه وأنا اقول له :

- ماما بتقولي لازم أرجع عشان اجهز الوقت أتأخر

لم يجيبني وأستمر في السير حتى وصل لمكان هادئ نسبيا وأوقف السيارة ثم التفت نحوي وبعينا جامدة سألني :

- كنتي فين ؟!

حاولت الهرب من الأجابة حتى يمر هذا اليوم :

- ممكن أقولك بعد ما اليوم دا يخلص

صرخ بوجهي وهي يمسك مرفقي بقوة حتى كاد أن ينخلع بيده وهو يقول :

- يتحرق اليوم باللي فيه كنت فيبين ؟!

لم أستطيع تخمين ما يفكر به في هذا الوقت أو سبب صراخه بهذا الشكل ولكني أجبته ببساطة متجاهلة ألم مرفقي الذي يشدد عليه :

- كنت عند الدكتور النفسي بتاعي

وكأنه لا يريد سماع المزيد !

ترك معصمي وأعتدل في مجلسه وأدار السيارة وأنطلق عائدا ،

أوصلني حيث صالون التجميل وامرني بالنزول من السيارة وحين ترجلت انطلق بها وذهب ، دلفت

للداخل وتحملت نظرات اللوم من الجميع بالإضافة لوجه أمي الغاضب بشدة واخذتني فتاة الظهيرة مرة أخرى على عجل ،

ارتديت فستاني وانهيت تبرجي وتأخرت ساعة كاملة عن موعدي وأبي وأخي يقفون بالخارج يصيحون بالعاملين وأمي تحاول إرضائهم بالداخل ببعض الأموال حتى لا يخبروا أبي ما حدث اليوم ،

رأيت مصطفى عبر الزجاج الداخلي يقف بالخارج وبيده باقة ورد بيضاء تخطف الأنفاس ، حاولت تطبيق كلام الطبيب وان أوقف أفكار السلبية وأحاول الاستمتاع بهذا اليوم الذي لن يتكرر ثانية ،

وجدته ينظر نحوي بدهشة فابتسمت له وأنا أكاد الهث من أنفاسي المتسارعة ،

وجدت أبي أمامي ينظر لي بفخر وعيناه تتغرغران بدموع رفضت أن تسقط وهي يضمني إليه ويتمتم بالحمد والشكر لله ،

أخذ مرفقي بين يديه وخرجت برفقة أبي يسلمني لمصطفى تحت تصفيق الجميع وتهليلهم ،

أمال أبي رأسه ناحية أذن مصطفى وقال له جملة لم أسمعها ولكني سمعت مصطفى يجيبه :

- في عنيه ياعمي

أخذني من يد أبي وركبنا السيارة التي قادها عمر صديقه وانطلقنا للمسجد لنعقد القران ،

لم يتحدث مصطفى معي ثانية فنظرت نحوه ويدي ما زالت تلتف حول يديه وقلت له :

- أنا أسفه

نظر نحوي بذهول وكأنه لم ينتظر مني اعتذار كهذا ولكنه أجابني :

- أنا كمان أسف

ثم سكت للحظة ألتقط بها أنفاسه ليكمل بعدها

- على كل حاجه يا ألما

ابتسمت له بسعادة فبادلني الابتسامة بأخرى ولكنها ليست كما تمنيت ،

أعادت حوار الطبيب في عقلي وحاولت الا أفكر كثيرا فيما حدث ،

تأملت وجه مصطفى الجميل وبدلته التي زادته وسامة وشعرت بالسعادة أن حبي الوحيد سيكون زوجي بعد عدة دقائق !

وصلنا للمسجد الذي سيقام به عقد القران ، نزلت من السيارة أضع يدي في يد مصطفى حتى دلفنا للداخل ، وجدنا الشيخ ينتظرنا بالمباركات وجلست بجوار أبي ومصطفى قبالتنا ،

وبدأت مراسم عقد القران ومع كل كلمة تجعل مصطفى ملكي وأنا ملكه يكاد قلبي يقفز فرحا ،

كانت أمي بجواري تمسك بيدي وجسدها يهتز من السعادة بينما أنا أفعل مثلها وأخيرا تحقق حلمي وسأكون زوجته رسميا ،

لقد سمع الله ندائي وغفر لي ذنبي !

أنتهى الشيخ وقام الجميع لمباركتي والاحتفاء بي
نظرت لمصطفى من خلف والدتي التي تتلقى التهاني
هي أيضا فوجدته يبتسم للجميع ويمازحهم
للحظات نسيت كل ما حدث ولكنني أعرف
مصطفى أكثر من نفسه لن يظهر سعادته بهذا
الشكل ابدا يبدوا أنه عاد لمصطفى الأول !!

"أما عنه " فهو دائما يبحث عنها "

ارتديت ما وجدته أمامي من الملابس وركضت نحو السيارة وأدرت محركها وانطلقت بأقصى سرعة لي نحو صالون التجميل ، وجدت خالتي تقف بالخارج بتوتر شديد وهي تفرك كفيها وتجوب الشارع ذهابا وإيابا ،

أوقفت السيارة أمامها وترجلت منها مسرعا نحوها :

- أهدي كدا واحكيلي ايه اللي حصل بالظبط

بدأت في البكاء مما جعلني أشعر بالنيران تبتلع داخلي فرددت في نفسي

" توقفي أرجوكِ فأنا لن أحتمل هذا القلق "

وكل ما يدور في عقلي الأن بعدما استبعدت هروبها فور رؤية خالتي أن نزار الكلب عرف بزفافنا وقرر أن ينتقم مني اليوم ،

أوقفتها عن البكاء بشق الأنفس فأخذت نفسا عميقا وقالت لي :

- هي خرجت من الاوضه وقالتلي انها راحه تشتري حاجه البنت اللي بتذوقها عوزها قولت نبعت حد من ولاد خالتك قالت مش ينفع مش هيعرفوا يجيبوا اللي انا عوزاه وخرجت

عادت للبكاء وازداد نشيجها وأنا أكاد اجن من التفكير هل يمكن أن تكون هربت بالفعل ؟!
أتمنى أن يكون الأمر هكذا !

عدت بتركيزي مع خالتي وحاول تهدئتها مرة أخرى على أن تكمل ، فأكملت :

- البنت خرجت بعدها بخمس دقائق تسألني عنها قولتلها مش أنتوا عاوزين حاجه هي راحت تشتريها قالتلي أن ألما قالتلها أنها هتدخل الحمام وترجع ، ثم أردفت وهي تبكي ثانية :

- أنا هموت يامصطفى البنت بقاله زياده عن ساعه ولسه ماجتش

- اهدي يا خالتو وادخلي جوه وهي زمانها جايه ان شاء الله تلاقيها بس تأخرت وهي بتشتري او مالقتش اللي هي عوزاه قريب فاضطرت تروح مكان بعيد

جعلتها تدلف داخل الصالون وأخرجت هاتفي وعلى الفور هاتفت عمر :

- تعالالي حالا عن كوفير ألما وأعمل اتصالاتك وانت جاي عاوز أذن زياره حالا للكلب نزار

ثم أنهيت المكالمة دون انتظار ردا منه وانطلقت بالسيارة نحو المجهول أبحث عنها في كل الأماكن المجاورة وكلمات خالتي تردد بعقلي ، لقد كذبت على الفتاة ومؤكد على خالتي أيضا فأين ذهبت هذه الحمقاء ؟!

كدت أنا أصطدم بأحدهم عندما رن هاتفي باسم عمر ولكني استطعت أن أتمالك نفسي في أخر لحظة !

أجبت عمر على مكبر الصوت الخاص بالسيارة فأخبرني أنه أمام الصالون ومعه ما طلبته ،

ألتفت عائدا بعدما اعتذرت للرجل الذي كدت أن أدهسه وفي بضع دقائق كنت أمام عمر ،

سألني عما حدث فأخبرته بعدما صعد بجواري وأنا أقود باتجاه السجن الرئيسي المحتجز به نزار بعدما أخذ حكم سبع سنوات مع الشغل والنفاذ بتهمة

الاتجار في أموال مزوره بعدما جعلنا الشرطي الذي حقق مع ألما أن يتنازل عن القضية مقابل توقيعها حتى لا يأتي ذكرها في المحكمة وخصوصا أن لا أحد يعلم بالأمر سوانا ،

وصلنا للسجن بعد انتهاء وقت الزيارة بالطبع ولكن الجواب الذي يحمله عمر فتح لنا الأبواب دلفنا للداخل وقابل الشرطي المتفق معها على الزيارة وأدخلنا غرفة جانبية يجلس بها نزار يطالعني بابتسامته المستفزة مما جعلني أنقض عليه بعدة لكمات جعلت عمر والشرطي يكبلونني حتى لا أقتله !

حاول عمر سؤله فنفى معرفته بالأمر بينما أكد لي الشرطي أنه لم يتلقى أي زيارة منذ مجيئه إلى هنا ،

ولكني لم أستطيع تصديقه فبداخل السجن أساليب كثيرة يستطيع بها تنفيذ أي خطة شيطانية !

ومع ضغط عمر عليه مرة أخرى أقسم لنا أنه لم يفعلها وصدقه عمر وأنا أثق بحدس عمر،

أخذني عمر وخرجنا وأنا حالتي مزرية ! فإن لم يكن نزار فأين ذهبت ؟!

ركلت مقدمة السياره بقدمي وأنا أهذي من الجنون ، حاول عمر السيطرة علي فأدخلني العربة وركب مكان السائق وأنطلق نحو صالون التجميل مرة أخرى قائلا :

- خليك هنا يمكن ترجع وانا هدور في المستشفيات واقسام الشرطة يمكن داخت او تعبت وحد نقالها المستشفى

انطلق عمر بسيارته وتركني أقف أستند على سيارتي أنتظر !

أسوء دقائق تمر علي في حياتي حتى يوم اختطافها لم أكن بهذا السوء لأنني كنت أعرف مكانها أما الأن لا أعرف أين هي وهل هي بخير أما ماذا حدث لها ؟!

ااه ألماا ااه ماذا أفعل بك !

أمسكت هاتفي لأتصل على خالتي ولكنني تراجعت فلو عادت كانت خبرتني فلا داعي لأن أزيد قلقها ،

وقبل أن أجن وضعت هاتفي في جيبي ثانية و صعدت للسيارة مرة أخرى وأدرت محركها وقبل أن أنطلق وجدت سيارة أجرة تقف أمامي دققت النظر بداخلها فوجدتها تجلس بالخلف تنظر نحوي بعينان جاحظتان من المفاجأة !

أخرجت هاتفي سريعا وبعثت برسالة صوتيه لعمر مفادها أن ألما عادت ثم أوقفت المحرك وترجلت من السيارة فوجدتها تفتح الباب بجوارها وتخرج منهم وهي ترتعد خوفا وهذا ما جعلي غضبي يتصاعد فلا معنى لخوفها سوى أنها كانت في مكان لا تريد مني معرفته !

اقتربت منها فانكمشت على نفسها ولكنني لم أتوقف وأمسكت بمرفقها أجرها خلفي إلى أن وصلنا للسيارة والدماء تتدفع بداخل رأسي بسرعة البرق !

تأوهت من ضغطي على مرفقها فلم أعيرها اهتماما
وفتحت باب السيارة الأمامي وقذفت بها للداخل
وصعدت في مقعدي وانطلقت بالسيارة لمكان أفرغ
به غضبي منها ،

ولكني تذكرت خالتي فأخرجت الهاتف وحدثتها
فلم تصدقيني في بادئ الأمر فناولت ألما الهاتف وأنا
أحاول السيطرة عما بداخلي وأنا أقود بسرعة
عالية في شوارع مزدحمة ،

لم اسمع ما قالته لوالدتها من حنقي الشديد
ولكنها ألتفت نحوي تقول لي أنا خالتي تريد
عودتنا حتى لا نتأخر على عقد القران ، لم أهتم لما
قالته وكأنه لا يعنيني على الأطلاق كل ما
أحتاج معرفته الأن هو لماذا تركت الجميع يوم
زفافها وإلى أين ذهبت ؟!

أوقفت السيارة سريعا عندما وجدت مكان هادئ
لا يوجد به أناس في هذه الساعة ،

ألتفت نحوها وأنا أحاول قتل شياطيني التي تتحرك أمامي عينيني في الوقت الحالي وقولت له من بين أسناني :

- كنتي فين ؟!

أختض جسدها وأرتعش صوتها وهي تجيبني :

- ممكن أقولك بعد ما اليوم دا يخلص

لا تدري هذه الحمقاء أنها تشعل النيران بداخلي أكثر وأكثر وهي تماطل في الأمر وترتعد بهذا الشكل !

لم أستطيع تمالك نفسي أكثر من ذالك وأمسكت يدها بقوة حتى كادت أن تصرخ ولكني حاولت أن أريها بعضا مما أشعر به فأنا الأن لا يعنيني هذا اليوم :

- يتحرق اليوم باللي فيه كنت فييين ؟!

سكتت لبرهة تحاول تقييم ردة فعلي أو فماذا افكر مما جعلني أضغط أكثر علي معصمها حتى تأوهت بأنين مكتوم ولكنني لست بحالة

جيدة للرأفة بها ، شعرت بغضبي الشديد فأجابتني بأكثر جواب لم أتخيله قط :

- كنت عند الدكتور النفسي بتاعي

ابتلعت ريقي بصعوبة من المفاجأة ولم أجد فعليا ما أقوله ، تركت يدها وأدرت محرك السيارة عائدا لصالون التجميل وعقلي يضج بأفكار تكاد تفتك به وأهمها هل ذهبت له لتعرف ما الذي عليها فعله معي الليلة !!

أوانها لا تريد مني أن أقترب منها فلذلك تركت كل شيء وذهبت لتأخذ مشورته ؟!

حاولت أخماد ما يحدث بداخلي قليلا حتى يمر هذا اليوم وبعدها سأعرف ما الذي يجب علي فعله ،

أوصلتها لصالون التجميل وطلبت منها النزول وانطلقت عائدا للمنزل فقد أقترب موعد المأذون ولم أرتدي بدلتي بعد ،

وجدت أبي ينتظرني وهو غاضب لأنني اختفيت دون
أن أخبرهم عن مكاني وحاولي الاتصال بي عدة
مرات وأنا لم اجيب ،

اعتذرت منه وسألت على أمي فأخبرني أنهم ذهبوا
لألما ، دلفت لغرفتي ومن حسن حظي أن ملابسي
جاهزة في دولابي ،

دخلت لدورة المياه لأتم استحمامي وخرجت بعد
عدة دقائق وجدت عمر ينتظرني ليأخذ مني
مفاتيح السيارة ليذهب بها للتزيين أخبرته أن
ينتظر قليلا لأنني أريد شراء باقة ورد لألما ،

ارتديت ملابسي سريعا وقاد عمر لمحل زهور كبير
فزين لنا الرجل السيارة واخترت بعناية باقة ورد
بيضاء أثق أنها ستعجب ألما كثيرا ،

انتهينا وعدنا لصالون التجميل وجدت والد ألما
وشادي يقفون بالخارج ويصرخون بالعاملين على
التأخير ،

حين رآني الاثنان صرخ بي على تأخري ولكني
حاولت تهدئة الأمور وأخبرت والدها أن المأذون

سيتأخر قليلا لم يقتنع والدها وظل يصيح بي تارة وبالعاملين في الصالون تارة أخرى ، تدخل عمر وأنهى هذا الشجار وأخذ والدها وابتعدا قليلا عن مكاني ،

زفرت بضيق وأنا أنظر لأسفل ولكنني نسيت كل ما حدث فور رؤيتها بفستان الزفاف من خلف الزجاج ،

يا ألهي كما رأيتها في حلمي تماما !

ارتفعت نبضات قلبي وتسارعت حين وجدتها تبتسم لي !

وقبل أن أبدي أي ردة فعل رأيت والدها من خلف الزجاج يحتضنها ثم أمسك بيده يتأبطوا وهو يخرج من بابا الصالون ،

بخطوات متسارعة خطوت نحوهم فوجدت والدها يمسك بيدها ويسلمها لي

شعرت وقتها بشيء ينغز قلبي بشدة وازداد الأمر سوء عندما أمال والدها رأسه بجواري قائلا :

- أنت دلوقتي أبوها وأخوها وكل حياتها حافظ عليها يا ابني دي أمانتي وسلمتهالك

لم أجد كلمات أستطيع بها إجابته وتعرقت يداي من التوتر فتمتمت بأول جملة ظهرت في عقلي :

- في عنيه ياعمي

امسكت بيدها المرتعشة بين يدي ودلفنا داخل السيارة وكلمات والدها تكاد تصم أذني ! هل سأستطيع بالفعل المحافظة عليها ؟!

وكيف ذلك وأنا لم أفعلها من قبل !

لم أشعر بها وهي تنظر نحوي ولكني سمعتها وهي تقول لي بندم شديد :

- أنا أسفه

نظرت نحوها بتعجب فكيف تفهمني لهذا الحد هذا مكنت أبحث عنه بالضبط الاعتذار ولكن هل سيفي بالغرض ؟!

لم أفكر كثيرا وقلت لها :

- أنا كمان أسف

صمت لبرهة ثم أكملت :

- على كل حاجه يا ألما

ابتسمت لي بصفاء فبادلتها الابتسامة وأحساسي بالذنب يزداد كلما تذكرت كلمات والدها ،

أنطلق عمر بالسيارة وأنا لا أشعر بالسعادة كما كنت أظن على عكس ألما التي شعرت أنها أكثر سعادة مما مضى لهذا حاولت إظهار ما يجب علي إظهاره أمام الجميع فهذا دائما ما أبرع به !

جلسنا حول المنضدة والمأذون أمامنا وأسوء ما حدث هو وضع يدي بيد والدها يا ألهي كم هذا قاسيا !

تمتمت خلف المأذون ما أمرني به وكذلك والدها وهو يبتسم بسعادة كبيرة أجبرني بها أن أفتح فمي بابتسامة أكبر ولكن ما يحدث بداخلي فهو بعيدا كل البعد عن السعادة أو حتي يقترب منها ،

انتهينا من وأعلن الشيخ أتمام الزواج رسميا وانتقلنا لمرحلة التهاني والمباركة وبعدها سننطلق نحو قاعة الزفاف حتى أجلس عدة ساعات اخرى أحاول بها إظهار سعادتي الغامرة بهذا اليوم الذي لن يتكرر في حياتي !!

الدرجة الرابعة عشر والأخيرة....

الهيام :

هو أعلى درجات الحب وأعظمها، ويعني الوصول لمرحلة الجنون الخالص من كثرة الحب والعشق. هذا الغرام إذا تطور والمحبوب تدلل على الحبيب ولم يستجب له واضطرمت النار في أحشاء المحب يؤدي هذا إلى الهيام....

"بقربه تتحقق دوما السعادة الأبدية "

انتهى الزفاف كما يجب أن يكون لقد أتقن مصطفى دوره تماما حتى أنني في بعض الأوقات كدت أن أصدقه ولكن تجنبه للحديث معي كلما ابتعد الناس عن مرماننا جعلني اتأكد أن كل ما يحدث الليلة هو تمثيل بارع !

قام الجميع بتحيتنا بعد انتهاء الحفل وقمنا بتحية الجميع ثم صعدت للسيارة ومصطفى يجلس بجواري وخلفنا أبي وأمي وشادي في السيارة الاخرى جاءوا ليودعوني،

أنطلق عمر نحو المنزل ونظرت عبر زجاج السيارة أتذكر ما حدث عندما

صعدنا على المسرح الكبير وتم تشغيل موسيقى رومانسية على مكبر الصوت وطلب منا منظم الحفل أن نرقص سويا انتظرت رفض مصطفى ولكنه وافق بابتسامة عريضة وأقترب مني يمسك خصري ومازالت ابتسامته المزيفة ترتسم على شفتيه وهو ينظر نحوي بعينان خاليتان من أي تعبير،

وضعت يدي حول رقبته واقتربت أكثر منه وهمست له متسائلة :

-في ايه مالك ؟ !

اجابني بهدوء ظاهري :

-مالي!

زفرت بضيق وأنا احاول صياغة السؤال بطريقة مختلفة :

-أنت مش طبيعي يا مصطفى واوعى تفتكرني هصدق التمثيلية الساذجة اللي عمال تعملها دي

اتسعت ابتسامته أكثر ثم أجابني :

-بما إنك عارفه أنها تمثليه يبقى خلينا نكملها على خير يا ألما أرجوكِ

تجمعت العبرات بمقلتي وأنا احاول التحكم بها حتى لا تسقط أمام الناس ولكني قاومت وكلمات الطبيب تردد في عقلي الأن ، مما جعلني أتسأل بحزن شديد :

-ليه بتعمل كدا أنا عملت إيه؟ !

أبعد رأسه عن أذني ونظر لعيني بأسي مجيبا :

-أنا اللي عملت يا ألما مش أنتي وأنا عارف أنك تستهلي أحسن مني

انتهت الموسيقى وصفق الجميع على هذا العرض المغري وعدنا لنجلس مرة أخرى،

عدت من شرودي على صوته وهو يمسك يدي قائلاً :

-سرحانه في إيه؟ !

أجابته وأنا ما زلت أنظر عبر زجاج السيارة :

-كنت بفكر في كلامك

رأيت تعبيرات وجهه على النافذة أمامي وهو يُغمض عينيه بألم ثم أقترب مني هامساً :

-ما تقلقيش أنا لقيت حل هيرضينا احنا الاتنين

ثم ترك يدي وأعتدل في مجلسه فالتفت أنظر إليه بتعجب وقبل أن أتسأل عما يدور بعقله توقف عمر أمام منزلي الجديد !

نظرت للبوابة الخارجية وتنهدت بأسى وأنا أتذكر تلك الليلة، ترجل مصطفى من الجانب الآخر والتف تجاهي يفتح لي باب السيارة ويمد لي يده،

امسكت بيده ونزلت من السيارة والتف حولنا أمي وأبي وأخي ومن بعدهم انضمت خالتي وزوجها ومروه سلمت على الجميع واخرهم أمي التي احتضنتني بشدة ثم همست في اذني :

-خليكي هاديه وعاقله كدا ما تخافيش

-ثم ختمت جملتها بقبلة على وجنتي وهي تعدني أنها ستأتي غدا في الصباح لتطمئن علي، هززت رأسي إيجابا وأنا أسخر من نفسي فوالدتي تظنني عذراء وكل ما أعانيه من توتر وقلق هو بسبب " ليلة الدخلة "

نظرت نحو مصطفى الذي يبتسم هو الأخر بسخرية ووالده يتحدث معه بصوت خفيض، مما جعلني أتسأل بيني وبين نفسي

" ما هذه المهزلة التي أعيشها؟ " !

غادر الجميع ودخلت عبر البوابة الحديدية ويدي بيد مصطفي يتبعنا خالتي وزوجها ومروه، نظرت لباب شقتي فوجدته تبدل !

لقد بدله مصطفى بآخر، وقبل أن أسترسل بأفكاري احتضنتني خالتي ومروه وزوج خالتي الذي قبل جبهتي بعطف أبوي وهو يقول لي :

-الواد دا لو زعلك بس تعالي قوليلي

ابتسمت له ودعوت له بالعمر المديد ودلفت للداخل يتبعني مصطفى، جحظت عيناي وأنا أنظر للشقة التي أصبحت مختلفة تماما عما كانت !

مما جعلني أردد في ذهول :

-مش معقول

أغلق مصطفى الباب خلفه وأقترب مني قائلا :

-عشان كدا حذرتك تيجي قبل يوم الفرح كنت عاوز اعملهالك مفاجأة

التفت نحوه فوجدته ينظر لي بحزن بالغ جعل قلبي ينقبض ألما

ابتلعت ريقي بصعوبة وجلست على أقرب مقعد بجواري وأنا أدعوه للجلوس وكل ذرة بداخلي تصر بشدة على الحديث معه في كل ما حدث

معنا ،

أطاعني مصطفى و خلع معطفه ورابطة عنقه وحل أزرار قميصه العلوية فبان جزء من صدره العريض ، ابتلعت ريقي بصعوبة بالغة وأشحت نظري عنه فجلس على المقعد أمامي وهو يشمر عن ساعديه البارزان المقسمان بالعضلات فتشتت ذهني عما كنت أريد قوله ولكنني حاولت أن أستعيد تركيزي حين أنحني يستند على ركبتيه قائلا لي :

-أنا ظلمتك قبل كدا يا ألما ومش عاوز ولا هقدر أظلمك تاني

ضممت حاجبي ثم تسألت:

-بمعنى؟ !

أخذ نفسا عميقا وأشاح بنظره بعيدا ثم أجابني :

-مش عارف !

زفرت بضيق ووقفت وأنا أنوي التوجه لغرفة النوم الرئيسية لأخلع عني هذا الفستان الثقيل وأبتعد من أمامه حتي يفكر جيدا فيما يريده هل

حقا مازال يحبني أم أنه لن يخرج من دائرة الذنب هذه للأبد !

أوقفني يقترب مني ليسألني إلى أين فأخبرته أنني أريد تبديل ملابسي وسأتركه قليلا ليفكر فيما يريده ويخبرني بقراره النهائي ،

ولكنه ألقى الكلمات في وجهي كالرصاص :

-احنا لازم ننفصل بعد فتره

زادت حدة تنفسي من المفاجأة وفقدت كل الكلمات التي كنت انوي أنا أقذفها في وجهه ، ثم حاربت لأخرج جملة واحدة من فمي :

-زي ما تحب

عاد لمجلسه كما كان وأنا أمضيت في طريقي حتى غرفة النوم الرئيسية وعندما دلفت بداخلها بدأت تهاجمني ومضات مما قضينها سويا على فراشه أنتفض قلبي بداخلي يأن باشتياق بينما أغمضت عيني وأنا أنفض رأسي من هذه الذكريات

التي تجعلني أهيم به عشقا غافلة عما يفعله بي
منذ ذالك اليوم ، ختاما بقرار الانفصال الذي جعل
كل ما كنت أحلم به سراب ، فأنا أشعر انني في
صحراء قاحلة أموت ظمأ وكلما رأيت سرابا
حسبته ماء وركضت نحوه فلا أجده شيء !

جلست على الفراش امرر كفي عليه ببطئ وقلبي
يشتعل بداخلي وأنا أتذكر رقته الشديدة معي
ولطفه الزائد ولمساته الحنونة الهادئة مما جعلني
اقف بغضب أزيل طرحتي بعنف شديد وأخلع
فستاني بحنق أشد وأقذف بهم بعيدا في ركن من
أركان الغرفة ،

نظرت لقميص نومي الأبيض المفرود على الفراش
بإتقان وبجواره منامة من الستان الناعم لمصطفى
صككت أسناني بغيظ وأمسكت بالقميص
الحريري ذو الملمس الناعم وأنا أتذكر والدتي وهي
تناديني حتى أراه ولكني أشحت بنظري عنه
وتركتها متعللة بشيء هام ،

ضحكت أمي وهي تتخيل أنني أشعر بالحرج !

عند هذه النقطة رفعت القميص عاليا وقمت
بشقه نصفين وقذفت به ناحية فستان زفافي ،

توجهت ناحية الخزانة وأخذت منامة قطنيه سوداء
اللون بها نجوم بيضاء بنطالها طويل وذو ستره
فضفاضة بأكمام طويله ارتديتها سريعا وصففت
شعري ثم عقدته للخلف برابطة سوداء أيضا تشبه
ليلتي الأولى ثم خرجت من الغرفة بتجاه دورة المياه
تاركة الغرفة لمصطفى ليبدل ثيابه،

سمعت خطواته تقترب فدلفت لدورة المياه وأغلقتها
خلفي ووقفت أمام صنبور المياه لأغمر وجهي بالماء
والحزن يفتك بي وأنا أتحسر على ليلة كم تمنيتها
وحلمت بها،

سقطت دموعي عنوة وخارت قواي وأصبحت قدماي
مثل الهلام ولم أعد أستطيع الوقوف !

جلست على الأرضية الباردة وأجهشت في البكاء
وشعوري بقلة حيلتي يزداد حتى وصل للحد
الأقصى ، تركت جسدي يهوى ويستند على
الحائط خلفي بينما وضعت كفي على رأسي
وتركت العنان لشهقاتي التي ارتفعت حتى جاء
مصطفى يطرق الباب وهو يحاول ألا يرفع صوته
عاليا حتى لا يسمعنا والديه ،

ترجاني حتى أخرج وهو لا يعلم أنني لا أستطيع
الوقوف على قدمي مرة أخرى، لسوء حظي أنني لم
أغلق الباب من الداخل مما جعل مصطفى يفتحه
سريعا ويركض نحوي،

حاول تهدئتي دون جدوى فأنا قد انفصلت تماما عن
واقعي ولم أعد أسمع صوته، حملني بين يديه
ووضعني على الفراش وركض للخارج وشهقاتي
بدأت تعلوا غطيت وجهي بكفي وأنا أحاول
التوقف ولكني لا أستطيع وكأن عقلي يأبي أن
يوقف نوبة حزنه المستمرة !

شعرت بيد مصطفى على كفي يحاول إزاحته وهو يناولني كوب من الماء قائلا :

-أشربي يا ألما واهدي أرجوكِ

حركت رأسي يمينا ويسارا برفض وأنا في قمة خجلي من أن يراني في هذه الحالة المزرية، تمنيت لو تركني بمفردي وذهب وحين شعرت بالفراش يتحرك وهو يبتعد عني وبرغم حزني أنه سيتركني إلا أنني ارتحت قليلا متناقدات كثيرة تجتاحني ولكن مفاجأتي مما حدث كنت أكبر من أي شعور أخر!

لقد أمسك مصطفى بكتفي وجعلني ألتصق بصدره رفعت كفي عن وجهي وتسمر جسدي مكانه بينما جحظت عيناي من المفاجأة، سمعت نبضات قلبه ترتفع لتصم أذني ويداه ترتعشان وهو يطوقني بهما ويستند بذقنه على رأسي ،

ظللت هكذا على وضعي وجسدي ما زال يرتعد بين يديه ولكني فقدت رغبتي بالبكاء وتوقفت شهقاتي تماما وأنا على صدره ،

بالفعل هذا ما كنت أحتاجه وأنا على استعداد الأن أن أدفع ما تبقى من حياتي مقابل أن أظل هنا !

تحركت من بين يده أخرج ذراعي ثم لفتتهم حوله وتشبثت به كطفلة صغيرة كانت تائهة ووجدت والدها بعدما ذاقت مرار الفراق ،

ظللت هكذا على حالتي حتى غفوت على صدره ، استيقظت على إشاعة الشمس وهي تداعب وجهي بدفئها المحبب ، بحثت بعيناي عن مصطفى فلم أجده بجواري ، لقد وضعني على الفراش ودثرني بالغطاء وتركني وذهب؟ !

بدأ الغضب يتسلل لداخلي ولكني وجدته يدخل من باب الغرفة وهو ينادي بإسمي ولكنه توقف حين وجدني جالسه يبدوا أن تفاجأ بي مستيقظة ،

نظر نحوي ثم ابتسم بهدوء قائلا :

-صباح الخير

لم ابادله الصباح قبل أن أسأله :

-أنت نمت فين امبارح؟ !

توقف للحظات متفاجأ من سؤالي ولكنه أجابني بتلكؤ وكأنه يختبر رد فعلي :

نمت هناك

ثم أشار على جانبي من الفراش ، نظرت لموضع اشارته ووضعت كفي عليه ثم نظرت نحوه قائلة بخجل:

-جنبي يعني؟ !

اقترب مني بهدوء ثم انحني وهو يستند على حافة الفراش بجواري ينظر لعمق عيني قائلا :

-عندك اعتراض؟ !

هززت رأسي نفيا وقلبي يهدر بداخلي من قربه فأكمل وهو يعتدل:

-طيب يلا فوقي عشان نفطر

وقبل ان يغادر الغرفة سألني:

-شاي ولا نسكافيه

حاولت استعادت انفاسي وانا اهمس له :

-نسكافيه

ظننت انه لم يسمعني ولكنه خرج من الغرفة دون ان يسألني مرة أخرى،

تنفست براحة وانا اتخيل مصطفى وهو نائم بجواري، شعرت بنيران تحرق وجهي من الخجل، توقفت عند كلمة خجل ! ثم تساءلت ممن؟! من مصطفى الذي سلمته نفسي عندما لمس شفتاي بقبلة لأول مرة؟ !

شعرت بالدموع توخز عيناي فا انتفضت واقفة ثم توجهت لدورة المياه، وضعت الماء البارد على وجهي وتمنيت نسيان ما حدث ولو لوقت بسيط،

خرجت بعدما طرق مصطفى الباب ليقابلني وهو يضم حاجبيه قائلا :

-أنا خلاص هقع من الجوع يا هانم انا بفطر الساعه ٩ شوفيها بقت كام

ابتسمت على حنقه المصطنع :

-طب يلا بينا

خطوت امامه حتى وصلت لطاولة
الطعام متفاجئة من الاطباق الموضوعة باهتمام
تحوي اصنافا كثيره مرتبة بشكل جميل،
تعجبت من قدرته على تحضير الطعام بهذا
الشكل، يبدوا انه لاحظ ملامحي المتفاجئة فقال
لي وهي يجر المقعد من مكانه ويدعوني للجلوس
:

-ما تستغربيش انا ما بعرفش اكل اي اكل

ثم غمز لي بعينه وهو يجلس موضعه ليكمل :

-هتعبك جامد يعني

تناولت بضع لقيمات وأنا اتجنب النظر نحوه ثم
احتسيت فنجاني الذي احضره لي واستمرينا
هكذا لعدة دقائق دون حديث وكأننا لا نجد من
الكلمات ما يعبر عن حالنا ،

انتهينا من وجبة الفطار فنهضت لأحمل اطباق الطعام ساعدني هو على حملها ووضعنها على طاولة المطبخ هممت أنا بالخروج فاصطدمت به وهو يحمل اكواب النسكافيه رفعت رأسي لأعتذر له فوجدته ينظر لعيناي بطريقة جديدة لم أعهدها منه هربت كلمات اعتذاري ووقفت لثواني ابادله النظرات فوجدته يتنحى جانبا لكي أمر،

خطوت خطوة واحدة وحين وليته ظهري توقفت والتفت نحوه فوجدته يضع الأكواب بداخل الحوض لم أتردد كثيرا وأنا أقول له :

-أنا مش عاوزه اسيبك يا مصطفى

نظر نحوي متفاجأ ثم ترك ما في يده واقترب مني ثم امسك بكفي لأتبعه، سرت خلفه حتى وصلنا لغرفة الجلوس ، اجلسني بجواره على الاريكة

ثم واجهني قائلا:

-هتصدقيني لو قولتلك ولا انا هقدر اعيش من غيرك

كدت أن أتحدث ولكنه اوقفني ليكمل:

-بس أنا كدا هظلمك بجد

لم أتحمل وسحبت يدي من بين يديه وصرخت به :

-كل شويه تقولي هظلمك هتظلمني ازاي ؟ !

انفجر في وجهي هادرا :

-مش هقدر المسك تاني وقولتلك كدا من زمان افهمي بقى

ثم هرب من امامي كعادته !

الجمتني المفاجأة وتذكرت رسالته التي ارسلها لي يوم خطبتنا ذهبت نحوه وامسكت بمعصمه ألفه نحوي قائلة :

-وانا مش عاوزه منك حاجه انا عاوزه بس افضل جنبك

هز رأسه نفيا وهو يردد :

-مش هقدر اعلقك كدا ! كفاية اني كنت قذر وندل معاكي ما ينفعش اكمل اناني يا ألما ،

بدأت دموعي بالتساقط ثانية وجلست على المقعد خلفي فجلس على ركبتيه بجوار قدمي وامسك وجهي بين كفيه قائلا :

-والله بحبك ونفسي اخرج من احساسي بالذنب نحيتك انا بموت يا ألما بجد انتي مش حاسه بيا انا مش عارفه اعمل حاجه في نفسي انا من يوم اللي حصل وانا بتعذب بس لدرجة اني حاسس بالعجز قدامك نفسي اسعدك ونعيش زي الناس بس غصب عني مش قادر ،

ثم ترك وجهي وهم واقفا فوقفت أمامه وعقلي يضج بأفكار كثيره ولكن هناك واحدة استطع ان انطق بها :

-انا وانت محتاجين مساعده

-نظري لي بحيرة فأكملت :

-تعال نروح للدكتور النفسي اللي كنت عنده امبارح وانا متأكدة انه هيقدر يساعدنا نتخطى اللي حصل

حرك رأسه برفض فأصررت عليه :

-عشان خطري يا مصطفى لو بجد بتحبني وعاوزنا نكمل مع بعض وب..

طرقات على الباب الخارجي جعلتني اتوقف عن الحديث وصوت امي يأتني من الخارج، تركت يده ليقوم هو باستقبالهم وركضت نحو دورة المياه اغسل وجهي من البكاء واغير ثيابي المزرية هذه ،

ارتديت عباءة فاتحة اللون وحاولت اخفاء انتفاخ عيني ببعض من ادوات التجميل ووجدت امي تطرق على باب الغرفة ، اذنت لها بالدخول وأنا اسرع فيما افعله في وجهي حين دلفت من باب الغرفة هاجمتني نوبة بكاء اخرى ولكني استطعت السيطرة عليها حين احتضنتني بابتسامة جميلة وهي تقول لي :

-عامله إيه يا قلب ماما

حاولت رسم ابتسامة تبدوا مريحة فصدقتها امي وهي تغمز لي، نظرت بوجهي للأسفل وانا اقول لها :

-الحمد لله يا ماما

ثم خطوت للخارج لأكمل :

-بابا بره وشادي؟ !

تبعتني وهي تقول :

-ايوه بره ومستنينك

خرجت لمقابلتهم وانا سعيدة بوجودهم معي وانضمت لنا بعد قليل عائلة مصطفى فجلسنا جميعا نتحدث عن الزفاف وما حدث به وانا وهو نختلس الانظار الحزينة من حولهم حتى مر الوقت ورحل الجميع بالترتيب،

انفردنا سويا ولكني وجدته يدلف للغرفة يخلع ثيابه ، حولت وجهي لجهة أخرى وسألته بتردد :

-انت خارج؟ !

اجابني وهو يزرر قميصه :

-ايوه ، محتاجه حاجه من بره؟ !

شعرت بقليل من الغضب سيتركني في يومنا الاول معا ولم ننتهي بعد من حديثنا فقلت له بحدة :

-احنا مخلصناش كلمنا لسه

انهى ارتداء ملابسه واقترب نحوي قائلا :

-لما أرجع نكمل كلامنا

ثم خرج من أمامي ورحل عن الشقة بأكملها، بارع هو في الهروب من كل ما يقابلنا منذ اول يوم حدث فيه ما حدث وهو يستمر بالهروب مرة تلو الأخرى !

لقد سئمت من كوني بمفردي هكذا ، ولكني يجب أن أعتاد الأمر، ارتديت منامة اخرى وقذفت بالسوداء في سلة الملابس المتسخة وذهبت للغرفة اجلس بها وانا ادير التلفاز ولكني تذكرت ان رقم الطبيب النفسي معي فخطرت لي فكرة الاتصال به واستشارته بالأمر،

امسكت بهاتفي وضغط زر الاتصال وظللت ادعوا الله ان يجيبني ، واستجاب لي ربي اجاب الطبيب بتساؤل فأجبته وذكرته بي ولحسن حظي انني لم امضي كثيرا من الوقت فقد كنت في عيادته بالأمس ،

قصصته له ما حدث اختصارا وشرحت له حالة مصطفى بعبارات حاولت تجميلها ولكني تعجبت من تقبله للأمر وهو يخبرني انا ما يفعله مصطفى طبيعيا جدا من رجلا مثله   !

حاولت أن أفهم معنى طبيعيا ولكنه لم يشرح لي أكثر من ذلك وطلب مني مقابلته بمفرده، وافقت ووعدته انني سأحاول اقناعه واغلقت الهاتف وانا أفكر في كلمتي ، طبيعي ومثله   !

مرت ساعة كاملة ومصطفى لم يعود وشعور بالملل بدأ يتسرب لي فأمسكت هاتفي لأتحدث معه كي يعود ولكني تركته مرة اخرى فلن افرض نفسي عليه ثانية سأتركه كما يريد،

لحظات وسمعته يفتح باب الشقة ، شعرت بسعادة لم اشعر بها من زمن كبير وازدادت سعادتي حين ناداني من الخارج، لم أشعر بقدمي وهما يهرولان نحوه وأنا أحاول السيطرة على مشاعري ،

وقفت امامه فوجدته يلوح لي كيس بلاستيكي، ضممت حاجبي فناولني اياها ، فتحتها فوجدتها تحوي الكثير من الشكولاتة والحلويات ومياه غازيه من النوع الذي اعشقه فنظرت نحوه بتعجب كيف يعرف انني احب هذه الانواع وقبل انا اسأله ناولني علبة كبيرة ورقيه وهو يقول :

-هغير واجيلك ناكل سوا

لم استطيع الانتظار كي افتحها فشهقت وانا اقول :

-شاورما!!

عدت لغرفة الجلوس ووضعت الكيس والعلبة على المنضدة ووقفت انتظره ولم يتأخر وجدته يقف امامي ثم تخطاني يتوجه نحو المنضدة وهو يقول لي :

-يلا ناكل

التفت نحوه وانا اقول :

-عرفت منين اني بحب الحاجات دي بالذات؟ !

اجابني وهو يناولني شطيرتي:

-استعنت بصديق

رددت بتعجب وأنا أخذه منه :

-شادي اللي قالك؟ !

حرك رأسه إيجابا فجلس وجلست بجواره قائلة وأنا أقضم قضمتي الأولى :

-شكرا لأنك اهتميت تجيب اللي بحبه

نظر نحوي بابتسامته المعتادة ثم قال لي :

-شكرا لأنك معايا

تسارعت دقات قلبي وتوقفت عن الطعام وهمست له :

-وهفضل طول العمر معاك

احني رأسه بجواري حتى اقترب من أذني يهمس لي هو الاخر :

-وأنا قررت أروح للدكتور بتاعك

كدت أن اقوم من مكاني اقفز فرحا ولكنني
تركت ما بيدي من طعام وارتميت في أحضانه وأنا
اقول له :

-بحبك جداا بقى

علت ضحكته وهو يشدد من احتضاني قائلاً :

-وانا كمان

ابتعدت عنه انظر له باستنكار قائلة :

-وانت كمان ايه؟ !

مال على أذني هامسا :

-بحبك يا أجمل ما شافت عيني

تعالت نبضات قلبي عشقا بهذا الرجل الذي احببته
منذ عرفت معنى الحب وعشقته منذ ان وقعت عيني
عليه وأنا طفله سأظل أحارب معه وسأريح
معركتي الأخيرة وسوف يكون لي وحدي في
النهاية ولكن الأن

"صبرا جميلا "

****

****

أما عنه - فما زال يحاول الاقتراب منها "

جلسنا على مقعدين مخصصين لنا في وسط
القاعة بعد الاستقبال المعتاد لأي عروسين ، حاولت
رسم ابتسامة على وجهي تخفي ما يدور في عقلي
يجعلني أتمزق ألما وأنا أفكر ماذا سيحدث الليلة !
قام منظم الحفل بدعوتنا على المسرح حتى نرقص
سويا على نغمات هادئة ورومانسية ،

ابتسمت نحو الرجل وقمت اخطو نحو المسرح و أنا
أمسك بيد ألما التي ترتعد بجواري وأنا ألعن نفسي
ألف مرة على فعلتي معها، أمسكت بخصرها
وتظاهرت بالسعادة التي تبعد عني بُعد المشرق
والمغرب وقمت بخطوات هادئة تتبعني فيها ألما
وبداخلي تعصف أمواج الندم وأنا أتخيل هذه الليلة
وكلمة - لو- تكاد تنفجر في رأسي من كثرة
ترددها،

وضعت ألما يدها حول رقبتي فقشعر بدني من لمستها ولكني تحاملت على نفسي فاقتربت مني هامسة :

-في ايه مالك ؟ !

اجابتها بنفس الابتسامة التي ايقنت انها اصبحت بلهاء من كثرة استخدامها على وجهي :

-مالي !

زفرت بضيق وانتفخ وجهها محتقنا وهي تقول :

-أنت مش طبيعي يا مصطفى واوعى تفتكرني هصدق التمثيلية الساذجة اللي عمال تعملها دي

كنت أعلم جيدا أنها تفهمني وابتسامتي البلهاء لن تجدي نفعا معها لذلك بالغت بها لكي لا يلحظ أحدا حديثنا ثم اجابتها بهدوء :

-بما إنك عارفه أنها تمثليه يبقى خلينا نكملها على خير يا ألما أرجوكِ

امتلأت عينيها بدموع سجنتها عنوة خلف قضبان رموشها الكثيفة مما جعلني اشعر بالندم على ما تفوهت به وبحزن بالغ تساءلت :

-ليه بتعمل كدا أنا عملت إيه؟ !

طعنتني بسؤالها البريء وازاد ألمي أضعاف فنظرت نحو عينيها الحزينتين احاول أن أحمل عنها شعورها بالذنب تجاهي قائلاً :

-أنا اللي عملت يا ألما مش انتي وأنا عارف أنك تستهلي أحسن مني

انتهت الموسيقى مع اخر جملة لي وعدنا لمقاعدنا ، التزمت الصمت المدة الباقية من الحفل ولم تعاود الحديث معي مرة أخرى ، انتهى الوقت المحدد للزفاف وقام الجميع بتهنئتنا وامسكت بيدها لنخرج من القاعة، صعدنا للسيارة والتفتت تنظر نحو الزجاج شاردة التهيت مع عمر في حديث جانبي قبل ان ينطلق بنا نحو المنزل ،

دقائق مرت حتى اجتمعت عائلتي وعائلتها كلا في سيارته وانطلق عمر بنا، نظرت نحوها فوجدتها مازالت شاردة ، تردد للحظات قبل ان المس يدها ولكن ضعفي امامها جعلني أفعلها وانا اسألها :

-سرحانه في إيه؟ !

أجابتني وهي ما زالت على وضعها ولم تلتفت نحوي :

-كنت بفكر في كلامك

اغمضت عيني بألم وصراعي الداخلي يشتد على أخره وانا أخبرها :

ما تقلقيش أنا لقيت حل هيرضينا احنا الاتنين

تركت يدها ونظرت أمامي وانا أري منزلنا ، توقف عمر امام البوابة الكبيرة ، ترجلت من موضعي ودرت حول السيارة لأساعد ألما على النزول ، فبقدر ما لفساتين الزفاف من بهجة خاصة إلا أنها تعد لعنة في التحرك بداخلها، رددت بهمس وأنا أمد يدي إليها :

-الله يكون في عونك والله بتتحركي بالبتاع دا ازاي

امسكت بيدي وهي ترفع جانب شفتيها بتهكم واضح ونزلت من السيارة التف حولنا الجميع وانتهت بوالدتها التي احتضنتها واخذت خطوتين بعيدا عني ، مما جعل أبي يستغل هذه المسافة ويهمس في أذني   :

-براحه على البنت ومتبقاش غشيم

اطلقت ضحكة جعلت الجميع ينظر نحوي مما أشعر والدي بالخجل فاعتذرت منه على الفور ولم اطيل الأمر لما به من سخرية شديدة،

غادر الجميع واخرهم عمر الذي احتضنني ثم نظر لي نظرة لها معاني كثيرة اعرفها جيدا،

دلفت عبر البوابة الحديدية وانا امسك بيد ألما وقلبي يكاد يخرج من صدري خوفا من القادم،

اوقفتنا أمي على باب شقتنا واحتضنت ألما بحب كبير وبعد ان انتهت سلمتها لمروه التي بدورها تركتها لأبي الذي قبل جبينها قائلا :

-الواد دا لو زعلك بس تعالي قوليلي

ابتسمت له ألما ودعت له وهي على اعتاب الشقة فدلفت واتبعتها فوجدتها تقف متسمرة وهي تردد :

-مش معقول

أغلقت الباب خلفي بعدما صعدت عائلتي واقتربت منها وانا ابتسم على مظهرها المتعجب:

-عشان كدا حذرتك تيجي قبل يوم الفرح كنت عاوز اعملهالك مفاجأة

ظلت تلتفت يمينا ويسارا تتطلع لكل زاوية في الغرفة الرئيسية وأنا أنظر نحوها وأتذكر كل ما حدث ليلتها !

ملامح الحزن والأسى ارتسمت جلية على وجهي كلما ومض عقلي بمشاهد تذكرتها ألااف المرات منذ حدثت،

نظرت ألما نحوي وقد أظلمت عيناها الزرقاء بحسرة أثقلتها فوق الهم هما،

جعلتها لا تستطيع الوقوف أكثر من ذالك فجلست على المقعد خلفها وهي تقول لي :

-جه الوقت اللي لازم نتكلم فيه عن اللي حصل

جلست بالقرب منها بعدما خلعت معطفي ورابطة عنقي بنزق شديد وكأن ملابسي تقوم بخنقي حتى أنني لا أستطيع التنفس بشكل صحيح فرفعت القميص عن ساعدي في محاولة لا لهاء نفسي عن النظر نحوها ثم انحنيت حتى لا اوجهها بكلماتي التي خرجت من فمي بأعجوبة:

-أنا ظلمتك قبل كدا يا ألما ومش عاوز ولا هقدر أظلمك تاني

تسألت بأنفاس تكاد تكون متقطعة:

-بمعنى؟ !

أخذت نفسا عميقا حتى لا أختنق أثر كلماتي المحشورة في حلقي وبقلة حيلة عبرت عنها بكلمة واحدة دون النظر إليها :

-مش عارف !

انتفضت اثرها ألما وابتعدت عني عدة خطوات فركضت خلفها أسألها بتردد :

-راحه فين؟ !

أجابتني بكلمات مقتضبة وسريعة كأنها تهرب مني :

-هغير هدومي

عقدت النية على ان أحلها من أي رابط يربطنا سويا واخرجت الكلمات بدون تدقيق او تفكير :

-احنا لازم ننفصل بعد فتره

وجهها تلون بألوان الطيف كما ازدادت نبضات قلبي تسارعا وكأنني في سباق للعدو ومن كل قلبي رجوت ألا تطيعني ولكنها رددت بآلية تامه لتحفظ

كرمتها بعدما ألقيته على مسامعها في ليلتنا الأولى :

-زي ما تحب

عدت أجر أقدامي خلفي ناحية الأريكة وجلست عليها - خائبا الرجا - كما يقولون ، وقعت عيناي على الحائط الكبير الذي اسندتها عليه حينما كنت أقتنص قبلتها الأولى ومن بعدها.... توقفت عن الاسترسال قبل ان افقد عقلي مرة أخرى كما فعلت سابقا ووقتها لن أسامح نفسي أبدا !

دقائق مرت علي كساعات طويلة لا تريد أن تنقضي حتى سمعت باب غرفة النوم ينفتح، لم أشعر بساقي وهم يركضان ناحيتها وانا في قرارة نفسي اريد الاعتذار منها على حديثي البارد معها ولكني سمعت غلق باب دورة المياه فعرفت أنها دلفت داخلها،

وقفت امام غرفة النوم مترددا للحظات حتى شجعت
نفسي بالدخول إليها لأول مرة بعدما كنت
مع عمال الاثاث واقسمت ان لا ادخلها مرة اخرى،
فبرغم كرهي الشديد لغرفتي القديمة إلا أنني
أحببت ما حدث فيها مع ألما،

نهرت نفسي للمرة التي فقدت عدها على ذهاب كل
ما يجول بخاطري لتلك الليلة المشؤمة بحلاوتها
البائسة بكل ما حدث بها من أشياء تجعلني أعيش
حتى الأن على أمل تكرارها مرة أخرى وأنا أعاقب
نفسي وأتحدها على العودة لمثل تلك الليلة !

خطوتين خطوتهما حتى وصلت للسرير في
المنتصف أطالعه بشوق يكاد يفتك بي وأنا أتخيل
ألما.. توقفت سريعا حينما سمعت صوت همهمات
بداخل دورة المياه وقبل أن ألتفت لاستراق السمع
وجدت فستان زفاف ألما متكورا في زاوية
الغرفة،

مشيت نحوه وقلبي يكاد يتوقف من الألم فوجدت قميص نوم أبيض اللون ممزقا تحته، اخرجته انظر إليه وألتاع قلبي لرؤيته وكأنني أرى قلبها ممزقا أمامي ! يا ألهي ما ذا فعلت بها ؟ !

رددتها بألم لم أعد أحتمله وازداد ألمي أضعاف مع سماع نشجيها يعلو من داخل دورة المياه ،

ركضت نحوها ووقفت امام الباب أستند برأسي عليه اترجاها بصوت يكاد يخرج من فمي :

-أرجوكِ يا ألما أخرجي

لم تجيبني وازداد صوت بكاءها يمزقني أكثر وأكثر حتى فقدت قدرتي على الاحتمال وفتحت الباب بقوة ودلفت بخطوات سريعة افترش الأرض بجوارها ،

حاولت التحدث معها فلم تجيبني وازدادت همهماتها وكأنها لا تسمعني ، لم أتردد للحظة في حملها واخرجها من دورة المياه وللعجب انها لم تقاومني او بالأحرى لم تسطع المقاومة لقد كانت مثل الخرقة البالية !

وضعتها على الفراش وأنا ألعن نفسي على ما قلته لها وكلما حاولت الحديث معها تزداد بكاء حتى وضعت يدها على وجهها وجسدها يرتعد امامي وكأنها فقدت السيطرة عليه !

ذهبت أجلب له كوبا من الماء علها تهدأ قليلاً ولكني حين يد عدت وجدتها طما هي ،

جلست امامها ووضعت كفي على يدها احاول نزعها من على وجهها قائلا :

-أشربي يا ألما واهدي أرجوكِ

حركت رأسها نفيا رافضة لي ولكل ما اتفوه به ، فكرت قليلا ان اتركها بمفردها كي تستجمع نفسها قليلا فلعلها تخجل مني أنا أرى ضعفها هكذا ولكني ابعدت فكرتي الحمقاء عن رأسي فأنا لن أتركها في هذه الحالة وان كنت سببها في النهاية ،

شعور اجتاحني كي أضمها إلي لم اتجاهله وقررت السير معه ، امسكت بكتفيها ادفعها نحوي حتى استقرت على صدري ،

ازدادت دقات قلبي علوا وشعرت براحة لم اعهدها من قبل وكأن هذا مكانها الصحيح مثل احجية اكتملت بصورتها الأخيرة ،

استندت بذقني على رأسها بدفيء ملأ حواسي وخاصة عندما بدأ يجسدها يستكين بين يدي ،

لحظات مرت تمنيتها تدوم لسنوات ولكني كدت ان اصاب بخيبة أمل عندما تململت ألما بسن يدس حسبت أنها ستتركني ولكني تفاجأت عندما أخرجت ذراعيها تلفهما حول جذعي وكأنها تتشبث بي ،

أغمضت عيني وانا لا أريد شيئا أخر سوى وجودها في احضاني بالقرب من قلبي ،

لم ادري كم مر من الوقت ولكن ثقل جسدها على ذراعي انبئني أنها قد غفت ،

قمت بوضعها ممددة على الفراش ودثرتها بالغطاء
ثم تمددت ملتصقا بها بعدما أخذت رأسها على
ذراعي وتركت العنان لجسدي كي يستكين
هو الأخر واستسلمت للنوم ،

استيقظت عند حلول الصباح فوجدتها على وضعها
تغفو ووجهها مثل الاطفال ، تمنيت لمس بشرتها
بشفتاي وتسلل شعور الرغبة بداخلي مما جعلني
انتفض قائما لدورة المياه ،

وقفت تحت صنبور المياه بعدما اخفضت درجة
الحرارة فأصبحت المياه باردة للغاية كما أردتها
لتطفئ قليلا من نيراني الداخلية ،

انتهيت بعدما شعرت ببرد قارس وخرجت نحو
المطبخ دون النظر لغرفة النوم مرة أخرى ،

قررت تحضير وجبة مكتملة اكفائها بها على
سماحها لي بالنوم وهي في احضاني ، ولكني
مؤكد لن ابوح لها بذلك ،

استغرقت نصف الساعة حتى انتهيت من تحضير
فطارا مذهل بالنسبة لي ، خطوت نحو غرفة النوم

وأنا أردد أسمها حتى اوقظها ولكني توقفت حين وجدتها مستيقظة تنظر نحوي بجبين متجعد أثر انزعاجها ،

حاولت ازالة حاجز قد وضعته الليلة الماضية ورددت مبتسما :

-صباح الخير

أجابت بسؤال أربكني لعدة لحظات:

-أنت نمت فين امبارح؟ !

ما هذا السؤال الغبي ! ترددت لحظات احاول استيعاب مقصدها ولكني أجبت وأنا أشير بجوارها :

-نمت هناك

تغيرت ملامح وجهها الحادة وارتخت قليلا وقد احمرت وجنتها وهي تسألني :

-جنبي يعني؟ !

خطوت نحوها بعدما فهمت مقصدها وسبب غضبها الصباحي فقد ظنت انني تركتها ونمت في مكان

آخر، قررت مشاكستها قليلا وانحنيت انظر لعينيها الزرقاء اللامعة

-عندك اعتراض؟ !

هزت رأسها بالنفي وقد كسى وجهها الحمرة فقررت الانسحاب حتى لا أتمادي والتهمها بدلا من إفطاري وهذا الخيار ليس مطروحا ابدا !

ابتعدت عنها خارج الغرفة في محاولة لعودة الامور إلى نصابها :

-طيب يلا فوقي عشان نفطر

ثم وقفت أتسأل محاولا إلهاء نفسي :

-شاي ولا نسكافيه

اجابتني وهي تبتلع ريقها بتأثر وصوتها وصلني عنوة :

-نسكافيه

حركت قدمي بصعوبة بالغة نحو المطبخ لأحضر لي ولها "النسكافيه" وعلقي يدور بشكل جنوني ولم تعد سيطرتي على نفسي تجدي نفعا وحتى الالهاء أصبح ثقيلا جدا ،

سمعت صوت أغلاق باب دورة المياه فأيقنت انها خرجت من غرفة النوم، وددت لو انتظرتني قليلا ،

"ما هذا الهراء الذي أفكر به أفق يا مصطفى وسيطر على نفسك لو حدث واقتربت منها ستكون النتيجة كارثية "

هكذا حدثت نفسي وانا أعرف جيدا نتيجة التمادي بهذا التفكير،

انتهيت من صنع القهوة بشكل مميز فقد نفعني تزيين الطعام والشراب في الالهاء حتى الان ، لم تخرج ألما من دورة المياه حتى الأن، شعرت بالقلق ان تكون عادت لحالتها مرة أخرى فانطلقت نحو دورة المياه اطرق الباب عليها بقلق فوجدتها تفتحه لتقابلني،

حاولت رسم الحنق على وجهي وأنا امزح معاها حتى لا ترى قلقي الحقيقي، انطلقنا نحو غرفة الطعام وقفت امام الطاولة فاغرة فاها بدهشة وانا اردد

بداخلي " لا تعلمين أنني فعلت ذلك لأمنع نفسي الحيوانية عنك"

اخرجت المقعد من موضعه ونظرت ابتسم نحوها وأقلب الأمور للمزاح كعادتي وكأنني اهزأ من نفسي:

-ما تستغربيش انا ما بعرفش اكل اي اكل

ثم غمزت لها بعيني لأكمل مسرحيتي التي لا أعرف متى ستخط كلمة النهاية :

-هتعبك جامد يعني

ثم نظرت لطبقي وبدأت أكل بشهية تكاد تكون معدومة وأنا اتجنب النظر نحوها كما فعلت هي بالمثل حتى انتهينا،

قامت هي لتزيل الأطباق فوقفت اساعدها، خطت امامي تحمل بعض الاطباق وانا خلفها بأكواب القهوة وحين عودتها اصطدمت بي، اعتدلت في وقفتها وحين نظرت لعينيها تذكرت البارحة وهي

بين ذراعي تشدد من احتضانها لي ، كيف استطعت تجاوز هذا الأمر وتناسيت كم من المرات اشتهيتها !

ازدادت الرغبة بداخلي وشعرت بالخطر يدق اجراسه في عقلي وهي تقف تبادلني النظرات وصدرها يعلو ويهبط امامي من سرعة تنفسها وكأنها تدعوني للاقتراب منها حد الخطر !

ازلت جسدي عنوة من أمامها ووقفت موازيا للحائط حتى تتر من أمامي لعل هذا العذاب ينتهي مؤقتا، خطوت نحو حوض لمطبخ كي أضع الاكواب بداخلها فوجدتها مازالت خلفي تردد بصوت يقطر ألما :

-أنا مش عاوزه اسيبك يا مصطفى

التفت نحوها مندهشا لما تفوهت به وقد ألجمتني كلمتها فلم أدري حقا ما أقوله لها غير الحقيقة التي تصرخ بداخلي !

اقتربت منها امسك بكفها الدافئ المرتعش وأخذتها نحو غرفة الجلوس ثم اجلستها على المقعد أمامي لأعترف لها :

-هتصدقيني لو قولتلك ولا انا هقدر اعيش من غيرك

حاولت مقاطعتي ولكني أشرت لها حتى أكمل:

-بس أنا كدا هظلمك بجد

نزعت كفها من يدي بعنف شديد ووقفت تصرخ بي :

-كل شويه تقولي هظلمك هتظلمني ازاي ؟ !

لم استطع السيطره على ما بداخلي واخرجته في وجهها :

-مش هقدر المسك تاني وقولتلك كدا من زمان افهمي بقى

لم اتحمل رؤيتها تنهار ثانية وبخطوات واسعة تركتها وذهبت، تفاجئت بيدها التي كانت دافئة منذ ثواني اصبحت باردة مثل الثلج وهي تمسك

معصمي لألتف نحوها، نظرت نحو عينيها المليئة بالغيوم وهي تقول لي :

-وانا مش عاوزه منك حاجه انا عاوزه بس افضل جنبك

أكثر ما يغضبني بها هي غبائها المطلق تظن هذه البلهاء أنني أريد الابتعاد عنها؟! لا تعرف أني اتمزق اربا وأنا أكنع نفسي عنها، لاتدري كم من العذاب اعيش وانا اتباعد عنها كم مرارة اتجرع وانا اعاملها هكذا !

حركت رأسي يمينا ويسارا برفض وأنا أقرر حقيقة وصفي :

-مش هقدر اعلقك كدا ! كفاية اني كنت قذر وندل معاكي ما ينفعش اكمل اناني يا ألما ،

لم تتحمل أعرف هذا جيدا، فقد تركت العنان لدموعها الحبيسة لتخرج دون انتظام ، يا ألهي كم ستعاني معي ألما ؟ !

جلست على اقرب مقعد خلفها وجلست انا على ركبتي امامها وأنا أشعر بقلبي سينفجر من الضغط

عليه، امسكت بوجهها الجميل بين يدي احاول ان افهمها ما بداخلي علها تلتمس لي قليلا من العذر :

-والله بحبك ونفسي اخرج من احساسي بالذنب نحيتك انا بموت يا ألما بجد انتي مش حاسه بيا انا مش عارف اعمل حاجه في نفسي انا من يوم اللي حصل وانا بتعذب بس لدرجة اني حاسس بالعجز قدامك نفسي اسعدك ونعيش زي الناس بس غصب عني مش قادر ،

اعترفا كان ثقيلا علي لدرجة أنني لم أستطيع اكمال حديثي وقمت من مكاني منتفضا فوقفت هي الأخرى تواجهني وهي تقول :

-انا وانت محتاجين مساعده

-توقفت عند كلمة "مساعدة" وانا مشدوها! لقد اربكتني بالفعل، من سيساعدني لتجاوز هذا العذاب؟ !

-فهمت ألما حيرتي وأكملت :

-تعال نروح للدكتور النفسي اللي كنت عنده امبارح وانا متأكدة انه هيقدر يساعدنا نتخطى اللي حصل

ما هذا الهراء الذي تتفوه به؟! ماذا سيفعل الطبيب النفسي فيما اعانيه؟! هززت رأسي نفيا بالطبع هي تهزي، كيف سأذهب لطبيب نفسي احكي له عن علاقة اقمتها معاها! عن عرضي الذي انتهكته دون ذرة تعقل؟! ام أنني سأحكي له عن ظني بها؟! لا لا لا لن استطيع،

لم تستسلم ألما وهي تترجاني :

-عشان خطري يا مصطفى لو بجد بتحبني وعاوزنا نكمل مع بعض وب..

وقبل أن تكمل رجائها كانت عائلتينا أمام الباب، حمدت الله انهم جاءوا في الوقت المناسب فأنا لن أستطيع فعل ما تريده ألما ولن استطيع ايضا الرفض وكسر قلبها ثانية ،

انطلقت ألما من أمامي وأنا ذهبت لاستقبالهم ، رحبت بالجميع وتسألت خالتي عن ألما فأجبتها :

-في الاوضة بتغيير هدومها

جلس الجميع وكل منهم يتحدث بأمر ما وخالتي لا تجلس براحة لا أعرف سببها وفجأة قامت من مكانها واستأذنت معللة :

-هروح اشوف ألما اتأخرت ليه

ابتسمت وأنا أتحدث مع زوج خالتي وشادي في موضوعه المفضل "كرة القدم" على أشتت تفكري قليلا ،

دقائق عدت العشرة وأنا أنظر للساعة وعندي فضول كبير أعرف ما تفعله خالتي مع ألما في غرفة نومنا ولكن فضولي لم يستمر كثيرا حين وجدتها تتقدم نحونا ووالدتها خلفها، للحظات حدقت بها وقد أثرني جمالها الأخاذ وهي ترحب بوالدها وأخيها وشعرت ببعض الغيرة حينما قبلها والدها واخيها واحتضنوها بحب كبير، تذكرت وهي نائمة في أحضاني الليلة الماضية جعلت القشعريرة تسري في جسدي، ولكن عائلتي التي طرقت على باب الشقة جعلتني اخرج من شرودي،

استقبلتهم وانضموا إلينا، حديث خرجنا منه لحديث وأخر وعقلي لا يتوقف عن قول "ماذا بعد؟ " !

ماذا سأفعل معها يجب أن أوجه حقيقة الأمر لن أستطيع تركها كما تفوهت به مجرد ترهات أرددها لا تخر سوى من حلقي ولن أستطيع أيضا العيش وكأن شيئا لم يحدث !

توقفت عندما لاحظ أبي شرودي وسألني عما بي ، قلبت الامر لمزاح حتى مر الوقت وانسحب الجميع راحلين،

سأنفرد بها مرة أخرى لا لن يحدث يكفي ما حدث اليوم، ودعت الجميع على باب الشقة ودلفت لغرفة النوم ابدل ملابسي فأتبعتني تتسأل بعدم تصديق :

-انت خارج؟ !

أكملت ارتداء قميصي وأنا أجيبها :

-ايوه ، محتاجه حاجه من بره؟ !

علت نبرة صوتها حنقا :

-احنا مخلصناش كلمنا لسه

" أنا أهرب منك " هل اصارحها بذلك يكفي جرحها إلى هذا الحد يجب علي أن أذهب بعيدا عنها لأفكر جيدا ستتشتت أفكاري بقربها ومؤكد لن اقدر على مقاومتها بعيدا عني،

اكملت ارتداء ملابسي وهي تنتظر اجابتي امام باب الغرفة ، اجابتها وانا اخرج من الباب :

-لما أرجع نكمل كلامنا

خرجت من الشقة بهدوء حتى لا يشعر بي أحد من عائلتي سيتساءلون عن سبب خروجي اول يوم زواج لي ولن استطيع ايجاد ردا منطقيا، صعدت لسيارتي وأدرت محركها ولم اجد امامي سوى منقذي " عمر " يجب ان اخبره ما يحدث معي عله يفديني برأي سديد ،

تحدثت معه لمقابلتي وبرغم تعجبه لم يتسأل عن السبب وهو يقول لي :

-تمام هقابلك في مكانا

وصلت مقهانا المعتاد وجلست على احدى الأرائك أنتظره وكما هي عادة عمر لم يتأخر علي منذ كنا في العاشرة من عمرنا،

جلس بجواري فابتسمت له ممتنا فهو الوحيد الذي لم يخذلني طوال خمسة عشر عاما، نظر نحوي ببلاهة مرددا :

-مالك بتضحك زي الاهبل كدا ليه

اجابته وانا أضحك أكثر :

-بضحك على خيبتي

أخذت نفسا! عميقا فلتفت لي عمر بكل حواسه مستمعا، قصصته له ما حدث اختصارا ودون تفاصيل كثيرة لا تهم،

نظرات عمر لي قتلتني صدمته في كانت واضحة جلية ، ظل صامتا ينظر نحوي نظرات تحرقني حيا ولكني تحملتها لأنني استحق،

-قولي بقى اعمل ايه دلوقتي

سألته بحيرة لجعله يتحدث معي بدلا من نظراته المحتقرة هذه ، ولكنه بدلا من أن يجيبني اطلق لسانه بسباب كثير وغضبه اصبح يتصاعد ولم استطيع ان اجعله يتوقف فصمت حتى انتهى، وقولت له :

-خلصت، قولي بقى اعمل ايه

كاد ان يصفعني ولكنه تمالك نفسه قائلا بحزم واضح :

-تبقى راجل مش هقولك أكتر من كدا

ثم تركني جالسا وذهب، وبرغم أنه لم يتفوه بشيء مفيد إلا أنني عزمت أمري وقررت أن أستمع لنصيحته سأصبح رجلا وأعوضها عنا فعلته بها ولكني أحتاج للمساعدة كما اقترحت ألما بل نحن الاثنان نحتاج إليها،

خرجت من المقهى للسيارة وخطرت لي فكرة حين شعرت بالجوع، امسكت بهاتفي وطلبت شادي اسأله عن أكثر طعام تحبه ألما، أخبرني أنها تعشق

"الشاورما والشكولاتة" شكرته بشدة وأغلقت الخط قبل ان يتسأل عما افعله بالخارج الأن،

قدت لأقرب مطعم يصنع طعامها المفضل وابتعته لها وقمت بشراء نوعها المفضل من الشكولاتة وعدت للمنزل ، فتحت باب الشقة فوجدتها تركض نحوي مبتسمة، تعجبت لحالتها هذه كنت أنتظر أن أراها غاضبة !

كما تذهلني هذه الفتاة بطباعها الغريبة،

ابتسمت نحوها وأنا ألوح أمامها بكيس الشكولاتة وحلواها المفضلة فتعجبت قليلا ثم اخذته من يدي بلهفة لتفتحه سريعا وتشهق بسعادة كبيرة جعلتني اكاد اطير فرحا واردد شكرا كبيرا لشادي ، ثم اعطيت لها علبة الطعام وهي مازالت تنظر نحوي بذهول فقلت لها :

-هغير واجيلك ناكل سوا

ابتسمت حين سمعت صوتها العالي بسعادة وهي تردد :

-شاورما!!

بدلت ملابسي سريعا وذهبت إليها وأنا اقول لها بحماس :

-يلا ناكل

نظرت نحوي متسائلة :

-عرفت منين اني بحب الحاجات دي بالذات؟ !

اجابتها وانا اناولها شطيرتها:

-استعنت بصديق

ضمت حاجبيها تعجبا وهي تأخذ الشطيرة من يدي :

-شادي اللي قالك؟ !

هزرت رأسي إيجابا فابتسمت نحوي ابتسامة جعلتني اتوقف عن الأكل وهي تقول :

-شكرا لأنك اهتميت تجيب اللي بحبه

اسرتني بكلماتها وابتسامتها فبادلتها الابتسامة بأخرى ممتنه :

-شكرا لأنك معايا

توقفت عن الاكل عي الأخري وتبدلت نظرتها السعيدة بأخرى هائمة بحب لا استحقه حقا وقالت لي :

-وهفضل طول العمر معاك

تنهدت بعشق وأنا أقترب منها هامسا :

-وأنا قررت أروح للدكتور بتاعك

تركت شطيرتها من يدها وكادت تقفز من السعادة ولكنها فعلت ما لم اتوقعه حقا ! ارتمت في أحضاني تلف يدها حول جذعي قائلة :

-بحبك جداا بقى

لم اجد سوى الضحك بسعادة بالغة وانا أردد :

-وانا كمان

ابتعدت عنى وهي ترفع حاجبها باستنكار قائلة :

-وانت كمان ايه؟ !

علت دقات قلبي اثر جمالها ودلالاها فملت على أذنها هامسا :

-بحبك يا أجمل ما شافت عيني

تنهدت بعمق وقبلت أنا وجنتها بشوق كاد يفتك بي ولكني لن أقدر على التمادي الأن، اكتفيت بهذه القبلة فهي أول خطوة في الطريق ونظرت نحوها لنكمل طعامنا ونتحدث في أمورا عديدة قد مرت علينا وكأننا نعيد ترتيب علاقتنا من بدايتها ، وسنصل يوما للنهاية التي طالما تمنيتها ...

****

****